

التفسير وموضوعاته في دائرة المعارف الإسلامية
دراسة ونقد

إعداد
يسرى أحمد اليبرودي

المشرف
الأستاذ الدكتور مصطفى إبراهيم المشني

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على الماجستير في
التفسير

كلية الدراسات العليا
الجامعة الأردنية

آب، ٢٠٠٧م

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع التاريخ ١٠/١٠/٢٠٠٧



قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة/ الأطروحة (التفسير وموضوعاته في دائرة المعارف

الإسلامية دراسة ونقد) وأجيزت بتاريخ 2 / 8 / 2007م.

التوقيع

.....

مشرفاً

.....

عضوا

.....

عضوا

.....

عضوا

أعضاء لجنة المناقشة

الدكتور مصطفى ابراهيم المشني

أستاذ تفسير - أصول الدين

الدكتور محمد خازر المجالي

أستاذ تفسير - أصول الدين

الدكتور أحمد اسماعيل نوفل

أستاذ مشارك تفسير - أصول الدين

الدكتور أمين محمد المناسية

أستاذ مشارك - تفسير (جامعة مؤتة)

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع: التاريخ:

إهداء وشكر

إلى

زوجي الحبيب الذي كان لي خير معين وخير داعم في إتمام هذا البحث

إلى

كل من أحب الحق ودافع عن حياض هذا الدين بما استطاع إلى ذلك سبيلا

إلى

أستاذي ووالدي المخلص المشرف على هذه الرسالة أ. د. مصطفى المشني الذي كان له الفضل الأكبر في إتمام هذه الرسالة. مهما خط القلم من كلمات ما أراني أستطيع أن أوفيه حقاً من الشكر والعرفان على ما قدمه لي من عون ونصح وإرشاد في سبيل إخراج هذه الرسالة على أتقن حال.

إلى كل من كانت له يد من كلمة أو دعاء أو إعلان على إتمامها فجزاهم ا
جميعاً خير الجزاء وجعل ذلك في ميزان حسناتهم.

د الفهرس

ج	إهداء و شكر
د	الفهرس
ز	الملخص
١	المقدمة
٧	المبحث التمهيدي: المستشرقون والقرآن
٧	أولاً: مفهوم الاستشراق وتاريخه
٩	ثانياً: دوافع الاستشراق وأهداف المستشرقين
١٣	ثالثاً: نظرة المستشرقين إلى القرآن وتفسيره

الفصل الأول

التفسير ومصادره في دائرة المعارف الإسلامية

١٥	المبحث الأول : التفسير ومتعلقاته
١٥	تعريف التفسير والتأويل والفرق بينهما
٢٤	أنواع التفسير
٢٨	شروط التفسير والمفسر
٣٢	المبحث الثاني: التفسير التحليلي ومصادره من خلال السور
٣٢	- لفظ " سورة " معناه ودلالته
٤٥	١. سورة الفاتحة
٤٨	٢. سورة التوبة
٥٠	٣. سورة الإسراء
٦٥	٤. سورة المسد
٧٠	٥. سورة الإخلاص
٧١	المبحث الثالث: من خلال ألفاظ وردت في الآيات وهي
٧١	١. السلام

٧٤	٢. السنة
٧٥	٣. الأمة
٧٨	٤. إرم ذات العماد
٨٠	٥. البينة

الفصل الثاني

التفسير الموضوعي في دائرة المعارف من خلال الآيات

٨٢	المبحث الأول: الآيات فيما يخص العقيدة من خلال الألفاظ التالية:
٨٢	١. ١
٨٤	٢. إبراهيم عليه السلام
٨٩	٣. جبريل عليه السلام
٩٠	٤. التوراة
٩١	٥. التحريف
٩٣	٦. الجنة
٩٦	٧. الجن
٩٨	٨. جهنم
١٠١	المبحث الثاني: تفسير آيات الأحكام
١٠١	١. الصلاة
١٠٢	٢. الصوم
١٠٣	٣. الجزية

الفصل الثالث

الفصوص القرآني ومنهج البحث في التفسير في الدائرة

١٠٦	المبحث الأول:
١٠٦	١. قصة سيدنا آدم عليه السلام
١١٣	٢. قصة سيدنا داود عليه السلام
١٢١	٣. قصة أصحاب الكهف

١٢٩	٤. ذو الكفل.....
١٣١	٥. أصحاب الأخدود.....
١٣٤	٦. أصحاب الرس.....
١٣٥	المبحث الثاني: منهج البحث في التفسير
١٣٩	الخاتمة:
١٤١	المصادر والمراجع.....
١٤٨	الملخص باللغة الانجليزية.....

التفسير وموضوعاته في دائرة المعارف الإسلامية

دراسة ونقد

اعداد

يسرى أحمد البرودي

المشرف

الأستاذ الدكتور مصطفى إبراهيم المشني

الملخص

الحمد رب العالمين الذي بفضلته تتم الصالحات وتكتمل الأعمال الخيرات ويعم خيره على جميع المخلوقات انسا إجنأ وأرضاً وسماوات .. وبكرمه وفصله قد أنهيت عملي هـ ذا ولا أدعي فيه الكمال ولا التمام بل وصف كامل بالنقصان ولكني في هذه الورقة سأذكر ما خلاصت اليه في هذه الرسالة.

فقد مهدت في رسالتي هذه عن معنى التفسير والتأويل في الدائرة والفرق بينهما وأوردت ما فيها من أخطاء وشبهة وعرجت على مواضيع تفصيلية في التفسير التحليلي والموضعي والفصوص القرآني وناقشت الدائرة في ذكرها لبعض السور.

وتوصلت إلى معلومات مهمة مذكورة في بابها في هذه الرسالة ثم عرفت القارئ الكريم ان هذه الدائرة فيها من الأخطاء سواء في جمع المعلومات وأسلوب البحث وتعصيم الواضحة لبيانهم ودولهم ومبادئهم لدرجة أنهم يطعنون في صحة كتبهم مقابل أن يضعفوا ما ورد فيها من أخبار صحيحة تثبت ما جاء به الرسول الكريم (ﷺ).

فلا بد لكل من أراد أن يقرأ بمثل هذه الدائرة أن يكون واعيا لما فيها من أخطاء وشبهات وتعصب واضح وأن يكون مثقفاً ليميز الخبيث من الطيب.

هذا ما أردت أن أرسله إلى القارئ الكريم في هذه الرسالة وأرجو من القارئ أن يكون قد قدمت لهذا الدين شيئاً يحفظ عنده ولا يضيع.

والحمد رب العالمين...

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد (ﷺ) ومن سار على نهجه واهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين، وبعد...

فلقد انزل الله القرآن العظيم هدى للناس ورحمة للعالمين: ﴿الرَّكَتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ

لِنُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (إبراهيم: ١)

هذا الكتاب الحق المبين

الحق في مصدره. الحق في أحكامه وتشريعاته... الحق في كل ما جاء به، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ثم إن المكانة العظيمة والأهمية البالغة التي يتبوأها هذا الكتاب العظيم، جعلته محط أنظار العلماء من مسلمين وغيرهم، سواء كانوا محبين مخلصين أم أصحاب أهواء أعداء ومستشرقين ولقد عكف العلماء على دراسة هذا القرآن وكثرت فيه المصنفات والمؤلفات ومنها:

الدراسات الاستشرافية حيث كانت مشتملة على فوائد ومخاطر في آن واحد، وخطورتها - تتمثل في أنها معروضة أمام الدارسين والباحثين من المسلمين وغير المسلمين عرضاً منهجياً - يغري بالتعامل معها، وهذا وضع يستلزم أن تقوم جهود دراسية بحثية من قبل المتخصصين المخلصين تضع هذه الدراسات المتعلقة بالقرآن الكريم في موضع العرض النفاذ الذي يظهِر - مظان الفائدة منها ويدفع عنها وينبه إلى الأغاليط والأخطاء التي وردت فيها ويحذر منها^(١)، وقد وقع اختياري من هذه الدراسات على ما يعرف بدائرة المعارف الإسلامية، حيث يوجد فيها كثير من الدقائق والقضايا المتعلقة بالتفسير كانت جديرة بالنظر والبحث والدراسة الدقيقة التي تقوم على منهجية واضحة تتسم بالأمانة والموضوعية، خاصة وأن هذه الموسوعة كانت من تأليف مجموعة من المستشرقين

وهذه الموسوعة تتألف من ١٦ جزء مترجم للغة العربية وهي التي اعتمدت عليها في هذه

(١) القرآن الكريم، دراسة لتصحيح الأخطاء الواردة في الموسوعة الإسلامية، ص ١٠ وما بعدها.

ودراستي هذه تتناول التفسير وما يتعلق به في هذه الدائرة من حيث الوقوف على قواعده وأصول التفسير عندنا أم لا، ثم بيان الغايات والأهداف التي تتناول الآيات والتفسير في ضوءها. ولعلي أقف على تلك المقاصد والأهداف بعد الدراسة والتحليل والنقد. ومضى موافقتها أو مخالفتها، ثم ما المنهجية المتبعة لدى هؤلاء في ط - رحهم وتعرضهم لقضايا التفسير وموضوعاته.

مشكلة الدراسة وأهميتها:

المشكلة الأولى: إنها أول دراسة موسعة نافذة للتفسير في دائرة المعارف. المشكلة الثانية: اعتماد الدراسة بشكل أساسي على النقد وهو أصعب شيء في أي دراسة المشكلة الثالثة: قلة المصادر والمراجع التي تخص هذا الموضوع.

أما أهميتها:

إن ثمة أسئلة ستجيب عنها هذه الدراسة أجملها بما يلي:
أولاً: ما هي الأسس والمعايير التي تتم من خلالها دراسة التفسير وموضوعاته في دائرته المعارف؟ لم يكن لديهم أسس ومعايير واضحة يركزون عليها إنما كان مرجعهم في كتاباتهم ما ما يناسب أهدافهم ومعتقداتهم سواء كان صحيحاً أم باطلاً.
ثانياً: ما مدى موافقة هذه الأسس والمعايير للمنهجية الإسلامية في التعامل مع النصصوص القرآن الكريم وهل تتفق والأصول المعتمدة عندنا كمسلمين وباحثين متخصصين؟
ثالثاً: ما هي الإيجابيات والسلبيات لهذا الجهد المبذول في دراسة التفسير في دائرته المعارف في ضوء النقد والتحليل الموضوعي العلمي؟
إيجابيات: المعلومات المنصفة التي يقدمونها إن كان يوجد إيجابية فهي أنهم من خلال كتاباتهم هذه أفصحوا عن غاياتهم بالقرئ فيها أن يكون حذراً فطناً أثناء قراءته

الدراسات السابقة:

وإلى البحث والتنقيب عن دراسات ذات صلة بهذا الموضوع لم اعثر إلا على ثلاثة كتب:

١ - كتاب صغير نشرته المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) بعدوان:

(القرآن الكريم دراسة لتصحيح الأخطاء الواردة في الموسوعة الإسلامية) وقد قسم هـ - ذا الكتاب إلى فصل تمهيدي، تحدث فيها عن الادعاءات الواردة في الموسوعة حول علوم القرآن منها: الادعاء ببشرية القرآن، وجمع القرآن، والنص القرآني.

٢ - كتاب العقيدة الذي أعدته المنظمة أيضاً، وقد جاء فيه الحديث عن: الألوهية ومعنى لفظ ا ، ومحمد والقرآن، والسجع في القرآن، وقد تناولت هاتان الدراستان - كما نلاحظ - دراسة ما جاء في دائرة المعارف الإسلامية، فيما يخص علوم القرآن والامتنع - رض لموضوعات التفسير كما سنلاحظ في هذه الدراسة، إضافة إلى أن هذه الدراسة كانت مختصرة جداً حيث لم تكن الردود كافية تلم بالمسألة من جميع جوانبها، ولم تكن شاملة لكل ما ورد في الدائرة من أخطاء.

٣ - كتاب: القرآن الكريم من المنظور الإستشراقي دراسة نقدية تحليلية: للدكتور محمد أبو ليلي، وقد شملت هذه الدراسة كل ما يتعلق بعلوم القرآن - كما جاءت في دائرة المعارف الإسلامية موضوع البحث - دراسة ناقدة مميزة حيث ألفت بالمسألة من جميع جوانبها، وردت الشبهات الواردة حولها رداً علمياً دقيقاً، حيث قسم هذا الكتاب إلى تسعة أبواب ضمت الموضوعات التالية: القرآن.. الأصل والمترادفات، محمد والقرآن، جمع القرآن، بنية القرآن، الحوادث والمناسبات التاريخية في القرآن، لغة القرآن وأساليب، الأشكال الأدبية والموضوعات الرئيسية للقرآن ، القرآن في حياة المسلمين وفكرهم، ترجمة القرآن. إلا أن هذه الدراسة رغم عظم الجهد المبذول فيها لم تمتد إلى التفسير وموضوعاته، والذي سيقصر موضوع هذه الدراسة حوله، ثم انه ثمة ملحظ آخر وهو - و سبب تسمية الكتاب بهذا العنوان، والذي يبدو لأن دائرة المعارف الإسلامية كانت من تأليف مجموعة من المستشرقين، واعلم.

٤ - كتاب: قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية " نقد مطاعن، ورد شبهات ": للدكتور الفاضل: فضل حسن عباس، وقد كانت هذه الدراسة فيما يخص بعض الموضوعات المتعلقة بعلوم القرآن في الموسوعة البريطانية وليست الإسلامية مدار بحثنا.

هذا وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مبحث تمهيدي وثلاثة فصول:

المبحث التمهيدي:

المستشرقون والقرآن

وقد قسمت هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب:

أولاً : مفهوم الاستشراق وتاريخه.

ثانياً : دوافع الاستشراق وأهداف المستشرقين.

ثالثاً: نظرة المستشرقين إلى القرآن وتفسيره.

الفصل الأول / التفسير ومصادره في دائرة المعارف الإسلامية

المبحث الأول : التفسير ومتعلقاته:

تعريف التفسير والتأويل والفرق بينهما

شروط التفسير والمفسر

أنواع التفسير

المبحث الثاني: التفسير التحليلي ومصادره من خلال السور في الدائرة

- لفظ " سورة " معناه ودلالته

١. سورة الفاتحة.

٢. سورة التوبة.

٣. سورة الإسراء.

٤. سورة المسد.

٥. سورة الإخلاص.

المبحث الثالث: من خلال ألفاظ وردت في الآيات وهي:

١. السلام.

٢. السنة.

٣. الأمة.

٤. إرم ذات العماد.

الفصل الثاني:

التفسير الموضوعي في دائرة المعارف من خلال الآيات:

المبحث الأول : الآيات فيما يخص العقيدة من خلال الألفاظ التالية:

١ .

١ . إبراهيم عليه السلام.

٢ . جبريل عليه السلام.

٣ . التوراة.

٤ . التحريف.

٤ . الجنة.

٥ . الجن.

٦ . جهنم.

المبحث الثاني: تفسير ألفاظ وردت في آيات الأحكام:

١ . الصلاة.

٢ . الصوم.

٣ . الجزية.

الفصل الثالث:

الفصوص القرآني ومنهج البحث في التفسير في الدائرة:

المبحث الأول : الفصوص القرآني:

١ . قصة سيدنا آدم عليه السلام.

٢ . قصة سيدنا داود عليه السلام.

٣ . قصة أصحاب الكهف.

٤ . ذو الكفل.

٥. أصحاب الأُخْدود.

٦. أصحاب الرس.

المبحث الثاني: منهج البحث في التفسير..

الخاتمة:

وتتضمن القيمة العلمية للتفسير في دائرة المعارف..

أولاً: مفهوم الاستشراق وتاريخه:

١ - مفهوم الاستشراق:

الاستشراق لغة: لم يرد في المعاجم اللغوية وجود لهذه الكلمة، ذلك أن هذه الكلمة ليست عربية أصيلة، بل هي مولدة عصرية أكدت على ذلك بعض المصادر اللغوية الحديثة، بقولها: "استشراق: أي طلاب علوم الشرق ولغاتهم، يقال: لمن يعنى بذلك من علماء الفرنجة".^(١)

أما الاستشراق اصطلاحاً: فلقد كثرت التعريفات العربية والغربية حول مفهوم الاستشراق، وكلها متقاربة من (بعضها البعض)، ولا بد من تعريف جامع مانع لحقيقة الاستشراق ومفهومه، والتعريف الذي أراه مناسباً، هو:

" أن الاستشراق هو دراسات "أكاديمية" يقوم بها غير المسلمين من غير العرب - سواء من الشرق أو الغرب^(٢). للإسلام والمسلمين من شتى الجوانب: عقيدة، أو شريعة، أو ثقافة، أو حضارة، أو تاريخاً ونظماً وثورات وإمكانيات. بهدف تشويه الإسلام ومحاولة تشكيك المسلمين خاصة، والناس عامة، وتضليلهم عنه، وفرض التبعية للغرب عليهم، ومحاولة تبرير هذه التبعية بدراسات ونظريات تدعي العلمية والموضوعية، وتزعم التفوق العذ-صري والثق-افي للغرب المسيحي على الشرق الإسلامي"^(٣)

٢ - تاريخ الاستشراق:

اختلف العلماء العرب والغرب في تحديد تاريخ بداية الاستشراق بالضبط، وفي ذلك يقول د. مصطفى السباعي: "لا يعرف بالضبط من هو أول غربي عني بالدراسات الشرقية ولا في أي وقت كان ذلك، ولكن المؤكد أن بعض الرهبان الغربيين قصدوا الأندلس في إبان عظمتها - ومجدها وتنقفوا في مدارسها، وترجموا القرآن والكذب العربية إلى لغاتهم، وتعلموا على أيدي علماء المسلمين في مختلف العلوم، وبخاصة في الفلسفة والطب والرياضيات، ومن أوائل هؤلاء الرهبان، الراهب الفرنسي جربرت (jerbert) الذي أنتخب بابا لكنيسة روما عام ٩٩٩ م بعد تعلمه في معاهد الأندلس وعودته إلى بلاده، وبطرس المحت-رم (١٠٩٢ - ١١٥٦) وجي-راي

(١) متن اللغة ج ٣ / ص ٣١٠

(٢) عبد المنعم فؤاد: من افتراءات المستشرقين على الأصول العقيدية في الإسلام ص ١٨

(٣) رؤية إسلامية للاستشراق: أحمد غراب ص ٧

٨
كريمون (giradykrimon) (١١١٤ - ١١٨٧)^(١).

وبعد الاطلاع على أقوال الباحثين العرب في تحديد تاريخ الاستشراق يدو أن أقوالهم تتقارب من بعضها، فهي تشير إلى أن الاستشراق بدأ في وقت مبكر قبل الحروب الصليبية، ولكنه نما وترعرع وأصبح علماً قائماً بذاته في منتصف القرن التاسع عشر، وأن بواعثه العداء الذي أحدثه الصراع الصليبي بين الفرنجة والمسلمين وما سبق الحروب الصليبية من فتوحات إسلامية أثارت أحقاد الأوروبيين على الإسلام^(٢).

أما علماء الغرب فلقد كانت أقوالهم في تحديد تاريخ الاستشراق الرسمي غالباً ما بين القرن الثاني عشر والقرن الثالث عشر. وفي ذلك يقول أحمد غراب: " فقد بدأ الاستشراق وجوده الرسمي في أوروبا بقرار المجلس الكنسي في فيينا سنة ١٣١٢ م، بتأسيس كراسي جامعية لدراسة اللغات الشرقية، لا سيما اللغة العربية والعبرية والسوربانية، وكذلك اللغة اليونانية (باعتبارها لغة التراث اليوناني من جهة واللغة التي تترجم إليها الكتاب المقدس من جهة أخرى) في الجامعات الأوروبية الرئيسية، وبخاصة جامعات باريس و أكسفورد وبولونيا وسلامنكا^(٣) "

بعد ذلك يمكن القول: " أن تاريخ العداء بين الإسلام والمسلمين - بصفة خاصة والعرب بصفة عامة - وبين المستشرقين قديم منذ بذور ظهور الإسلام وانتشاره وامتداد نوره في كل مكان وفي كل زمان، فالحرب سجل بين الإيمان والكفر والإلحاد، ولكن الدائرة والهزيمة هي على الكفر والباطل ولو بعد حين، وصدق الله عز وجل: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّيْدُ

فَيَذَهِبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾ الرعد: ١٧.

ثم انه لا يهم المسلم متى ظهر الاستشراق أو المستشرق، وإنما المهم متى بدأت الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، ومتى بدأ التركيز على الحضارة الإسلامية والإسلام، فالتركيز على الإسلام وحضارته بدأ بوقت مبكر.

كما كانت الحروب الصليبية بصفة خاصة من أقوى الدوافع إلى الله تغال الأوروبيين

(١) الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، مصطفى السباعي ص ١٣ - ١٤

(٢) المستشرقون والفران: محمد أمين بني عامر ص ٢٧

(٣) رؤية إسلامية للاستشراق: أحمد غراب ص ٢٦، انظر أيضاً عبد المنعم فؤاد مرجع سابق ص (٢٨).

بالإسلام وتراثه، ولهذا يمكن القول بأن تاريخ الاستشراق في مراحله الأولى هو تاريخ الصراع بين العالم النصراني في العصور الوسطى وبين الشرق المسلم^(١).

ثانياً: دوافع الاستشراق وأهداف المستشرقين:

١ - دوافع الاستشراق:

الاستشراق بشكل عام له دوافع متفاوتة شدة وضعفا منها التبشيري ومنها -الاسـ-تعماري ومنها العلمي، وتظهر هذه الدوافع في أعمال المستشرقين وقد بين هذه الدوافع الـدكتور محمد -بني عامر في كتابه، وتلخيص هذه الدوافع كما يلي:

١- الدافع التبشيري:

وذلك بعد أن تيفن الغرب المسيحي - بعد الحروب الصليبية - بعدم النصر والغلبة على المسلمين إلا عن طريق التبشير، وقد عرف "رودي بارت" التبشير بأنه: "إقناع المسلمين بلغـتهم ببطلان الإسلام، واجتذابهم إلى الدين المسيحي، ويمكن تلخيص هذا الدافع بالنقاط التالية:

(١) العمل على تشويه محاسن الإسلام، والطعن في القرآن الكريم، والتاريخ الإسلامي، وإسداد صورة قاتمة على هذا التاريخ.

(٢) عرقلة تيار التحول من المسيحية إلى الإسلام.

(٣) تشكيك المسلمين أنفسهم بأمور دينهم، وتنفيرهم منه، وتوجيه المطاعن له.

٢- الدافع الاستعماري:

وهو أهم تلك الدوافع حيث يمثل النقطة الخطرة في العلاقات بين الشرق والغرب، ومحاولة السيطرة الغربية على الشرق وتدمير قواعده، واحتلال أراضيه، واستغلال قدراته، ولسهولة السيطرة على المسلمين واستعمارهم لجأ الغربيون لتحقيق ذلك عن طريق المستشرقين وأهم الأمور التي قام بعملها المستشرقون لتحقيق هذه الغاية، هي:

- ضعف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوس المسلمين وسيطرة الوهن والارتباك في تفكيرهم، وقد استطاع المستشرقون أن يصلوا إلى نفوس أبناء المسلمين عن طريق:

(١) التشكيك في عقيدة المسلمين وقيمهم من أجل فقدان الثقة بالنفس.

(١) محمد بني عامر ص ٣٠. المستشرقون والقرآن.

(٢) التشكيك في فائدة التراث الإسلامي الذي بأيديهم.

(٣) إحياء مبدأ القوميات من أجل تفريق كلمة الأمة، وهذا فعلاً ما حصل للأمة الإسلامية ونلمسه اليوم، وحسبنا أن ونعم الوكيل..

٣- الدافع التجاري:

ويعتبر هذا الدافع من أشد الدوافع إلحاحاً في اندفاع الغرب لتعلم لغات الشرق ودراسة حضارته، وذلك للأسباب التالية:

(١) رغبتهم في التجارة وترويج بضائعهم في العالم الإسلامي، وشراء المواد لصناعاتهم بأقل الأثمان، والعمل على قتل صناعاتنا المحلية.

(٢) البحث عن الرزق عندما ضاقت بهم سبل الحياة العادية.

٤- الدافع العلمي:

ويتمثل هذا الدافع فيما يلي:

في رغبة عدد من الغربيين بالاطلاع على حضارات الشرق وأديانهم وثقافتهم ولغاتهم، وهؤلاء كانوا أول من غيرهم خطأ في فهم الإسلام وتراثه، فمنهم من كان يهدف إلى المعرفة العلمية الخالصة، فقالوا فيما كتبوه عن الإسلام كلمة حق فأنصفوا وأنصفوا منهم من اهتدى بدراسته إلى الإسلام فأمن.

٥- الدافع السياسي:

بعد أن تحررت البلاد الإسلامية من مخالب الاستعمار، رأت الحكومات الإسلامية أن حاجتها السياسية تقتضي بأن يكون لها في قنصلياتها وسفاراتها من لديهم معلومات جيدة عن الدراسات الاستشرافية ليقوم هؤلاء بما يلي:

(١) تقديم معلومات وافية للحكومات الغربية عن أحوال العالم الإسلامي، ليسهل عليها فيما بعد إحكام قبضتها الحديدية عليه عن طريق الغزو العسكري المسلح.

(٢) الاتصال برجال الفكر والصحافة والسياسة للتعرف على أفكارهم وواقع بلادهم ونشر الاتجاهات السياسية التي تريدها الدول الاستعمارية فيهم.

(٣) الاتصال بعمالئهم من رجال السياسة الذين يقومون بخدمة أسيادهم سياسياً.

(٤) القيام بالرد على الأفكار والعقائد وقمع الحركات والأوضاع التي تسبب للدول الغربية

صداعا وعرقلة، وتحدث لها مشكلات وعقبات، والعمل على خلق جو لا تكاد تخطر فيه معارضة، بل تحدث حالة من التقديس والإجلال حول حضارتهم، حتى يعترفوا بمآثرهم وجلائل أعمالهم، وحتى ينبعث فيهم دافع الاقتداء والتقليد الذي يحملهم على السير على آثارهم في سبيل إصلاح البلاد وترقيتها^(١).

وبناء على هذه الدوافع الاستشرافية لدراسة القرآن الكريم، وبناء على هذا على أن هذه الدراسة في عمومها قائمة على اعتبار القرآن إنتاجاً بشرياً، إذ المستشرقون لا يؤمنون بأنه وحي من الله، فإن هذه الدراسة جاءت في عمومها تتصف بـ صفتين بـ ارزتين: أولاً: المنزع التشويهي للقرآن الكريم، فقد كان أكثر المستشرقين عن عمد أو عن غفلة يلحقون به النقد المصطنع الذي تحط من قيمته، سواء من حيث مصدره أو من حيث تاريخه أو من حيث بنيته، ولا يخلو من هذا المنزع إلا القليل من دراسات المستشرقين للقرآن الكريم، على أن هذا القليل وإن كان يميل في مجمله إلى العدل فهو لا يخلو تماماً من الحيف، الذي يكون في الغالب ناشئاً من فقدان الكفاية في المستندات التي يقع الاعتماد عليها في نوعيتها وفي درجة وثوقها.

وأما الصفة الثانية: فهي الاتجاه بالدراسة القرآنية وجهة خارجية تعتمد إلى الحد والمحدول القرآن دون الدخول إلى صلبه، ولذلك فقد تكاثرت البحوث الإحصائية التي تعد وتصنف آياته وكلماته ومواضيعه. ولكننا لا نطفر من بين الدراسات الاستشرافية الكثيرة للقرآن الكريم ما يتناول بعمق تحليل وتفصيل المدلول القرآني في جوانبه التشريعية، وأبعاده الأخلاقية والإنسانية، وتنظيماته الاجتماعية والدولية، فهذه المحتويات القرآنية كانت غائبة في مجمل البحوث الاستشرافية للقرآن الكريم إلا في القليل النادر، وهو ما كان له انعكاس سلبي على مجمل تلك البحوث، إذ مالت كما ذكرنا إلى منزع الاستنفاص، ولو اتجهت إلى المحتوى القرآني لكانت العظمة الموضوعية التي يقف عليها الدارس لذلك المحتوى حائلاً دون ذلك المنزع الاستنفاصي، أو حاداً منه إلى درجة كبيرة على الأقل..

وتبعاً لهذا المنزع العام الذي نزعته إليه الدراسة الاستشرافية للقرآن الكريم، فإن الوافق عليها يجد نفسه في مظنة فائدة يستفيد منها فعليه أن يهتبلها من جهة، وفي مظنة تضليل يتعريض إليه فعليه أن يحذر منه من جهة أخرى. أما الفائدة التي يمكن أن تستفاد منها من الدراسات القرآنية المتعلقة بالتصنيف والإحصاء والترجمة وتحقيق النصوص ونشرها، وأما التضليل الذي ينبغي أن يحذر منه فهو مما أدرج في بحوث المستشرقين من الأخطاء والأغاليط الناشئة من

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، الندوي ص ١٧٩

الفصور عن فهم القرآن الكريم لقصور في فهم لغته أحياناً، ومن خلال المنهجي وفي البحث متمثلاً بالأخص في الاعتماد على معطيات ضعيفة أو مجزوءة أحياناً أخرى، أو الناشئة أياً -ضاً من قصد بعض المستشرقين إلى الدس والتشويه قصداً يندرج ضمن أهداف تبشيرية واستعمارية كانت من بين عوامل نشوء الاستشراق كما ذكرنا آنفاً^(١).

ثانياً - أهداف المستشرقين:

من خلال ما ذكرنا من دوافع الاستشراق يمكن أن نذكر أهداف الاستشراق وفي النقاط التالية:

أولاً: كان الاستشراق يهدف منذ البداية إلى الحيلولة بين الشعوب النصرانية والـ دخول في الإسلام مركزاً على تشويه محاسنه لإقناع النصارى بعدم صلاحيته لهم^(٢) والهدف العام الذي اتفق عليه المنصرون والمستشرقون هو ردة المسلم عن دينه إلى أي شيء آخر^(٣).

ثانياً: ثم اتجهت الدراسات الاستشراقية بعد ذلك إلى الأمة الإسلامية فأخذت وفي خلا- ق الافتراءات على العقيدة والشريعة والمصدر لكي تضعف الروح الإسلامية عند المسلمين، تب- ث الفرقة بينهم وتسعى بكل قوة إلى تنصيرهم.

ثالثاً: ثم ارتبطت بعد ذلك بالاستعمار في البلاد الإسلامية بهدف تمكينه لكي يخضع ه- ذه البلاد لقبول أفكارهم وتمجيد القيم الغربية المادية الرأسمالية النصرانية وفي المقابل الح- ط م- ن قدر الإسلام ومن يتمسك به^(٤).

وفي ذلك يقول الدكتور (البهي): "لقد تركزت أهداف الدراسات الاستشراقية مع تنوعها- ا في خلق التخاذل الروحي وإيجاد الشعور بالنقص في نفوس المسلمين والشرقيين عامة وحملهم- م من هذا الطريق إلى الرضا والخضوع للتوجيهات الغربية^(٥) فأخذوا في إثبات المثل الغربية م- ن جانب ثم إظهار أي دعوة للتمسك بالإسلام بمظهر الرجعية والتأخر^(٦) وغني عن القول أن ه- ذه الأهداف التي حملها المبشرون والمستشرقون ما زال يتمسك بها تلاميذ المستشرقين في بلادنا- ا إلى يومنا هذا، طائنين انه لا تقدم ولا مدنية إلا باتباع المثل الغربية والبعد عن الإسلام المتمث- ل

(١) القرآن الكريم، دراسة لتصحيح الأخطاء الواردة في الموسوعة الإسلامية، ص ١٠ - ١٢ وما بعدها.

(٢) الموجز في الأديان والمذاهب ص ١٨١

(٣) رؤية إسلامية للاستشراق، أحمد غراب ص ٥٣

(٤) من افتراءات المستشرقين على الأصول العنقية في الإسلام، عبد المنعم فؤاد ص ٣٢ / ٣٣

(٥) الفكر الإسلامي الحديث ص ٤٣١، د. محمد البهي

(٦) لمحات في الثقافة الإسلامية، عمر عودة الخطيب ص ١٩٨

من وجهة نظرهم في "الدروشة والمسبحة"^(١) ويوصف هؤلاء بما قاله المستشرق الفرنسسي (حاسينون) في محاولة مسح شخصية هؤلاء التلاميذ: "أن الطلاب الشرقيين الذين يأتون إلينا في فرنسا يجب أن يلوّنوا بالمدينة المسيحية"^(٢) ثم يكشف للجميع عن هدفه قائلاً: "لم نبحت في الشرق إلا عن منفعتنا لقد دمرنا كل ما هو خاص بهم ولا رغبة لنا إلا أن نبعثهم ضعفاء."^(٣) وبالفعل اتخذ هؤلاء منهاجاً في التشكيك والمغالطة وتشويه الحقائق والافتراء والتزوير، وهو منهاج لم يسلم منه أو من بعضه إلا عدد يسير منهم، كل ذلك لكي يضعفوا المسلمين ويجعلونهم آلة طبيعية في أيديهم لقبول التبشير والتحول إلى التنصير^(٤).

ثالثاً: نظرة المستشرقين إلى القرآن الكريم وتفسيره:

لقد كانت نظرة المستشرقين إلى القرآن بأنه كتاب جاء به محمد ليصلح به المجتمع وأن هذا الكتاب إنما كتبه محمد واقتبسه من التوراة والإنجيل وغيرهما، وأن التوراة والإنجيل أصح من القرآن الكريم.

ويوجد في القرآن الكريم ما هو غير صحيح كما ورد في دائرة المعارف تحت مادة قرآن "أنه لا شك أن هناك فقرات من القرآن قد ضاعت" وأن القرآن الكريم قد حُرف وان هذا تناقضاً في القرآن الكريم. إلى غير ذلك من الافتراءات حول القرآن الكريم مما هو منه به راء، بقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلِ مَا أَنْتُمْ نَاطِقُونَ﴾ (الذاريات آية ٢٣) وقوله

تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت آية ٤٢).

إذا سعى المستشرقون إلى الطعن في كتاب الله تعالى، فهم يزعمون بأن الإسلام - لامذبيح مشوه استمده الرسول ﷺ من المصادر اليهودية والمسيحية والزرادشتية. وبزعمهم هذا يعملون على إثبات أن القرآن الكريم موضوع وليس وحياً من عند الله، وإنما هو مرآة لأفئد خاص من الحياة، هو أفئد من تلكم العقائد المنتشرة وقتئذ في رقعة الجزيرة العربية لا سواها^(٥). وفي ذلك يقول المستشرق الإنجليزي جب (gibb) أساتذ الدراسات العربية بجامعة

(١) من افتراءات المستشرقين على الأصول العنقية في الإسلام، عبد المنعم فؤاد ص ٣٣

(٢) الغزو الفكري، إبعاده ومواجهته، د. عبد العزيز تمام ص ٤٧

(٣) المرجع نفسه، عبد المنعم فؤاد ص ٣٣ نقلاً عن الموجز في الأديان والمذاهب ص ١٨٢

(٤) المرجع نفسه، عبد المنعم فؤاد ص ٣٣

(٥) محمد بنى عامر ص ٢٠٦

هارفارد بالولايات المتحدة في كتابه (المذهب المحمدي) والمستشرق سنكلير تسدل في كتابه (مصادر الإسلام) ما نصه: "إن شرائع الإسلام تأسست من شرائع الأديان المعاصرة له والمنتشرة وقتئذ في الشرق، إلا وهي: اليهودية، والمسيحية، والهندية، والصائبة، والفارسية، والجاهلية"^(١).

ويقول المستشرق أندرسون (Anderson): "ليس من شك في أن محمد اقتبس أفكاره من مصادر التلمود، وكتب الأساطير اليهودية والمصادر المسيحية"^(٢).

وهناك الكثير الكثير من أقوال المستشرقين حول القرآن الكريم وتاريخه، ومدى صحته وتحريفه ليس محل بحثنا هنا ما ذكرناه حول نظرة المستشرقين للقرآن الكريم اتسم به أغلب المستشرقين، لكن هناك من المستشرقين من شهد شهادة حق في حقيقة وصحة هذا الكتاب العظيم.

فيقول المستشرق الدكتور شبس: "يعتقد بعض العلماء أن القرآن الكريم كلام محمد وهـذا هو الخطأ المحض فالقرآن الكريم هو كلام الله تعالى الموحى على لسان رسوله محمد (ﷺ) وليس في استطاعة محمد ذلك الرجل الأمي في تلك العصور الغابرة أن يأتيينا بكلام تحار فيه عقول الحكماء ويهدي به الناس من الظلمات إلى النور، وربما تعجبون من اعتداف رجل أوروبي بهذه الحقيقة، فلا تعجبوا فإني درست القرآن فوجدت فيه تلك المعاني العالية والمنظمة المحكمة، وتلك البلاغة التي لم أر مثلاً قط، فجملة واحدة تغني عن مؤلفات"^(٣).

ولسنا بحاجة إلى شهادة بعد شهادة رب العالمين، إذ يقول: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ (سورة النجم آية ٣-٤) ولكن أوردت هذه الشهادة من باب وشهد شاهد من أهلها..

(١) نفس المرجع السابق.

(٢) نفس المرجع ص ٢٠٨

(٣) نفس المرجع السابق.

الفصل الأول

المبحث الأول :

التفسير كما ورد في دائرة المعارف الإسلامية:

أولاً: تعريف التفسير والتأويل والفرق بينهما:

عرف الكاتب (كاراده فو) في دائرة المعارف الإسلامية التفسير بأنه: "كلمة تدل على تفسير القرآن الكريم بصفة خاصة وعلى علم التفسير نفسه الذي يعرّف باسم "علم القرآن والتفسير" وهو فرع خاص هام من علم الحديث يعلم في المدارس والجامعات. ^(١)

مما يلاحظ على هذا التعريف الأمور التالية:

١. افتقاره إلى المنهجية السديدة في التعرف التي ينبغي أن تكون من الناحية اللغوية ثم الاصطلاحية.

٢. الخلط بين علم التفسير وعلوم القرآن.

٣. اعتبار علم التفسير فرعاً من علوم الحديث في المعاهد العلمية.

وعليه فإن التعريف ليس جامعاً لأركان المعرفة ولا مانعاً من خروج بعض أركانه منه، ولا شك أن التفسير في اللغة أصله من الفسر الذي يدل بمادته على المبالغة والكشف والإبانة والتوضيح، ذلك أن الكلمة على وزن تفعيل التي هي من صيغ المبالغة ^(٢)

يقول الحق سبحانه: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئَكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (الفرقان: ٣٣).

أما التفسير في اصطلاح المفسرون فلقد تعددت فيه أقوالهم وإن تقاربت في المعنى، ومن أجمع هذه التعريفات وأدقها ما ذهب إليه أبو حيان في مقدمة تفسيره معروفاً له بأنه "علم يبحث في كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمتات ذلك".

ولا شك أن هذا التعريف يشمل كل ما يتحقق به علم التفسير وما يحتاج إليه من علوم فهو

(١) دائرة المعارف الإسلامية ج ٤ / ص ٤١٠.

(٢) ابن منظور: (لسان العرب ج ٦ / ص ٢٦١، ٣٢) باب الرأء فصل السين، وانظر الراغب الأصبهاني المفردات ص ٣٨٠.

يشمل علم الفراءات وعلم مدلولات الألفاظ وهو علم اللغة كما يشمل علم التصريف والإعـراب والبيان والبدع الذي يتناول الأحكام الإفرادية والتركيبية ثم العلم بالحقيقة والمجاز وهو ما أشار إليه التعريف بالمعاني التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمت ذلك من معرفة النـسخ وألـسـ باب النزول وما شابه ذلك مما لا يستغني عنه علم التفسير.^(١)

وكما يبدو من تعريف دائرة المعارف للتفسير أن هذا التعريف لعلم التفـسير وإن اللهـ تمل على بعض علوم القرآن إلا أننا لا نستطيع أن نجعله تحت اسم علم القرآن كما يـدو الكاتـب، علوم القرآن كما يعرفه العلماء عبارة عن المسائل التي يبحث فيها في علم القرآن^(٢) مثل أسباب النزول، النسخ والمنسوخ، المكي والمدني. لكن علم التفسير وإن كان فرعاً من فـروع علـوم القرآن الكثيرة كما عده أصحاب المصنفات المشتهرة إلا أنه لأهميته وكثرة فروعه أصبح علماً خاصاً مستقلاً له شخصيته المميزة له وإن كان أصحاب المصنفات في علوم القرآن قد دعه فرعاً من فروعه إلا أن الأمر استقر بعد ذلك على اعتباره علماً مستقلاً ومثله إعـجاز القرآن، والفراءات، والمناهج، والقضايا البيانية. إلا أن التخصصية نحت بكل علم منحى بيانياً لـستقلالياً (كلاً على حدة).

والتفسير إنما ينتظم العلوم المختلفة فهناك تفسير القوانين والتشريعات وهو يخص القانون، وهناك تفسير النصوص الأدبية... الخ.

أما الملحق الثالث الذي أشرت إليه في تعريف الكاتب عندما قال "وهو فرع خاص هام من علم الحديث"، معتبراً علم التفسير فرعاً من علوم الحديث فليس من الدقة في شيء، ويدو أن الكاتب خلط بين نشأة التفسير كعلم ينقل رواية ومشاهدة فكان جزءاً مما عرف بعد ذلك بعلم الحديث، وبين ما استقر عليه الأمر بعد ذلك.

فكان ذلك في الصدر الأول للإسلام، حيث كان الصحابة - رضوان الله عليهم - يعتبرون التفسير شهادة عن الله بأنه عني باللفظ كذا، فكانوا يتخرجون ولا يقولون في تفسير القرآن إلا ما سمعوه من رسول الله (ﷺ)، أو نقل إليهم عنه - صلوات الله وسلامه عليه -، فكان أول ما ظهر من التفسير تفسير الرواية، وكان رجال الحديث هم أصحاب الشأن الأول في ذلك، وهذا ما جعل كتب الحديث تشتمل على أبواب خاصة في التفسير، ومثال ذلك ما كان في صحيح البخاري، حيث أفرد رحمه الله كتابين فيما يخص القرآن الكريم: كتاب التفسير، وكتاب فضائل

(١) انظر الذهبي، ج ١، ص ١٤-١٥.

(٢) انظر فضل عباس، اتفاق البرهان في علوم القرآن، ج ١، ص ٤٣.

القرآن. أما فيما بعد فقد أصبح علم التفسير مستقلاً عن علم الحديث ولكل مـ سائله وجزيئاته الخاصة به.

وبالرغم من صحة هذه الأحاديث وعظيم فائدتها، إلا أن الكاتب يتعـرض لنقـدها، نقـد الجاهل بالحقيقة المتعالي عن معرفتها، نقداً جريئاً يخلو من الشرعية والموضـوعية و الأمانة العلمية التي يدعون انهم يكتبون كتاباته بها.. فيقول:

- "وتسأل النقاد المحدثون (كولاد تسيهر ولانمس وغيرهما) عن قيمة الأحاديث الواردة في هذه الكتب الجامعة، ولم يصلوا بعد إلى رأي يعززها كثيراً، والظاهر أن كثيراً من هذه الأحاديث موضوع إما لتقرير مسألة شرعية، وإما لأغـراض كلامية، وإما لمجـرد التوضيح بل قد يكون لمحض اللهو والتسلية، ويذهب النقاد المحدثون إلى أنه لا أمل في العثور في هذه التفاسير على أخبار صحيحة عن أسباب لنزول القرآن وإذاعته في الناس^(١).

قبل التحليل والنقد لهذه العبارات لا بد من الإشارة إلى ملحوظة على مـادة التفسير وغيرها في الدائرة والتي كانت بقلم الدكتور إبراهيم الخولي: والتي تتلخص في تعريف التفسير لغة واصطلاحاً بصورة مختصرة وتاريخه ونشأته وبيان أهميته والتعريف بأنواعه مما يتحقق به شيئاً من الفائدة لذلك المقام ويبدو أنه لم يتعرض إلى قضايا مهمة كان لا بد من الوقوف عندها لا سيما هذه الفقرة التي بين أيدينا فلم يتعرض لنقدها إلا بمجرد كلمة عابرة أثناء حديثه عن التفسير وتاريخه ونشأته والإسهاب في ذلك والتعرض لأمر لا علاقة لها بما ورد في مادة التفسير في الدائرة، الأمر الذي يستدعي الوقوف بالشكل الدقيق على ملحوظات مهمة مما جاء في الدائرة.

وعودة إلى النص المنقول آنفاً في الدائرة الذي يوضح وجهة نظر أصحابه حول الأحاديث في الكتب الجامعة والتي تتلخص في الأمرين التاليين:

الأمر الأول: قيمة الأحاديث وقصرها على تقرير مسألة شرعية أو غـرض كلامي أو كونها مجرد توضيح بل إنها على حد زعمهم قد تكون لمحض اللهو والتسلية!!!

الأمر الثاني: وهو كسابقه في الخطورة ألا وهو التشكيك في صحة هذه الأحاديث والـزعم بانقراض الصحيح منها ولا ريب أن هاتين الشبهتين لا تلبثان أن تنهارا أمام الحجة

والدليل وبيان ذلك يتلخص أيضاً في الأمور التالية:

أولاً: لم تكن الأحاديث في يوم من الأيام لمجرد اللهو والتسلية ذلك أن الأحاديث جزء مهم من

الوحي الذي أفره القرآن الكريم وأمر بلزوم أحكامه فقال مؤكداً سلامة المصدر: ﴿إِنَّ هُوَ

إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ النجم: ٤، ثم مبيناً قيمتها وانها فضلاً على أنها لتقريب - ر م - سألة ش - رعية

أو غرض كلامي أو مجرد توضيح كما افروا بذلك إنما هي أعظم البيان لآي القرآن كم - ا

قال تعالى ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٤٤)

ومثال ما جاء للتوضيح المعجز البليغ: ما أورده البخاري في صحيحه في كتاب

التفسير، باب قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ (الانشقاق: ١٩) عن ابن عباس رضي

ا عنهما قال: " لتركبن طبقاً عن طبق أي حالاً بعد حال، قال هذا نبيكم"^(١). وعلى ذلك

فإن الإدعاء بأن الأحاديث النبوية إنما هي لغرض اللهو والتسلية إدعاء في غاية الخطورة

وباطل أشد البطلان وحاشى وكلا لمن لا ينطق عن الهوى أن يتكلم عبثاً ذلك أن الذ - اطر

إلى هذه الأحاديث والمنتبع لها يجد أنها جاءت تنطق بأعظم القيم وأنبأها. وتكلمت بأشرف

كلام وأبينه. وحثت على أكرم خلق وأرفعه. وحذرت من الوقوع في معصية خالق الكون

ومدبره، كيف لا وهي تتحدث بتنزيل الحكيم الحميد، كيف لا وهي تتحدث بالبيان - ان ال - ذي

عجز أمة البيان.

ثانياً: أما قضية التشكيك في صحة هذه الأحاديث فيرد عليه بأن أئمة الحديث وعلم - اؤه اعتد - وا

بحديث رسولا عنائتهم بكتاب ا ، مع التسليم بأن القرآن متعهد بحفظه مت - واتر كلا - ه،

فوضعوا لأجل قبول الحديث أدق القواعد والمبادئ لضمان الحيطة والحذر ع - ن وف - وع

الضعف والوضع فيه فتميزت المصنفات الصحيحة المعتمدة عن الضعيفة التي ظهرت مع

توسع دولة الإسلام ودخول أهل الكتاب فيه، ولا شك أن المصنفات الحديثية التي تزخ - ر

بها المكتبات الإسلامية أكبر برهان على هذه الحقيقة، وأبرز ه - ذه الم - صنفات ص - حيا

البخاري ومسلم اللذان يتميزان بالصحة المطلقة غير القابلة للنقاش في حين تتميز الكت - ب

السته بالصحة في مجملها وعليه فالضعف يسير وهو واضح لا محالة يرفضه المسلم قبل

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب: "لتركبن طبقاً عن طبق" حديث رقم (٤٦٥٦).

والأحاديث النبوية التي جاءت في هذه الكتب الجامعة وأولها اصح كتاب بعد كتـاب ا عزو جل كثيره وأذكر شيئاً منها تأكيداً على هذه الحقائق.

(١) أورد البخاري في كتاب التفسير، باب: قوله عـ ز وجـ ل: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ

النَّاسُ﴾ (البقرة: ١٩٩) عن عائشة رضي ا عنها: "كانت قريش ومن دان دينهـا يقفـون بالمزدلفة، وكانوا يسمون الحمس، وكان سائر الناس يقفون بعرفات، فلما جاء الإسلام أمر ا نبيه ﷺ أن يأتي عرفات ثم يقف بها ثم يفيض منها^(١).

فهذا كما هو واضح جاء لتوضيح من أين يفيض الناس في الحج الـ ذي هـ و الـ ركن الخامس من أركان الإسلام، ولا خدش في درجة الحديث حيث مجيئه في جامع البخاري الذي بلغ قمة الدقة والعناية في انتقاء وجمع الصحيح من حديث رسول ا ﷺ.

(٢) في سورة الممتحنة باب قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ (الممتحنة: ١) عـ ن

علي بن أبي طالب - رضي ا عنه - قال: "بعثني رسول ا ﷺ) أنا والزبير والمقداد - رضي ا عنهما - فذكر حديث حاطب بن أبي بلتعة، وقال في آخره أنزلت فيه ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ (الممتحنة: ١) فهذا الحديث ببيان سبب نزول هــ ذه

الآية الكريمة يقرر مسألة هامة من مسائل العقيدة الإسلامية، مسألة الولاء و البراء عـ ز وجل ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ (الممتحنة: ١).

(٣) وجاء في سبب نزول قولـه تعـالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ

عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (التحریم: ١) عن عائشة - رضي ا عنها - قالـت: "كـان رسـول ا

ﷺ) يشرب عسلاً عند زينب بنت جحش ويمكث عندها، فوطئت أنا وحفصة عن أيتنا دخـل

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب: "ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس" حديث رقم (٤٢٤٨).

عليها فلتقل له: أكلت مغاير، إني أجد منك ريح مغاير، قال: لا، ولكنني كنت أشرب ع-سلا عند زينب بنت جحش، فلن أعود له، وقد حلفت لا تخبري بذلك أحدا^(١).

أليس هذان الحديثان أخباراً صحيحة في سبب نزول هاتان الآيتان؟ فكيف تدعون انه لا أمل في العثور على أخباراً صحيحة في أسباب لنزول القرآن وإذاعته بين الناس، هذا الخب-ران من اصح كتاب بعد كتاب ا عز وجل، وهناك كثير من الروايات الواردة في أسباب النزول في غير صحيح البخاري، صحيح مسلم، و الترمذي، وغيره من كتب السنة والمؤلفات المستقلة في أسباب النزول^(٢).

فمثال ما جاء في صحيح الإمام مسلم - رحمه ا - ما أورده في كتاب التفسير بسنده عن طارق بن شهاب، أن اليهود قالوا لعمر: إنكم تقرؤون آية لو أنزلت فينا لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، فقال عمر: إني لأعلم حيث أنزلت، وأي يوم أنزلت، وأين رسول ا (ﷺ) حيث أنزلت بعرفة ورسول ا واقف بعرفة " قال سفيان: يعني قوله تع-الى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ (المائدة آية ٣).

ومثال ما جاء في صحيح الترمذي، ما أورده في أبواب التفسير بسنده عن عامر بن ربيعة عن أبيه، قال: " كنا مع رسول ا (ﷺ) في سفر في ليلة مظلمة فلم ندر أين القبلة، ف(ﷺ) على حياله، فلما أصبحنا ذكرنا ذلك لرسول ا عليه الصلاة والسلام، فنزلت آية: ﴿فَأَيُّهَا تَوَلَّوْا فَنَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ (البقرة آية: ١١٥).

وعلماء الإسلام إذ يعرضون في حديثهم عن لفظة التفسير، لذكر التأويل والفرق بينه وبين التفسير، إلا أن دائرة المعارف الإسلامية قد عرضت للفظه التأويل في جزء مستقل من ال-دائرة تحت مادة التأويل فعرفه الكتّاب (باريه) بقوله:

"التأويل في الأصل معناه بوجه عام التفسير والشرح وفي بعض آيات القرآن الكريم الت-دي ترد فيها هذه اللفظة نراها تشير إشارة واضحة إلى الوحي الذي ينزل على النبي محم-د، و-د

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب قوله تعالى: " يا أيها النبي...".

(٢) منها أسباب نزول القرآن الكريم للواجدي ص٣٤٥، لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين السيوطي، وكتب التفسير بالمأثور فيها الكثير من روايات أسباب النزول.

صار استعمال التأويل بعد ذلك مقصوراً على هذا المعنى الخاص، وكانت من ثم تعني شـح معاني القرآن، وصارت حيناً ما مرادفة للفظـة تفسير، ثم اكتسبت اللفظـة نصيباً أوفـر مـن التخصيص ولو أنها لم تقتصر على هذا المعنى وحده، وصارت اصطلاحاً يطلق على تفـسير مادة القرآن، والتأويل في هذا المعنى وحده، وصارت اصطلاحاً يطلق على تفسير مادة القرآن الكريم، والتأويل في هذا المعنى الأخير يكون جزءاً إضافياً هـلما للشرح الطاهري للقرآن الـذي صار يسمى بالتفسير^(١).

بعد النظر في هذا التعريف لابد هنا من ملاحظات عديدة:

أولاً: ليس تعريفاً منهجياً علمياً،

فالتأويل لغة: هو من الأول وهو الرجوع، ومنه آل إليه الأمر بمعنى رجع^(٢).

أما التأويل اصطلاحاً: فهو "ما يفهم من الآية وراء ما تعطيه الألفاظ، أي التدبر والبحث عما وراء الألفاظ"^(٣)، ولعل هذا فيه إشارة إلى قول الكاتب "والتأويل في هذا المعنى الأخير يكون جزءاً إضافياً هـلما للشرح اللفظي الطاهري للقرآن"، ولكن هذا لا يسمى تفسير كما يقول.. فهو قد ناقض نفسه بنفسه في عبارته هذه.

* الفرق بين التفسير والتأويل:

لقد ذكر العلماء فروقاً عدة بين التفسير والتأويل، ومن أحسن ما ذكر في ذلك، وما أميل إليه، كلام الراجب الأصفهانـي في مقدمته، حيث ذكر فروقاً عدة، كلها مردها: أن التأويل يحتاج إلى دقة وتدبر وإعمال فكر في فهم الآيات القرآنية، وأن لا نكتفي بمعنى اللفظ الطاهر بل نتجاوزه إلى ما وراء اللفظ^(٤).

ولعل الراجب اعتمد الأصل اللغوي لكلمتي التفسير والتأويل، فالتفسير منـصب على الإيضاح والبيان، أما التأويل فهو مأخوذ من الأول الذي يعني الرجوع، فالتأويل يعمـل ذلك ويرجع ما تؤول إليه الآية القرآنية.

(١) الدائرة ج ٤ / ص ٥٢٣

(٢) لسان العرب ج ٦ / ص ٣٢

(٣) فضل عباس: التفسير سياساته واتجاهاته ص ١١٢

(٤) مفردات ألفاظ القرآن ص ١٠٠

ثانياً: الملاحظة الثانية في قول دائرة المعارف:

"هذه اللفظة أشارت إلى الوحي الذي ينزل على النبي محمد (ﷺ) في بعض آيات الق- رآن الكريم". وهذه الملحوظة لم يتعرض لها المعلق على مادة التأويل في الدائرة - أحمد محمد شاكر - رغم أن ما كتبه كان ذو فائدة عظيمة، لكنه كان مختصراً ولم يكن شاملاً لكل ش-ي-ء.. فه- ذا الكلام يخلو من الدراسة والفحص الدقيق للآيات التي ذكر فيها لفظة التأويل، فل- و تتبعا- ه- ذه الآيات لوجدناها كما ذكرها الأستاذ الفاضل فضل عباس^(١) كما يلي:

١- ما يتصل بالمتشابه:

قال تع-الى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۚ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (آل عمران: ٧).

٢- ما يتصل بتأويل الرؤيا:

قال تع-الى: ﴿وَقَالَ يَتَابَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءُوسِي مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ (يوسف: ١٠٠) وفي السورة نفسها في رؤيا الملك ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ﴾ (يوسف، ٤٤).

٣- في تأويل الأعمال وبيان ما يفصد منها:

قال تعالى حاكياً عن العبد الصالح يخاطب موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿سَأْنِيْتُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ (الكه- - ف، ٧٨)، وقول- - ه-: ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ (الكهف، ٨٢).

٤- وردت كلمة تأويل في صحة ما ينبنى عنه القرآن، وأنه محقق الوجود:

قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ (يونس، ٣٩).

* نشأة التفسير:

أشارت دائرة المعارف إلى نشأة التفسير أثناء حديثها عن لفظة التفسير، وذكر- رت ع- ده مؤلفات لتفسير علماء مختلفين في العصور والاتجاهات.

وهذا نص ما جاء في الدائرة:

"علم التفسير قديم يرجع إلى صدر الإسلام ويروى أن ابن عباس رضي الله عنه المتوفي عام ٦٨ بعد الهجرة كان حجة في التفسير وقد نسبوا إليه تفسيراً - محفوظاً بالمكتبة الحميدية - باستنبول" (١).

هذا التفسير المنسوب لابن عباس معروف باسم - تنوير المقياس من تفسير ابن عباس - للفيروز أبادي صاحب القاموس المحيط، وقد تناول العلماء هذا التفسير بالدراسة والبحـث، ودراسة الطرق التي رويت عن ابن عباس ومبلغها من الصحة، ليصلوا إلى خبر صحيح وفي صحة نسبة هذا التفسير إلى ابن عباس كما وقد الفت فيه رسائل جامعية.

ومن هذه الرسائل رسالة للدكتور إبراهيم محمد عوض النجار، حيث اخذ هذا التفسير بالتوثيق والدراسة وتوصل إلى أن تفسير ابن عباس المخطوط والمطبوع المسمى تنوير المقياس هما كتاب واحد لا تربطه بالفيروز أبادي آية صلة وكتاب الفيروز أبادي "تنوير المقياس من تفسير ابن عباس" الذي ذكرته المصادر قد فقد مما أدى بالتالي إلى عملية تلفيقية وفي القرن الثالث عشر الهجري أخذ عنوان كتاب الفيروز أبادي ووضعه لتفسير ابن عباس (٢) ولثبت أن هذا الكتاب ليس من تأليف ابن عباس أو إملائه على تلاميذه، حيث قال: "والناظر في تنوير المقياس يدرك من الوهلة الأولى أن هذا الكتاب لا يمكن أن يكون من كتابة ابن عباس أو تصنيفه، ويرجع ذلك إلى أسلوبه وترتيبه ولغته" (٣).

وبعد أن دلل على ذلك بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة، قال:

(١) الدائرة ج ٥ / ص ٤١٠.

(٢) تفسير تنوير المقياس المنسوب إلى ابن عباس توثيق ودراسة: إبراهيم النجار ص ٣١٨

(٣) تنوير المقياس، المرجع نفسه، ص ١٠٧.

"من كل هذه الأدلة، نقول: إن هذا التفسير لا يمكن نسبته إلى ابن عباس على أنه مـ. ن تصنيفه أو كتابته أو روايته على أحد تلاميذه خاصة وإن رواياتهم عنه معروفة ولا يلتقي مـ. ع التتوير في أغاب أحوالها بشيء"^(١).

وفي نهاية الدراسة، رجع صحة نسبة متن الكتاب إلى ابن عباس، حيث قال: "كل ما جاء في متن الكتاب عن ابن عباس يرجع صحة نسبة متن الكتاب إلى ابن عباس"^(٢).

أقول ويمكن أن يكون وهم نسبة الكتاب إلى ابن عباس جاء من هنا أي من نسبة متنه إلى ابن عباس، لكن كما اثبت الكاتب لا تصح نسبة الكتاب إليه على أنه من تأليفه - رضي الله عنه - وا اعلم.

* أنواع التفسير:

أشارت دائرة المعارف العالمة إلى بعض أنواع التفسير من خلال حديثها عن تفاسير بعض العلماء وتقديمهم لها وأولهم الطبري حيث قال الكاتب أثناء حديثه عن معنى التفسير: "والطبري هو المؤرخ العظيم المتوفى عام (٣١٠ هجري) ويشمل تفسيره المطول كثيرا مـ. ن الأحاديث المسندة الصحيحة.

أما الزمخشري المتوفى عام (٥٣٨ هجري) فقد كان فطنا حاد الذكاء صاحب خلاق مرهف الحس، وفقيها في اللغة، ولتفسيره الكشف مكانة كبرى وقد شرحه^(٣) بعض أفاضل الفقهاء مثل التفازاني المتوفى عام (٧٩٢ هجري)، والسيد الشريف الجرجاني المتوفى عام (٨١٦ هجري)، وتفسير البيضاوي أشهر التفاسير وهو الذي يقرأ في المدارس، ويحدد مذاهب أهل التفاسير مـ. ن المسلمين في تفسير القرآن الكريم وقد علق الكثيرون على هذا التفسير، ونذكر مـ. ن التفاسير الأخرى تفسير فخر الدين الرازي المتوفى عام (٦٠٦ هجري) ويعرف باسم التفاسير الكبير وتفسير إسماعيل البروسوي المتوفى عام (١١٢٧ هجري) وله مقام كبير عند التـرك والكـر هؤلاء العلماء من فارس". وفي فقرة لاحقة قال: "وفي أيامنا هذه حاول عالم مصري هو الشيخ

(١) المرجع نفسه، ص ١٠٩

(٢) المرجع نفسه، ص ٣١٩

(٣) كلام الكاتب هنا غير دقيق فقد وقفت على شرح الجرجاني ولم اعثر على شرح للتفازي

الطنطاوي (جوهري) أن يجدد دراسة التفسير، وقد نشر تفسيراً فيه الكثير من الآراء المأخوذة عن الفلسفة والعلوم الحديث^(١).

ويمكن أن يفهم من الكلام السابق بعض الأنواع الرئيسية للتفسير التي ذكروها:

أولاً: النوع الأول من التفسير:

التفسير المأثور:

وذلك بإشارته إلى تفسير الطبري وأنه يحتوي كثيراً من الأحاديث المسندة الصحيحة، فهو لم يعرف التفسير المأثور، ولم يذكر أنواع التفسير.

فالتفسير المأثور: هو الذي يشمل ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نقل عن الرسول (ﷺ) وما نقل عن الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً وما نقل عن التابعين من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم^(٢) ولكن لا بد هنا من وقفة مع هذه العبارة التي يقول فيها الكاتب: "والطبري وهو المؤرخ العظيم ويشتمل تفسيره المطول على كثير من الأحاديث المسندة الصحيحة".

هذه العبارة يعوزها الدقة والفحص الدقيق لما جاء في تفسير الطبري، فتفسيره كمـا هــ و معروف يشتمل على كثير من الأحاديث الضعيفة والإسرائيليات، ذلك أن الطبري كـان منهجـه ذكر الأحاديث مسندة دون التنبيه إلى الصحيح من غيره منها، وقد تتبع العلماء هــ ذه الأحاديث بالدراسة والتدقيق لمعرفة الصحيح من غيره منها والفت في ذلك مؤلفات وكتـب فيـه رسـائل جامعية.

ثانياً: أما النوع الثاني من أنواع التفسير:

فهو التفسير بالرأي:

فبذكره لتفسير الكشاف وغيره من التفاسير الأخرى التي تذكر على أنها من الأمثلة على

(١) الدائرة ج ٥ / ص ٤١٠

(٢) الذهبي: التفسير والمفسرون ج ١ / ص ١٠٥

التفسير بالرأي فما هو التفسير بالرأي:

يعرف التفسير بالرأي عند علماء المسلمين: بأنه عبارة عن تفـسير الفـرآن بالاجتهـاد، والاجتهاد هنا اجتهاد يستند إلى أسس صحيحة ثابتة، لذلك قسموا الرأي إلى رأي محمـود ورأي مذموم، فالرأي المحمود: "هو الذي يستند إلى معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالتها، واستعانتة في ذلك بالشعر الجاهلي، ووقوفه على أسباب النزول ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن الكريم، وغير ذلك من الأدوات التي يحتـاج إليها المفسر"^(١).

أما الرأي المذموم: "هو الرأي الذي لا يستند إلى شيء من هذه الأسس، بل يعتمد على الهوى الناشئ عن جهل أو نحلة باطلة، أمثلة هؤلاء الذين أشار إليهم الكاتب أثناء حديثه عن لفظة التأويل وسنأتي إليها إن شاء الله.

وقبل أن تنتقل إلى موضوع آخر لا بد هنا من وقفة مع قول الكاتب: "وتفسير البيضاوي أشهر التفاسير وهو الذي يقرأ في المدارس ويحدد مذاهب أهل التقى من المسلمين".

لعل الكاتب في هذه العبارة ما أصاب الحق والصواب، ذلك أن هناك تفاسير اشتهرت قبل هذا التفسير، وكما نعلم هذا التفسير اختصره صاحبه من تفسير الكشاف للزمخشري، لكنه ترك ما فيه من اعتزاليات وإن كان أحياناً يذهب إلى ما ذهب إليه صاحب الكشاف، وكذلك الأمر مع البيضاوي من التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) للفخر الرازي، ومن تفسير الراغب الأصبهاني، وإذا نظرنا في هذا التفسير نجد أن البيضاوي كثيراً ما يقرر مذهب أهل السنة ومذهب المعتزلة عندما يعرض لتفسير آية لها صلة بنقطة من نقاط النزاع بينهم^(٢)، ولعل هذا ما قصده الكاتب بقوله "ويحدد مذاهب أهل التقى من المسلمين".

وبعد البيضاوي وبعد الرازي تعددت التفاسير وتعددت المدارس الفكرية كذلك، فهناك

(١) الذهبي ج ١ / ص ١٧٠

(٢) المرجع نفسه، السابق، الذهبي ج ١ / ص ١٧٠

التفسير الفقهي واللغوي والعقدي، ففي كل عصر من العصور كـان يطهر رتفـ سير، فهـاك التفسيرات المشتهرة لأبي حيان وابن كثير، ومن جاء بعدهم مثل أبي السعود، حتى القرن الثالث عشر الهجري، وجد فيه موسوعة تفسيرية رائعة وهو تفسير "روح المعاني" للعلامة الألوـسي، وهناك تفاسير ذات شهرة علمية، ذات فوائد جمة للشيعة الإمامية كتفسير "مجمع البيان" وغيرهم.

أما التفسير في العصر الحديث فقد أخذ أهمية في محاولة إيقاظ المسلمين بتفسير الفـ رآن تفسيراً يوافق روح العصر الجديد الذي اتصل فيه الشرق المستعمر بالغرب يلقي مفاهيم جديدة ويطرح موضوعات متعددة، تشكل عبئاً على عاتق العلماء، ذلك أن الاستعمار بجناحيه التبـشير والاستشراق يبذل محاولات كثيرة هدفها قطع الصلة بين المسلمين وبين تراثهم، وبخاصة القرآن والسنة، وقد جند لذلك كثيراً ممن تشرّبوا ثقافته، وفتنوا بقوته، وما أعظم الفرق بـين نفـسيتين: نفسية الضعيف المستهدف، ونفسية القوي المستبد، وكان ذلك يتطلب من ذوي الكفاءة والغيرة من أن ينبهوا المسلمين إلى هذه المخاطر وليذكروهم أن دينهم بعلمه وكتبهم بخاصة أسـس المدنية الفاضلة، وكان في مقدمة هؤلاء الإمام محمد عبده - رحمه ا - فقد حـاول أن يفسر القرآن الكريم تفسيراً يوافق أسلوبه روح العصر، وينسجم مع المثقفين الجدد ولكن الـشيخ لـم يحاول يوماً أن يتكلم ليثبت أن المخترعات الحديثة والنظريات الجديدة موجودة كلها في الفـ رآن الكريم ، ذلك أمر لم يكن منهج الشيخ، وإنما كان كل همه وهم رجال مدرسته مـن بعـده، أن ينبهوا المسلمين إلى سنن ا في هذا المجتمع البشري والتي شرحها القرآن الكريم شرحاً وافياً، صحيح بذات بعض المحاولات فيما بعد لتفسير القرآن الكريم تفسيراً علمياً، ولقد وقفت مدرسة الشيخ من هذه المحاولات موقف المنكر والمستنكر في الغالب، ويظهر لنا ذلك في موقف الشيخ رشيد رضا صاحب "المنار" من تفسيرات الشيخ طنطاوي جوهرى - رحمهما ا - ولعل هـذا يفسر ما أشار إليه الكاتب بقوله: " وفي أيامنا هذه حاول عالم مصري هو الطنطاوي جوهرى أن يجدد دراسة التفسير وقد نشر فيه كثيراً من الآراء المأخوذة من الفلسفة والعلم الحديث "، وفي هذا التفسير أعني - طنطاوي جوهرى - يقول الدكتور صبحي الصالح: " وقد ألقت في الفـ رن الأخير تفاسير لبعض العلماء المعاصرين فيها محاولات للتجديد، وأقلها نصيباً من النجاح، بـلا ريب - الجواهر في تفسير القرآن - لطنطاوي جوهرى، فإن في تفسيره كل شـيء مـا عـدا

ورداً على ذلك لا بد من تقرير حقيقة كون القرآن الكريم شديد الاختزال والاكتناز للأفكار والمعاني، وهو ما يشير إليه المفسرون بقولهم: "القرآن حمال أوجه" وعليه، فإن فكرة التجديد ليست مرفوضة في التفسير، لكن الذي لا نقره أن يكون هذا التجديد قائماً على أسس وقواعد غير منضبطة كالذي نلاحظه في تفسير "الجواهر" الذي أكثر فيه المفسر من الاعتماد على النظريات والخرافات، الأمر الذي لا يقبل إطلاقاً عند المفسرين قديماً وحديثاً.

* شروط التفسير :

ولقد أشارت إليها دائرة المعارف أثناء حديثها عن معنى التأويل:

قال الكاتب (باريه) أثناء حديثه عن معنى التأويل: "والتأويل في هذا المعنى الأخير يكـون جزءاً إضافياً هاما للشرح اللفظي الظاهري للقرآن الذي صار يسمى "بالتفسير" ولم يجد علماء السنة مسوغاً لإنكاره مادام لا يناقض المعنى الظاهر الحرفي للقرآن أو السنة، ولكن المسألة تغيرت عندما أصبح التأويل لا يراعي هذه الشروط"^(٢)

وقال في فقرة لاحقة: "والصوفيون وإخوان الصفاء والشيعة والمدارس الفكرية عندما انحرفت عن طريق السنة جعلت التأويل أداة صالحة لجعل آرائهم متفقة مع المعنى الحرفي للقرآن الكريم بل ذهبوا إلى استنباط آرائهم من نصوصه..."^(٣)

ولدى النظر والتحليل نجد أن نص الكاتب يحوي ما يلي:

أولاً: الشروط التي ذكرها للتفسير، وهي:

- ١- أن لا يناقض المعنى الظاهر الحرفي للقرآن أو السنة.
- ٢- أن لا يفسر النص القرآني وفق آرائه وهواه.
- ٣- البعد عن التفسير المقرر للمذهب الفاسد، بأن يجعل المذهب أصلاً والتفسير تابعاً فيحتال

(١) مباحث في علوم القرآن ص ٢٩٧

(٢) الدائرة ج ٤ / ص ٥٢٣

(٣) المرجع السابق.

في التأويل حتى يصرفه إلى عقيدته، ويرده إلى مذهبه بأي طريقة أمكن، وإن كان غاية في البعد والغرابة، هذه الشروط كما هو معلوم مسلم بها عند العلماء المسلميين ولكن هناك شروطاً أخرى لا بد من ذكرها لم يتنبه إليها الكاتب وهي:

١. البعد عن التهجم على بيان مراد الله من كلامه مع الجهالة به - وإنين اللغة - وأصد - ول الشريعة دون أن يحصل العلوم التي يجوز معها التفسير.
 ٢. البعد عن الخوض فيما استأثر الله بعلمه، وذلك كالمتشابه الذي لا يعلمه إلا الله .
 ٣. التفسير مع القطع بأن مراد الله كذا وكذا من غير دليل^(١)
- هذا وقد اشترط العلماء في المفسر الذي يريد أن يفسر القرآن برأيه دون أن يلتزم الوقت - وف عند حدود المأثور منه فقط عدة شروط أجملها الدكتور مناع القطان^(٢)، وهي:

١. صحة الاعتقاد.
٢. التجرد عن الهوى.
٣. أن يبدأ أولاً بتفسير القرآن بالقرآن.
٤. أن يطلب التفسير من السنة.
٥. فإن لم يجد في السنة رجع إلى أقوال الصحابة.
٦. فإن لم يجد في أقوال الصحابة رجع إلى أقوال التابعين.
٧. العلم باللغة العربية وفروعها.
٨. العلم بأصول العلوم المتعلقة بالقرآن.
٩. دقة الفهم.

ثانياً: التفسيرات المنحرفة في دائرة المعارف:

وقد أشار إليه الكاتب أثناء حديثه عن لفظة التأويل، فقال:

".. وإلى جانب التفسير الحرفي لنصوص القرآن نشأ تفسير رمزي النزعة وجد في ثناياها

(١) الذهبي: التفسير والمفسرون ج ١ / ص ١٨٢

(٢) مباحث في علوم القرآن، ص ٣٢٩ - ٣٣١.

القرآن أفكاراً بعيدة عن المألوف، وقد صارت المدارس المتطرفة ترى في هذا النقل والتحدّـ وير للمعنى الظاهري السبيل الوحيد لتفهم القرآن وبذلك أهملوا التفسير التقليدي بل صدّـارت أحكام القرآن في رأي أصحابها غير واجبة الاتباع، والتأويل الرمزي يمكن اعتباره في جوهره إسلامي الأصل والنشأة^(١).

فاتجاهات التفسير التي خصها بالذكر دون غيرها من الاتجاهات القيمة عند المسلمین والتي سبق الإشارة إليها وهي:

١- التفسير الحرفي لنصوص القرآن الكريم والذي وصفه بالتقليدي.

٢- التفسير الرمزي.

وهذا التفسير الأخير - الذي أشار إليه انه قد نشأ عن تأويلات الصوفية وغيرهم ممـ ن أشار إليهم الكتّـب، ومثل هذه التأويلات لا تمت للإسلام بصلة وإن كان قائلوها يسمون بأسماء إسلامية.

ويذكرون في تاريخ الإسلام، ذلك أنهم تكلموا في القرآن بغير علم، وادّـعوا أن له ظـاهراً وباطناً، وأن الباطن لا يعلمه هؤلاء إلا بشيء يزعمونه نحو الإلهام، وهم لم يفقهوا ظاهر القرآن الكريم، ولم يعرفوا شيئاً من السنة، أو عرفوا وأعرضوا عنه لما وقر في نفوسهم مـن حـبـب الأعراب، أو من آراء تنافي الإسلام. فأرادوا أن يلصقوها به، فالإسلام بريء من أقوالهم وآرائهم هذه، والإسلام بين واضح سهل لا رموز فيه ولا الغار، ورسول الله (ﷺ) قد ترك المسلمين على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، فكل من حاد عن هذه السبل، فإنما أعرض عن الصراط المستقيم وتفرقت به السبل حتى خرج عن كل طريق من طرق الإسلام أو من الطريق التي تشبه أن تتصل بالإسلام ممن وصفهم الكتّـب بقوله: " بل صارت أحكام القرآن في رأي أصحابها غير واجبة الاتباع". ومن ذهب هذا المذهب أو قريباً منه فلا يمكن أن يعد من المسلمين ولا ينسب قوله إلى أقوال أهل الإسلام^(٢).

(١) الدائرة ج ٤ / ص ٥٢٣

(٢) انظر: أحمد شاكر على مادة التأويل في الدائرة ج ٤ / ص ٥٢٤

وهذا التأويل - أعني الرمزي - يمكن القول بأنها تسربت إلى المسلمين من عقائد وفـرق ضالة، فتمسك بعض من هؤلاء الذين ينتسبون إلى الإسلام لتلبية مطالبهم وأهوائهم الضالة أعاننا منهم، وعلى ذلك فلا يمكن اعتبار هذا التفسير إسلامي الأصل والنشأة كما قال الكاتب.

ومن هذه الفرق، الامامية الإثنا عشرية، والباطنية الذين لا يمكن أن يكونوا داخلين في عداد طوائف المسلمين، وإنما هي في الأصل جماعة من المجوس رأوا شوكة الإسلام قوية لا تقهر، وابتصروا عزة المسلمين فتية لا تغلب ولا تكسر، فاشتعلت بين جوانبهم نار الحقد على الإسلام والمسلمين، ورأوا أنه لا سبيل لهم إلى الغلبة على المسلمين بقوة الحديد والذمار، ولا طاقة لهم بالوقوف أمام جيشهم الزاخر الجرار، فسلخوا طريق الاحتيال الذي يوصلهم إلى مآربهم وأهوائهم، ليطفئوا نور الأفاواههم، وخفي على هؤلاء الملاحدة أن المتمم له وره ولـوكـره الكافرون^(١) وفي ذلك يقول الدكتور صبحي صالح:

أما التفاسير الباطنية، فليس فيها إلا التأويلات الفلسفية المغالطة للأصول الشرعية، وفواعد اللغة والتفسير الباطنية اشد بعداً عن النسق القرآني من تفاسير التصوف والتفاسير الإشارية، وإن كانت تشترك جميعاً في مخالفة ظاهر القرآن واستلهاهم ما لنـزل بهـا من سلطان^(٢).

(١) التفسير والمفسرون ج ٣ / ص ٨٤

(٢) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص ٢٩٧.

التفسير التحليلي ومصادره من خلال السور

لفظ سورة معناه ودلالته:

جاء في تعريف لفظ "سورة" في دائرة المعارف الإسلامية ما يلي:

"سورة: هو الاسم الذي سميت به فصول القرآن وفي القرآن نفسه تدل الكلمة على ما أنزل على النبي محمد (ﷺ) من الوحي متفرقا من حين إلى حين، ومن ثم تحدى صومه أن يأتوا بسورة ممن مثله أو بعشر سور مثله مفتريات" (١)

وفي فقرة لاحقة قال: "ويذهب نولدكه إلى أن - سورة - هي الكلمة العبرية الحديثة - شورا - ومعناها الترتيب أو السلسلة" (٢)

هناك العديد من الكلمات التي ادعى المستشرقون بأنها غير عربية ككلمتي الإيم - ان و الصلاة حيث زعمت دائرة المعارف البريطانية أن الأولى عبرية وان الثانية آرامية، وكذلك كلمة فلم حيث ادعى أنها من اصل يوناني، وزعموا أن سدره المنتهى التي وردت في سورة النجم من اصل لاتيني، وهذا يحملنا على الاستنتاج بان المصادر الغربية على اختلاف أقاليمها وأزمته - ا تلت هذه الأقوال عن مصدر واحد دون تحر عن الحقيقة أو بحث علمي قائم على خط - وات منهجية (٣)

وإذا أردنا أن نحكم الرد على هذه الشبهة لا بد قبل ذلك أن نبين:

أن العرب حافظوا على لغتهم بكل ما منحوه من براعة وقوة، وذلك بالعناية بمفرداتها - ا عنالية تامة، وفي ذلك غاية وهدف عظيم وهو أن نرد على أولئك ال - دين يري - دون أن يج - ردوا العربية من كثير من المعاني وكثير من الألفاظ كما ادعوا هنا " في معنى سورة " وغيرها كم - ا أشرت قبل قليل وهناك غاية أخرى وهي أن لا يتسرب إلى العربية ما هو بعيد عنها - ا وأجنب - ي منها (٤) وفي ذلك يقول عباس العقاد:

"فإذا التبس علينا أي كلمة من الكلمات فلم نعلم ظاهر الأمر أهى من الألفاظ الأص - يلة أم

(١) الدائرة ج ١٢ / ص ٣٥٧

(٢) المرجع نفسه.

(٣) قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية ص ٢٦، فضل عباس

(٤) المرجع نفسه، ص ٢٧.

من الدخيل عليها فلدينا المقياس الحاضر نقيس به دلالة الكلمة، ونزدها إلى حياة الع-رب وال-ى المعهود من تعبيرها عن معالم تلك الحياة، فلا يطول بنا العناء في الرج-وع به-ا إل-ى أصل-ه معقول نطمئن به^(١)

قيل مثلاً إن كلمة "القلم" مأخوذة من "كلموس" اليونانية، ولا يعزى الاستناد في هذا الف-ول إلى مرجع من مراجع التاريخ المحقق غير مجرد الطن القائم على التشابه في مخارج اللفظ-ين وهو لا يدل على السابق إلى وضع الكلمة من اللغتين.

ولكننا نستطيع أن نرد الكلمة إلى القلم أو التقليم من القلامة في اللغة العربية، فنرى أنه-ا أصيلة في هذه اللغة بهذا المعنى، ونتقصى المادة فنعلم أنها لا تنقل بجملتها من لغة إلى لغة.

فمادة القاف والميم وما يتوسطها مطردة في الدلالة على الشق والقطع، ومنها " فحم، قرم، قسم، قصم، قضم، قطم، وقلم " وهي آخرها في ترتيب الأبجدية.

ونعود إلى الشيء الذي "يقلم" فنعلم أن القناة والقصة والريشة مما تعلمه العرب ويتخذونه من لفظ أصيل في لغة العرب لا ينقلونه من لفظ آخر في لغة أجنبية^(٢) وما ذكره الأستاذ العقاد - رحمه ا - منسجم مع المنهج العلمي المنطقي، وبذلك يمكننا أن نقف مع كلمة سورة هنا التي ادعى أنها غير عربية وسنرى أنها عربية الأصالة والأصل.

وإذا رجعنا إلى التعريف - أعني تعريف سورة - الذي أورده صاحب المقال في ال-دائرة فسنلاحظ أن هذا التعريف كغيره من التعريفات في دائرة المعارف الإسلامية هز-ل، ويزيد-ه هزلاً أن الكاتب لم يرجع إلى مصدر إسلامي أو إلى المعاجم اللغوية لمعرفة معنى لفظة "س-ورة" لغة واصطلاحاً - وهذا يدينهم في كتاباتهم، فمرجعهم غالباً ما يكتبه قومهم من أمثالهم، حتى في هذه الأمور التي لا بد أن يرجعوا فيها إلى أصحاب الشأن الذين هم أعلم وأدرى بال-اس به-ا، وليس في ذلك اتباع للمنهج العلمي الصحيح، فكلمة "سورة" خرجت في المعاجم اللغوية لا سيما الكبرى منها، وفي التفاسير الكبيرة ذوات المقدمات المفردة في علوم الف-رآن ك-الطبري ال-ذي وصف بأنه المؤرخ العظيم تحت لفظة "التفسير" ففي مقدمة الطبري يقول: " هناك ق-ولان ف-ي اشتقاق السورة ومعناها:

الأول : أنها بغير همز ومعناها المنزلة العالية الرفيعة، مشتقة من السور وه-و الج-دة والعلا-و

(١) اللغة الشاعرة، ص ٣٠ - ٣٨.

(٢) المرجع نفسه.

والارتفاع وهو الأرجح^(١) والذي يرجحه أيضا أن مادة السين والواو والراء تدل على العلو والارتفاع قال ابن فارس: "السين والواو والراء أصل يدل على علو وارتفاع ومن ذلك ساريسور، إذا غضب وثار، وإن لغضبه لسورة، والسور جمع سورة وهــي كـل منزلة من البناء، قال:

ورب ذي سرادق محجور سرت إليه في أعلي السور^(٢)

ومنه سور المدينة، حائطها الذي يحيط بها، وهو مرتفع عليها وسورة القرآن تضم آياتها فيها، كما يضم السور بيت المدينة.

قال النابغة الذبياني:

ألم تر أن أ أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يندب

أي أن أ أعطاك منزلة رفيعة من الشرف قصرت عنها منازل الملوك الآخرين.

الثاني: أنها بهمز، مشتقة من السور وهو القطعة الباقية من الشيء، وسور الرجل، هــو البقية الباقية من الماء في الإناء بعد شربه منه، وهذا بعيد.

وسميت السورة بذلك باعتبارها قطعة من القرآن خصصت عن غيرها وأبقيت وحدها..

ثم قال صاحب الدائرة: "ومن ثم تحدى خصومه أن يأتوا بسورة من مثله " سورة البقرة رقم ٢١، " رقم هذه الآية ليس صحيحا فرقم الآية جاء في القرآن الكريم رقم " ٢٣ " في سورة البقرة، و في سورة يونس جاء رقم الآية "٣٨" وليس "٣٩"، وفي سورة هود جاء رقم الآية "١٣" وليس "١٦"، وفي سورة التوبة الآية رقم "٦٤" وليس "٦٥" وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على عدم دقة القوم وموضوعيتهم في النقل والتوثيق، إذ إن الآيات القرآنية مـن الوضـوح والدقة ما يستحيل على عاقل أن يخطئ في تحديد أي آية منه، فكيف مع وجود المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم!!

ثم قال بعد ذلك: "ونجد الآية التالية عنوانا لـسورة - يـفـصد - (سـورة أنزلناها وفرضناها)..". كلمة عنوان هنا لا ادري مراد الكاتب منها، فهل هو قصد أن مقدمة السورة هذه الآية، أو أنها أول الكلام وفاتحته؟؟ أم...؟؟ والذي يظهر أنه أراد أن يشير إلى أن سورة النور افتتحت بكلمة سورة.

(١) تفسير الطبري ج ١ / ص ٥١ وما بعدها

(٢) معجم مقاييس اللغة: ابن فارس ج ٣ / ص ١١٥

ثم يتابع الكاتب قوله عن لفظة سورة: " والكلمة من حيث المضمون تقترب بكلمة - ق- رآن بمعناها الأصلي، ولكنهما أصبحتا منفصلتين في الاستعمال من بعد، فقد غدا القرآن اسماً على الوحي المجموع في كتاب، على حين استعملت السورة للدلالة على فصول الكتاب الكريم الـذي كان يضم في الأصل كل وحي على حده، ثم جمع فيه كل ما نزل من الوحي"^(١).

هذه العبارة من اقتران القرآن بلفظة سورة من حيث المضمون ثم انفصالهما عن بعض، عبارة في غاية الغموض وعدم التحري والدقة في نقل الأفكار والمعاني، فمتى كان زمن اقترانهما ومتى كان زمن انفصالهما، وهذا الكلام لا أصل له من الصحة ولم يقل به أي عالم من علماء المسلمين، وهم بذلك يطيلون الكلام في البحث عن أصلها ومعناها، ومن أين جاءت، كيف أتى بها النبي (ﷺ)، فيقول الكاتب: " أما من أين أتى النبي (ﷺ) بهذه الكلمة فأمر لا يزال غير ثابت على الرغم من المحاولات التي بذلت لتتبع أصلها.. ويذهب " نواذكه " إلى أن (سورة) هي الكلمة العبرية الحديثة (شورا) ومعناها الترتيب أو السلسلة ولو قد أمكن تفسيرها بأنها " السطر " لما قادنا ذلك إلى المعنى الأصلي للكلمة، ويعترضه هذا الرأي أن السورة الواحدة كما جاء في الآية الأولى في سورة النور تحتوي عدة آيات، وربما كانت الكلمة ترتبط بصورة النبي (ﷺ) لكتاب في الجنة (الكتاب).. نزلت عليه محتوياته متفرقة، ويجوز أن تدل على القطعة أو الجزء أو شيء من هذا القبيل وهو مدلول معقول قد يفسر لنا أيضا استعمالها المتأخر"^(٢).

إننا نلاحظ في كلام الكاتب هذا التخط والاضطراب في عرض الأفكار، وعدم تسلسلها فلم يتبع منهجاً علمياً صحيحاً ارتكز عليه الكاتب من البداية إلى النهاية. وهذا ما كان ملاحظاً دائماً في أغلب كلام الدائرة.

وقول الكاتب: " ويجوز أن تدل على القطعة أو الجزء أو شيء من هــ ذا القبول مـ دلول معقول قد يفسر لنا أيضا استعمالها المتأخر على أننا لا نستطيع أن ننسب هذا الرأي من الناحية اللغوية".

يقول استعمالها المتأخر، وهل كان لهذه اللفظة استعمال متقدم ثم إن كان ما هو الاستعمال المتقدم لها، لا نعرف شيئاً من هذا!

ثم ما الذي رجع إليه حتى يستطيع أن يثبت ذلك من الناحية اللغوية أم لا، هذا يدن القوم فهم يحاولون تشتيت أذهان الناس ويكتبون بشكل عام ولا يرجعون إلى أمهات الكتب التي يجب د

(١) الدائرة ج ٢ / ص ٣٥٧

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ج ١٢ / ص ٣٥٧

فيها الباحث عن الحقيقة ضالته، ولكن كما أسلفنا القوم لم يرجعوا إلى المعاجم ولا إلى المؤلفات التي فصل الكلام فيها حول لفظة (سورة) وما هو متعلق بسور القرآن الكريم وترتيبـه وغيـر ذلك مما يرتبط بهذا الكتاب من علوم كلها متصلة ببعضها البعض.

ثم يقول الكاتب: "والقرآن المعتمد يحتوي على (١١٤) سورة والسورة الأولى الفاتحة"^(١)

وهل يوجد قرآن غير معتمد، لعل القوم أخذوا هذه اللفظة من استخدامهم للإنجيل، الإنجيل المعتمد وغير المعتمد. وفرق شاسع بين هذا الكتاب العظيم الذي تكفل بحفظه إلى يوم الدين وبين هذه الكتب التي لم تسلم من عبث العابثين، وحرفت وبدلت ولـم يـدق فيـهـا إلا الهـوى والشيطان، وهم بذلك يحاولون مساواتها مع هذه المعجزة الخالدة إلى يوم الدين، ويلمس من هذه الجملة شيء من الشك في حقيقة صحة هذا الكتاب ودليل ذلك من كلامهم حيث يـقـول الكاتب بـ: "والسورتان الأخيرتان ليستا إلا استعانة ترتبط ببقية السور استهلالا وخاتمة ارتباطا واهنا"^(٢).

ويدل على ذلك بقوله: "وهذا يتفق وما يقال من أنها لم ترد في نسخة القرآن التي جمعها ابن مسعود، وقد كان ثمة شيء من التسهيل في جمعه أول الأمر، مثال ذلك أن أبيا زاد سورتين على السور المجمع عليها، وكذلك لم يحدد ترتيب السور تحديدا دقيقا ولو أننا نلاحظ أن النسخ المختلفة قد أخذت قاعدة واحدة في الترتيب"^(٣).

والناظر في هذه العبارات سيلاحظ قضيتين خطيرتين:

أولاً: القضية الأولى: حول سور القرآن الكريم:

إذ أن الكاتب بعبارته التي تقدمت حول السورتين الأخيرتين من القرآن الكريم ، كأنه ينكر وجود أي قيمة عظيمة لهاتين السورتين تستمد من قيمة ومكانة جميع سور هذا الكتاب الذي لم يحفظ كتاب كما حفظ، ولم يخدم كتاب على وجه الخليفة كما خدم هذا الحق المبين، هذا البيان الذي اعجز الخلق ولا يزال إلى يوم الدين، هذا الكتاب الذي أخرج من دوائنه وأسراره ما حير أكبر العلماء وبلغ البلغاء. هذا الذي أقسم رب العباد بالتكفل بحفظه إلى يوم الميعاد، إذ قال عـز من قائل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (سورة الحجر آية ٩)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ

(١) الدائرة ج ١٢ / ص ٣٥٨

(٢) الدائرة ج ١٢ / ص ٣٥٨

(٣) المرجع نفسه.

فَصَلِّ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٦﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٧﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٨﴾ فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَمْهَلُهُمْ رُوبًا ﴿١٩﴾ (سورة الطارق آيات ١٣ - ١٧).

وان كانت جاهلية القرن العشرين قد وصفته بالهزل، فجاهلية أهل مكة قد وصفته بالسحر والكهانة وبالهزل أيضا، فلم يؤثر ذلك على عظمة مكانته بل على العكس قد زاده رفعة وشهرة وعظمة، واهتماما ومعرفة، وردا كيدهم في نحورهم خائنين وهذا مصير كل من تنسول له نفسه الادعاء على هذا الكتاب العظيم، ووصفه بشيء من ذلك.

ثم إذا نظرنا في هاتين السورتين وحاولنا تفهم معانيهما، ومدى جمال سياق الكلام والبيان فيهما، وما جاء في هاتين السورتين من أخبار صحيحة عن فضائلها لنطق قلوبنا وجوارحنا مسبحة مهللة موحدة بفائل هذا الكلام البديع وهلكم بعض مما ورد من أخبار فيها: أورد ابن كثير - رحمه الله - في تفسير المعوذتين^(١).

"عن زر بن حبیش قال: قلت لأبي بن كعب إن ابن م - مسعود لا يكتب المعوذتين في مصحفه، فقال: اشهد أن رسول الله (ﷺ) أن جبريل قال له: (قل أعوذ برب الفلق) فقالها، قال: (قل أعوذ برب الناس) فقلتها، فنحن نقول ما قال النبي (ﷺ).

ورواه أبو بكر الحميدي في مسنده عن زر بن حبیش قال: سألت أبي بن كعب عن المعوذتين فقلت: يا أبا المنذر إن أخاك ابن مسعود يحكها من المصحف، فقال: إني سألت رسول الله (ﷺ) فقال: قيل لي قل فقلت، فنحن نقول كما قال رسول الله (ﷺ).

وقال البخاري: عن زر قال: سألت أبي بن كعب فقلت: أبا المنذر إن أخاك ابن م - مسعود يقول كذا وكذا، فقال: إني سألت النبي (ﷺ) فقال: (قيل لي فقلت) فنحن نقول كما قال رسول الله (ﷺ)^(٢).

فهذه الروايات المعتمدة عند علماء الشأن تدفع الوهم المنسوب لأبي من أنه زاد سورتين على السور المجمع عليها:

سورة الفلق:

أما عن مناسبة هاتين السورتين وارتباطهما ببقية السور فقد أشيع الحديث فيه صاحب نظام

(١) تفسير ابن كثير ج ٣ / ص ٤٧٠

(٢) صحيح البخاري ٤٩٧٦

الدرر فقال:

مقصودها الاعتصام من شر كل ما انفلق عنه الخلق الظاهر والباطن واسمها ظاهر الدلالة على ذلك.

مناسبتها:

لما افتتح سبحانه وتعالى هذا الذكر الحكيم بالهداية في قوله تعالى: "هـ- دنا ال- صراط المستقيم، وبالهداية التي هي شعار التائب في قوله تعالى: "هدى للمتقين" وذلك أول من- ازل السائرين وختم بتقرير أمر التوحيد على وجه لا يتصور أن يكون أكمل منه، وتقرير الإخ- لاص فيه كما يشعر به الأمر بـ "قل" وذلك هو نهاية المقامات عند العارفين فتم بذلك الدين، وانتهى سير السالكين وختم الإخلاص المقرر لذلك بأنه تعالى لا كفاء له، فت- وفرت ال- دواعي على الانقطاع إليه والعكوف عليه، أمر بالتعود بـ رب هـ- ذا ال- دين، موافقة لـ - ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ

سَتَعِيتُ﴾ من شر ما يقدح فيه بضرر في الظاهر أو في الباطن، وبدأ بما يعم شياطين الإنس والجن في الظاهر والباطن ثم اتبع بما يعم القبيلين ويخص الباطن الذي يستلزم صلاحه ص- لاح الظاهر، إعلاما بشرف الباطن على وجه لا يخل بالظاهر..".

لما سورة الناس:

فمقصودها الاعتصام بالإله الحق من شر الخلق الباطن واسمها دال على ذلك لان الإنسان مطبوع على الشر، وأكثر شره بالمكر والخداع، وأحسن من هذا أنها للاستعادة من الشر الباطن المأنوس به المستروح إليه، فان الوسوسة لا تكون إلا بما يشتهي، والناس مشتق من الأنس فان أصله أناس، وهو أيضا اضطراب الباطن المشير إليه الاشتقاق من النوس فطابق حينئذ المسمى، ومقصود هذه السورة معلول لمقصود الفاتحة الذي هو المراقبة، وهي شاملة لجميع علوم القرآن التي هي مصادقة ا- ومعاداة الشيطان ببراعة النظام، وفذلكة الختام كما أن الفاتحة شاملة ل- ذلك لأنها براعة الاستهلال، ورعاية الجلال والجمال، فقد اتصل الآخر بالأول اتصال العلة بالمعلول، والدليل بالمدلول والمثل بالممثول، وا- المسؤول في تيسير السؤل أو تحقيق المأمول فانه الجواد ذو الطول، وبه يستعان وعليه التكلان^(١).

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبو الحسن إد- راهيم ب- ن عم- ر البق- اع، ج ٢٢ /

ثم إن إشارة الكاتب هنا إلى سقوط المعوذتين من مصحف ابن م - سعود وزيادته - في مصحف أبي ليس فقط المعوذتين إنما أشار أيضا إلى سورتي الفيل و"إيلاف قريش" اللتان عدتا سورة واحدة في مصحفه أبي أننا لا ننتهم (ويلاش) بالجهل أو الغفلة هذا وإنما ننتهمه أكثر بالتعصب وذلك لأنه أخذ كلامه فيما يخص مصحف أبي بن كعب من كتاب الإتهان - السيوطي واقتصر عليه دون تنفيذ أو اعتبار للروايات الأخرى الأشد وثوقا من هذه الرواية التي احتج بها ليدال على شبهته.

أضف إلى ذلك أن الإمام السيوطي قد أورد هذا الخبر في الكتاب نفسه الذي اطلع عليه الكاتب (ويلاش)، لكن السيوطي قد استشهد على رد خبر مصحف أبي بالحديث الذي أخرجه الطبراني من حديث أم هانئ، أن رسول الله (ﷺ) قال: "فضل أقرشيسا بسبع: وفيه" أن أنزل فيهم سورة قريش لم يذكر فيها معهم غيرهم - لإيلاف قريش - (١).

وهب أن واحداً من الصحابة فعل ذلك في مصحفه الذي كتبه لنفسه بخاصة فهل يكفون فعله حجة على جميع الصحابة وخرفا لإجماعهم؟! إذ كانوا قد أجمعوا على اعتماد مصحف عثمان - رضي الله عنه - لا غير والذي فيه المعوذتان وسورتا الفيل و"إيلاف قريش" كسورتين منفصلتين (٢).

ثانياً: القضية الثانية: فجاءت حول جمع القرآن والتدليل على عدم وجوب هاتين السورتين:

وما أكثر الشبهات التي أثارت حول جمع القرآن من قبل هؤلاء المستشرقين الذين يكيدون للإسلام والقرآن السموم وسهام الحقد والحسد والكراهية بأي طريقة وفي أي فرصة سنحت لهم فهم يحاولون دس سمومهم وحقدهم من خلال أي خبر يرد حول القرآن الكريم وسوره ليصلوا إلى مآربهم وأهدافهم حتى يشوهوا صورة الإسلام والقرآن.. ولكن لهم بالمرصاد فقد يرض لهذا الكتاب من يزود عنه، ويدافع عنه إلى يوم الدين، ولقد قام العلماء بالرد القاطع على ما أثير من شبهات حول جمع القرآن الكريم وهو مبسوط في الكتب والمؤلفات لعلماء أفاض دافعوا عن حياض هذا الدين بكل ما أوتوه من قوة فجزاهم عنا خير الجزاء.

يقول الكاتب هنا: "وهذا يتفق وما يقال من أنها لم ترد في نسخة القرآن التي جمعها ابن م

ص ٤٠٦-٤٠٧ - ٤٢٣، ط ١ - ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤، مكتبة ابن تيمية القاهرة.

(١) الإتيان، ج ١ / ص ١٨٦.

(٢) عمر أبو ليلى، ص ١٩٣.

٤٠
مسعود وقد كان ثمة شيء من التسهيل في جمعه أول الأمر مثال ذلك أن أبيا زاد سورتين على السور المجمع عليها^(١).

ولقد أوردت الروايات في ذلك، وإن أبياً - رضي ا عنه - قال ما سمعه من رسول ا (ﷺ) فهو لم يزد على القرآن شيئاً، وهو براء من هذا الاتهام الباطل - رضي ا عنه - فكيف لصحابي جليل مثل أبي أن يزيد في القرآن الكريم شيء، ثم إن عمل ابن مسعود في عدم كتابته المعوذتين في مصحفه الخاص به، وكتابة أبي - رضي ا عنهما - للنفوس في آخر مـ. مصحفه الخاص به لا صلة لها بجمع القرآن الكريم بشيء.

فأبي وابن مسعود - رضي ا عنهما - لم يجمعا القرآن بل كتبـا لألفـ. سهما مـ. صحفا، وعملية الجمع إنما تمت بلجنة من الصحابة على عهد عثمان - رضي ا عنه - الـ. ذي جمـ. ع الأمة على مصحف واحد بالرسم العثماني.

والذي كان قبله جمع أبي بكر حيث كان جمعا لما في الصدور والسطور خوف ذهـ. اب القرآن بذهاب حفظته أثناء المعارك - وكان لهذا الجمع الثاني - "عثمـ. ان" دقةـ. ه في الجمـ. ع والتخري والاحتياط له. فليس عمل أبي ولا عمل ابن مسعود يسمى جمعا للقرآن، وليس عجيبـ. أ أن يفوت واحد من الصحابة شيء من أمر القرآن أو القراءة أو الترتيب أو ما إلى ذلك وقبله لا يكون سبباً لشيء من الحكم على دقة جمع القرآن الكريم أو التساهل فيه مطلقاً لأن هناك إجماعاً، ونقلاً متواتراً.

ثالثاً: أما الملحوظة الأخرى التي أود أن أشير إليها في قول الكاتب، فيما يـ. ص ترتيب سور القرآن الكريم.

فهو يقول: " وكذلك لم يحدد ترتيب السور تحديداً دقيقاً، ولو أننا نلاحظ أن النسخ المختلفة قد أخذت بمقاعدة واحدة في الترتيب^(٢) :

وهذه شبهة أثرت حول ترتيب سور القرآن الكريم، والرد على هذه الشبهة كما يلي:

فكما هو مقرر بوضوح في شأن ترتيب الآيات في السور انه توقيفي ولم يرد خلاف حول ترتيب الآيات في السور إنما ورد الخلاف حول ترتيب السور في المصحف كما هو عليه وقـ. د ثبت أن ترتيب السور إنما هو أيضاً توقيفي كما رتبـه الرسول (ﷺ) عن طريق الـ. وحي عليهـ. ه

(١) الدائرة ج ١٢، ص ٣٥٨.

(٢) المرجع نفسه.

السلام، وان ترتب الآيات في السور وترتيب السور كما هو عليه إنما هو الترتيب الذي عليه القرآن في اللوح المحفوظ، ولا مجال للاجتهاد في ذلك، ودليل ذلك النصوص المترادفة في كتب الحديث وهناك كثير من الشواهد التي تدل على ذلك، منها على سبيل المثال، ما أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي وابن حبان والحاكم عن ابن عباس، قال: قالت لعثمان: ما حملكم على أن عمدتم إلى سورة الانفال وهي من المثاني وإلى سورة البراءة وهي من المئين فقرنتم بينها ولم تكتبوا بينها سطر "بسم الله الرحمن الرحيم" فوضعتوها في السبع الطوال فما حملكم على ذلك؟ قال: كان رسول الله (ﷺ) مما يأت عليه الزمان وهو ينزل عليه من السور ذوات العدد فكان إذا أنزل عليه الشيء دعا بعض من يكتب له، فيقول ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وإذا أنزلت عليه الآيات قال: ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وإذا أنزلت عليه الآية قال: ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا. الحديث".

فقول النبي (ﷺ): "ضعوا هذه الآيات في السور التي يذكر فيها كذا وكذا أو ضعوا آية كذا في موضع كذا، فيه إشارة إلى أنه (ﷺ) لم يكن يعرف اسم السورة وموقع الآية إلا بعد أن أتته بها جبريل عليه السلام ويرشده إلى موضعها من السورة أو الآيات التي نزلت من قبل وقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة.

منها ما أخرجه الإمام أحمد عن عثمان بن أبي العاص، قال: "كنت جالسا عند رسول الله (ﷺ) إذ شخص ببصره ثم صوبه، ثم قال: "أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة" إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى.. "النحل إلى آخره" (١). وجاءت الأحاديث الدالة على فضل آيات من سور بعينها، ويستلزم هذا أن يكون ترتيبها توقيفياً.. إذ لو جاز تغييرها لما صدقت عليها الأحاديث، عن أبي الدرداء مرفوعاً: "من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال. وفي لفظ من قرأ عشر آيات من سورة الكهف (٢)، كم. جاءت الأحاديث الدالة على فضل آية بعينها في موضعها، عن عمر قال: "ما سألت النبي (ﷺ) عن شيء أكثر مما سألته عن الكلاله حتى طعن بأصبعه في صدري، وقال: "تكفيك آية الصيف التي في آخره سورة النساء (٣)".

(١) أخرجه أحمد بإسناد حسن، ج ٤، ص ٢١٨، حديث ١٧٩٤٧.

(٢) صحيح مسلم باب فضل سورة الكهف ج ١/ ص ٥٥٥، حديث رقم (٨٩)، طبعة فؤاد محمد عبد الباقي.

(٣) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب نهى من أكل ثوماً أو بصلاً أو كرثاً أو نحوها، مج ١،

وثبتت قراءة الرسول (ﷺ) لسور عديدة بترتيب آياتها في الصلاة، أو في خطبة الجمعة، كسورة البقرة وآل عمران والنساء وصح أنه قرأ "الأعراف في المغرب وأنه كان يقرأ في صبح الجمعة، ألم، تنزيل الكتاب لا ريب فيه: السجدة، و"هل أتى على الإنسان، الدهر" وكان يقرأ سورة "ق" في الخطبة، ويقرأ الجمعة والمنافقون في صلاة الجمعة^(١).

وكما هو معلوم كان جبريل يعارض النبي عليه الصلاة والسلام بالقرآن في كل عام مرة في رمضان، وعارضه في العام الأخير من حياته مرتين، وكان ذلك العرض على الترتيب المعروف الآن، وعلمه بعض الصحابة بهذا الترتيب لكن بعضهم كانوا قد كتبوا لأنفسهم مصاحف التزموا فيها بترتيب النزول كالإمام علي، إذ إن مصحفه يحتوي على الترتيب التالي: إقرأ، ثم المدثر، ثم المزل وهكذا، وقع هذا من علي وغيره قبل أن يعرف الترتيب بآيات الذي جمع عليه عثمان رضي الله عنه القرآن، ولما جمع عثمان القرآن الكريم بترتيب الآيات والسور على حرف واحد واجتمعت الأمة على ذلك تركوا مصاحفهم، ولو كان الترتيب اجتهادياً لتمسكوا بها^(٢). قال ابن الحصار: "ترتيب السور ووضع الآيات في مواضعها إنما كان بالوحي"، وقال الكرمانلي: "ترتيب السور هكذا هو من عند الله في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب"^(٣). ومن مؤكّدات ذلك تحدي القرآن الكريم للكفار أن يأتيوا بسورة من مثله أو بعشر سور مفتريات، وهذا في حد ذاته يفيد تحديد السور وترتيبها أيضاً^(٤) ودلّ السيوطي على أن ترتيباً كان توفيقاً بطريقتين عقلية، فقال: "ومما يدل على أنه أي القرآن توقيفي كون الحواميم رتبته ولاء، وكذا الطوالسين، ولم ترتب المسبحات ولاء، وفصل بين (طسم) الشعراء و(طسم) بـ (طس) مع أنها أقصر منها ولو كان الترتيب اجتهادياً لذكرت المسبحات ولاء وأخرت "طس" هي سورة النمل" عن القصص، وهذا يعني أن جميع السور ترتيبها توقيفي إلا براءة والانفال واليه مآل السيوطي^(٥) وأنا أميل إلى رأي الجمهور بأن ترتيب جميع سور القرآن توقيفي للأحاديث للدلالة التي سقتها سابقاً، وحديث أوس بن حذيفة في تحزيب القرآن يثبت ذلك، حيث قال أوس بن حذيفة: "قدمنا على رسول الله (ﷺ) في وفد ثقيف وفي الحديث أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: "وأنه طراً علي حزبي من القرآن الكريم فكرهت أن أجيب حتى أتمه، قال أوس: فسألت

ص ٣٩٦، حديث رقم ٥٦٧.

(١) مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص ١٤٠.

(٢) مناع القطان: مباحث في علوم القرآن ص ١٤٤.

(٣) السيوطي ج ١ / ص ٢٠٨، البرهان ج ١ / ص ٢٥٥.

(٤) أبو ليلة ص ٢١٠.

(٥) السيوطي: الانتقان ج ١ / ص ٢٠٣.

أصحاب النبي (ﷺ) كيف تحزبون القرآن؟ فقالوا: ثلاث وخمس، وسبع وتسع، واحد - دي - عشرة وثلاث عشرة، وحزب المفصل وحده^(١).

وقد وردت آثار أخرى بتعزيز هذه المسألة، فقد روى الإمام م - سلم - ول النبي (ﷺ): "أقرءوا الزهراوين البقرة وال عمران"^(٢).

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: "بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والانبيااء هن العتاق الأول وهن من تلادي"^(٣) العتاق: أي ذخائري وعتادي، حيث ذكر النبي (ﷺ) وس - م هذه السور نسفا واحدا كما هي في ترتيب المصحف.

ومما يستأنس به أن ترتيب السور أحد روافد إعجاز القرآن لذا وجدنا العلماء - رحمه - م - يتحدثون عند تفسير أي سورة عن مناسبتها لما قبلها وكثير منهم يأتي ببديع من القول^(٤)، ومن العلماء من أفرد مؤلفات في ذلك كما اشرنا سابقا^(٥).

وقد رأيت من المناسب نقل الشبهة وردّها لصاحب كتاب المباني:

"فان قيل: كيف صح قولكم ان القرآن مرتب في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب - ب؟ وإن الصحابة لم يرتبوه بأنفسهم، وقد انتشرت الأخبار أن أول ما نزل على النبي (ﷺ) (س ٩٦) ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ وقوله "س ٧٤" ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدِينَةُ﴾، وقالوا: اننا وجدنا مصاحفا عتقا مفارقة في البلاد منسوبة إلى عبد الله بن مسعود على خلاف هذا الترتيب الذي في أيدينا، فكيف يجوز مع هذا الخلاف الظاهر ان يدعى ان هذا الترتيب متفق عليه.

قلنا: انه قد روينا فيما تقدم عن ابن عباس انه قال: "في قوله تعالى: "س ٩٧ آية ١" "

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾. "يعني ان الله عز وجل أنزله جملة إلى السماء الدنيا، ثم كان ينزل منها نجوما السورة بعد السورة، والاية بعد الآية على حسب الحاجة إليه وإلى معرفة أحكامه، وتعليمه وترتيبه، ومعرفة موضع كلماته وسوره. ومثال هذا في الشاهد أن تعلم المبتدئ بتلقيه من أول القرآن وربما يبتدأ من آخره، وقد يبتدأ من وسطه سوراً متفرقة من القرآن على حسب

(١) رواه أبو داود، باب تحزيب القرآن، ج ٢/ص ٥٥، حديث رقم ١٣٩٣..

(٢) صحيح مسلم "كتاب صلاة المسافرين".

(٣) رواه البخاري كتاب التفسير، تفسير سورة الاسراء، ج ٤/١٧٤١، حديث رقم (٤٤٣١).

(٤) اتقان البرهان فضل عباس ج ١ / ص ٤٥٣

(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور.

رغبة المبتدئ وحرصه واحتياجه إلى تعلمه، ثم لا تأمره بأن يحفظ على هذا الترتيب الذي لقنه، بل تأمره بأن يضع كل سورة منها في موضعها عند الحفظ والجمع والدراسة والتلاوة، كذلك كان جبريل عليه السلام ينزل على النبي (ﷺ) الآية بعد الآية، والسورة بعد السورة على حسب الحاجة كما تقدم عن ابن عباس وأبي بن كعب. يدل هذا الذي ذكرنا أن مصاحفا كثيرة قد وجدت وهي متفقة غير مختلفة بحمد الله ومثله..

وقد روي عن محمد بن كعب القرظي، قال: "رأيت مصاحفا ثلاثاً، مصحفاً فيه قراءة ابن مسعود، ومصحفاً فيه قراءة أبي، ومصحفاً فيه قراءة زيد، فلم يخالف بعـضها بعـضاً، وهذه الحجج كلها نيرة دالة على صحة ما أنبأنا عنه، وبطلان ما ادعاه علينا المخالفون المعاندون.

ثم يتصدى الشيخ لدعوى مخالفة مصحف أبي بقوله: "إن هذا ربما كان بفعل فـساق المسلمين الذين ربما كتبوا هذه المصاحف وقدموها إلى الرؤساء والكبار المولعين بكل غريب وبذلك بغرض التوصل إلى مآلهم والانتفاع بتقريبهم إياهم"^(١)

وإن كان المقرر في ترتيب السور هو ما سمعناه من تركه للاجتهاد وتفويض أمره للأمة فهل يوقف بعد هذا عند تحديد الترتيب تحديداً دقيقاً!! على أن الكاتب لا يلتفت بـهـذا بقوله: "ولو أننا نلاحظ أن النسخ المختلفة قد أخذت بقاعدة واحدة في الترتيب، وهو كـلام يتبين من المراجعة القريبة لترتيب مصاحف بعض الصحابة الذي نقل إلينا أنه ليس أخذاً بقاعدة، بل إن القول بالقاعدة في هذا الترتيب قول غير دقيق، وإنما الذي قالوه: أن كثيراً من السور كان قد علم ترتيبها في حياة النبي (ﷺ) كالسبع الطوال، والحواميم، والمفصل، وإن ما سوى ذلك يمكن أن يكون قد فوض الأمر فيه إلى الأمة بعده"^(٢).

ولترتيب وضع السور في المصحف أسباب تطلع على أنه توقيفي صادر عن حكم، أحدها: بحسب الحروف كما في الحواميم، وثانيها: لموافقة أول السورة لآخر ما قبلها، كآخر الحمد في المعنى، وأول البقرة، وثالثها: للوزن في اللفظ، كـآخر "تبت" وأول الإخـلاص، ورابعها: لمشابهة جملة السورة لجملة الأخرى مثل "والضحى"، و"ألم نشرح"^(٣).

ثم إن القرآن نزل جملة واحدة إلى السماء الدنيا وكان تنزيله كما هو عليه الآن. فلو قلنا

(١) مقدمتان في علوم القرآن وهما مقدمة كتاب المباني ومقدمة ابن عطية ص ١٧٤، ص ٤٦ - ٤٧، نشرهما من المخطوطات المحفوظة في دار الكتب ببرلين، ودار الكتب المصرية، ووقف على تصحيحها وطبعها الاستاذ المستشرق الدكتور ارثر جفري، الناشر مكتبة الخانجي مصر ١٩٥٤م

(٢) تعليق أمين الخولي على مادة سورة ١٠ / ص ٣٥٩

(٣) الزركشي ج ١ / ص ٢٦٠

بالاجتهاد، فما هو الميزان الذي رتب عليه القرآن؟! وبناءاً على ما تقرر لدينا يمكن أن نثبت كما رجح بعض العلماء إلى أن ترتيب سور القرآن لم يكن اجتهادياً، بل توقيفياً، لا دخل للعقل ولا للمنهجية البشرية فيه، فللقرآن منهج ونسق خاص به، بل يمكن القول بأن هذا الترتيب المعجز لسور القرآن الكريم يعتبر من قبيل المتشابه الذي يحتاج إلى أعمال الالتهن للتوصل إلى العلاقات التي تجمع بين أجزاء القرآن الكريم من أوله إلى آخره والتي تبدو غير واضحة أحياناً، ليس في القرآن الكريم خلال البتة ولا عوج ولا اختلاف أبداً لا في ترتيب السور ولا في ترتيب الآيات^(١).

أولاً: سورة الفاتحة:

ورد الكلام عن سورة الفاتحة في موجز دائرة المعارف تحت مادة "فاتحة":

ذلك أن دائرة المعارف الإسلامية المترجمة للغة العربية الموجودة في المكتبات غير كاملة والأجزاء الموجودة فقط ستة عشر جزءاً وتنتهي عند حرف العين، وهذا الم- وجز ال- ذي ه- و اختصار لدائرة المعارف الإسلامية مكون من (٣٠) جزء متوسط الحجم وينتهي عند د- ح- رف النون.

وهذا نص ما جاء في الموجز: "أول سورة في القرآن الحكيم وأيسرها، ويعني اسمها أنها فاتحة القرآن الكريم ولهذه السورة القصيرة التي هي سبع آيات، عدة سمات خاصة بها، فهي أول الكتاب العظيم، بينما كل قصار السور في آخره، وهي في صيغة دعاء، وسائر السور في صيغة نصح وإرشاد، أو لوم أو توبيخ، وتعقب تلاوتها بكلمة "آمين"^(٢).

فقوله أول سورة في القرآن الكريم هذا من حيث ترتيبها في المصحف الشريف، أما م- ن حيث نزولها فقد ترجح لدى العلماء أنها أول سورة كاملة نزلت وليست أول القرآن نزولاً ولعل هذا ما قصده الكاتب بقوله: "وقد قيل أن هذه السورة هي أقدم سور القرآن أو واحدة م- ن أف- دم سور القرآن" وقد سميت بأمر القرآن لأنها متقدمة على باقي السور في الكتابة والقراءة وتلاك السور توابع لها فكانها لباقي السور أم وإمام.

ثم قوله: "وهي في صيغة دعاء، وسائر السور في صيغة نصح وإرشاد أو لوم وت- وبخ". هذا قول يعوزه الدقة.

ذلك أن فاتحة الكتاب لم تشتمل على أدعية فحسب، والمتأمل في السورة الكريمة لا يجدها

(١) القرآن الكريم من المنظور الإستشراقي، دراسة نقدية تحليلية: محمد أبو ليلة ص ١٩٥

(٢) موجز دائرة المعارف الإسلامية ج ٢٣ / ص ٧١٧ وما بعدها

كما قالوا: "فهي اشتمات على المعاني التي في القرآن من الثناء على ا بما هو أهله، ومن التعبّد بالأمر والنهي، ومن الوعد والوعيد^(١)."

"ففي بداية السورة ذكر ا والثناء عليه (الحمد رب العالمين) فهو يستحق الحمد لأنّه رب العالمين، أي المربي لهذه الكائنات جميعا، جمادها وحيوانها، علويها وسفلها، أرضها وسماويها، وذلك بما يفيض عليها من رحمته.. ثم (الرحمن الرحيم) وكما له الشأن في هذه الحياة فهو المتصرف كذلك يوم الدين، يوم الجزاء الأخروي، (ملك يوم الدين) إذا فان

أحدًا غيره لا يستحق أن يعبد، وأن أحدًا غيره لا يستحق أن يستعان به لذلك قال: ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إلى غير ما هنالك من أسرار وأحكام وقيم يمكن أن تؤخذ من ألفاظ الآيات أو من ضم بعضها إلى بعض، وبعد هذه المعاني جميعا ياتي دور الدعاء: ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (سورة الفاتحة)^(٢)

أما سائر السور فلم تأت فقط في صيغة نصيح وإرشاد أو لوم وتوبيخ، بل منها ما جاء مفصلاً ومبيناً وشارحاً لأحكام الإسلام من عبادات ومعاملات وأخلاق ومنها ما جاء في صيغة دعاء، ومنها ما كان في صيغة ترغيب وترهيب، ترغيب بالجنة ورضى ا ، وترهيب من النار وعصيان ا عز وجل. إلى غير ذلك من الموضوعات التي جاءت الآيات القرآنية تعالجها وتبين الحكم الشرعي فيها، فكل شيء يعرض للإنسان في حياته إلا وفي القرآن الكريم له حل وعلاج فسبحان منزل هذا الكتاب الذي جعل الدواء من كل عضال جسمي أو نفسي وفي هـ ذا المعجزة الخالدة، فسبحانك يا رحمان، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (الإسراء آية ٨٢).

وسورة البقرة مثلاً تضمنت قواعد الدين وآل عمران مكمله لمقصودها، وسورة الفاتحة تضمنت الإقرار بالربوبية، والالتجاء إليه في دين الإسلام والصيانة عن دين اليهودية فالبقرة

(١) الكشف: الزمخشري ١ / ص ٨١

(٢) فضل عباس: فضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية ص ٣٥.

بمنزلة إقائمة الدليل على الحكم الشرعي وآل عمران بمنزلة الجواب عن شبهات الخصوم، ولهذا قرن فيها ذكر المتشابه من غيره بظهور الحجة والبيان.

وسورة النساء فتضمنت جميع أحكام الأسباب التي بين الناس كالنسب والصهر والعهود.. وما يتعلق بأحكام الأموال والفروج والموارث.

والأسباب هذه نوعان: مخلوقة تعالى، ومعدورة لهم، كالنسب والصهر، ولهذا افتتحها

أ تعالى بقوله: ﴿رَبُّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ (النساء ١). ثم قال: ﴿وَاتَّقُوا

اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾، وبين الذين يتعاهدون ويتعاقدون فيما بينهم، وما يتعلق بذلك من أحكام الأموال والفروج والموارث ومنها العهود التي حصلت بالرسالة، والتي أخذها أ على الرسل^(١).

والمائدة سورة العقود، وتحريم الخمر و تحريم الميتة والدم والمنخفة والصيد على المحرم وإحلال الطيبات وما يختص بالشريعة المحمدية كالوضوء والحكم بالقرآن الكريم^(٢).

ثم يتابع الكاتب قوله فيما يتعلق بسورة الفاتحة ويورد تنفيذ (نولده) فيما يخص صفات أ تعالى، بقوله: "وقد فند (نولده) الرأي الفائل أن بها تعبيرات لا توجد في سور الفترة الأولى، وبخاصة بعض صفات أ عز وجل مثل "الرحمن الرحيم"، التي تظهر لأول مرة ومع ذلك فإن سورة الفاتحة قديمة نسبياً، ويجب أن توضع في نهاية الفترة المكية الأولى".

أقول موضوع السورة من الموضوعات التي تركز عليها الموسوعة، وهذا ناشئ عن الروح العامة للمستشرقين وللكنيسة على السواء، فهناك غاية تبذل لها كل المحاولات لتكـون قناعة عند الآخرين، وهي أن موضوعات السور الأولى يختلف على موضوع السور الأخيرة، وإن صفات أ في سورة الفاتحة مثل "الرحمن الرحيم" تظهر لأول مرة، فهذا يدل على جهالة القوم بالموضوعات التي عالجها القرآن الكريم في الفترة المكية، وهذه الموضوعات كانت تعالج أهم ما جاء به الرسول (ﷺ) وهي التعريف بأ عز وجل وصفاته سبحانه وتعالى، إذ كانت هذه من أهم الأمور التي تعرض لها القرآن الكريم في الفترة الأولى، فدعوى الكاتب أن صفات أ "الرحمن الرحيم" تظهر لأول مرة هذه دعوى باطلة ولا دليل عليها، ذلك أن هاتين الـصفتين

(١) الزركشي ص ٣٢٩.

(٢) المرجع نفسه.

وردت في البسمة، والبسمة كما هو معلوم هي عضو حي وحيوي من القرآن الكريم وهي مـن مميزاته وهي العلامة التي كان يعرف النبي (ﷺ) من خلالها أول السورة^(١) وسورة الفاتحة كمـا أشرنا قد عدها العلماء من أوائل السور نزولاً، لعل هذا ما قصده الكاتب بقوله: "قديمة ذـسبياً"، لكن قوله "يجب" أن توضع في نهاية الفترة المكية، ليس له حق في ذلك أن يوجب وينهى، فهـذا ليس عمله إنما هو ما أجمعت عليه الأمة، وما نقل إليها عن رسول الله (ﷺ)، أن توضع فـي موضعها كما هي عليه، وليس لنا أن نعترض على ذلك، لأن في وضعها فـي المكان الـذي وضعت فيه له سر وحكمة وغاية عظيمة.

قال ابن عباس، ومولى بن جعفر، عن أبيه، وعلي بن الحسين، و قتادة، وأبـو والـعالية، ومحمد بن يحيى بن حيان: "إنها مكية ويؤيد هذا أن في سورة الحجر قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي﴾ (سورة الحجر آية ٨٧) والحجر مكية بإجماع، نزلت بعـد الفاتحة بمـدة، ولا خلاف أن فرض الصلاة كان في مكة وما حفظ انه كانت قط في الإسلام صلاة بغـير الفاتحة (الحمد رب العالمين).^(٢)

قال ابن حجر: "الجمهور على أن الفاتحة مكية ووجه الدلالة انه سـبحانه لمـن على رسوله (ﷺ) بها وسورة الحجر مكية فيدل على تقديم نزول الفاتحة عليها"^(٣)

ثانياً: سورة التوبة:

جاء الحديث عن سورة التوبة في دائرة المعارف تحت لفظة "بـراءة" حـيث يـفـول الكاتب: "وقد وردت هذه الكلمة بآية في صدر سورة براءة، وفيها يأمر المؤمنون على لسان نبيه بالحج ورعاية العهد في الأشهر الحرم.. وهذه الآية ليست واضحة تمام الوضوح مما جعل تفسيرها عسيراً بعض الشيء، والتفسير السهل الذي يتبادر إلى الذهن عند القراءة الأولى هــو أنه: يجب على كل مسلم أن لا يسيء إلى أخيه في الدين إبان الأشهر الحرم المخصصة للحج إلى مكة.. ومع ذلك فإن هذا التفسير لا يسلم به أئمة المفسرين، فالزمخشري يقول: انه كـان هناك عهد بين المسلمين وبين مشركي مكة وغيرهم من العرب، ثم إن المشركين نقـضوا هـذا العهد إلا أن أناساً منهم هم بنو ضمرة و بنو كنانة، فقرأ محمد على المؤمنين الآية التي نزلت

(١) محمد أبو ليلة مرجع سابق ص ٢٠٩

(٢) ابن عطية الأندلسي: ج ١ / ص ٩٦

(٣) فتح الباري ج ٨ / ص ٩

وهي "براءة من ا ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين"^(١)

والمأمل في كلام هذا الكاتب يلاحظ عدة ملاحظات:

أولها: ذكر أن هذه الآية كانت في صدر سورة التوبة والحق أنها أول آية في سورة التوبة^(٢).

ثانيها: مناسبة نزول هذه الآية..

أول براءة نزل عقب فتح مكة في سنة تسع، عام حج أبي بكر، قال الإمام البخاري: فيما يرويه عن أبي هريرة - رضي ا عنه - قال: "بعثني أبو بكر في تلك الحجة في مؤذنين بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، قال حميد بن عبد الرحمن: ثم أرف رسول ا (ﷺ) بعلي بن أبي طالب، وأمره أن يؤذن ببراءة، قال أبو و هريرة فأذن معنا علي يوم النحر في أهل منى ببراءة، وان لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان"^(٣)

فكما جاء في الحديث، نزلت على رسول ا (ﷺ) لما رجع من غزوة تبوك وهم بـالحج، ثم ذكر أن المشركين يحضرون عامهم هذا الموسم على عادتهم في ذلك وانهم يطوفون بالبيت عراة فكره مخالطتهم وبعث أبا بكر الصديق أميراً على الحج تلك السنة ليقم للناس مناسكهم ويعلم المشركين، أن لا يحجوا بعد عامهم هذا وان ينادي في الناس بقوله تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (التوبة، ١) فلما قفل اتبعه بعلي بن أبي طالب ليكون مبلغاً عن رسول ا (ﷺ) لكونه عصبه له.

ثالثها: ما جاء في تفسير هذه الآية:

"براءة من ا ورسوله." أي هذه براءة أي تبرؤ من ا ورسوله" إلى الذين عاهدتم من المشركين " اختلاف المفسرون ههنا اختلافاً كثيراً فقال قائلون: هذه الآية لذوي العهد والمطلة غير المؤقتة، أو من له عهد دون أربعة اشهر، فأما من كان له عهد مؤقت فنأجله إلى مدى،

(١) الدائرة، المعارف الإسلامية ج ٣ / ص ٤٨١

(٢) ولعل هذا اللبس حصل من المترجم وليس من الكاتب لأن القضية واضحة وضوح الشمس

(٣) فتح الباري ج ٨ / ص ١٦٨، صحيح مسلم باب لا يحج البيت مشرك ولا يطوف في البيت عريان، ج ٢/ص ٩٨٢، حديث رقم ١٣٤٧.

فهذا هو التفسير السهل الصحيح وليس كما ذكر الكاتب " هو أنه يجب على كل مـ سلام ألا يسيء إلى أخيه في الدين إبان الأشهر الحرم المخصصة للحج إلى مكة " .. فهذا تفـ سير هزيـ ل غير واضح لا أصل له من الصحة، كما نلاحظ في الآية الكريمة أنها واضحة تمام الوضـ وح، فهل بعد هذا الوضوح وضوح في كتاب رب العـ المين، أيـ ن الـ صعوبة وأيـ ن العـ سر فـ في تفسيرها. ليس في القرآن الكريم شيء يصعب فهمه على ذوي الأبواب. هذا الكتاب الذي جاء لكل العباد، صغيرهم وكبيرهم، ذكرهم وأنثاهم، عالمهم وجاهلهم، حتى الأمي منهم يفهم كـ لام ا .. وإلا لو كان صعبا غير واضح كما تدعون لما تمكن الطفل الصغير ذو الخامسة من عمره إتقان حفظه عن ظهر قلب. وهذا سر مـ ن أسـ رار إعـ ازه فـ سبحان، ﴿الرَّحْمَنُ﴾ عَلمَ الْقُرْآنَ

﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴾ عَلمَهُ الْبَيَانَ ﴿ (الرحمن ١ - ٤) .

سورة الإسراء

قول الكاتب في دائرة المعارف الإسلامية حول تفسير الآية الأولى من سورة الإسراء هو كما يلي:

" ومهما يكن من شيء فإننا نلاحظ أن الروايات فسرت هذه الآية على ثلاثة أوجه فحسب: ١ - تذهب أقدم هذه الروايات، وقد اختلفت من التفسير الحديثة، إلى أن هذه الآية تشير إلى صعود محمد (ﷺ) إلى السماء، وأهم ما في الروايات هو أنها احتفظت بالمعنى البدائي لقـ صة الصعود التي صورت على أنها بداية لتعاليم النبوة التعبدية وهذا القول يفسر عبـارة (المـ سجد الأقصى) بالسماء، وفي الحق أن الرواية القديمة تستعمل في كثير من الأحيان كلمة (إسـ راء) مرادفة للكلمة (المعراج)^(٢).

وقد رجع الكاتب في عباراته إلى المصادر التالية :

١- البخاري باب كان النبي تنام عينه ولا ينام قلبه

٢- مسلم

(١) تفسير ابن كثير ج ٢ ، ص ٤٨٩ - ٤٩٠ .

(٢) الدائرة ج ٣، ص ٢٨٧

إضافة إلى مصادر أجنبية أخرى منها "Der Islam" وقد قمت بـالرجوع إلى جميع المصادر العربية التي أشار إليها الكاتب واستخرجت الروايات التي وردت حول تفسير هذه الآية ودرستها فوجدت أن جميع هذه الروايات تشير إلى معجزة الإسراء والمعراج وأن النبي أخبر بأنه قد أسري به ليلا من المسجد الحرام في مكة إلى المسجد الأقصى في القدس بواسطة جبريل عليه السلام على البراق وهذا نص الرواية التي أشار إليها الكاتب.

(في صحيح البخاري باب كان النبي تنام عينه ولا ينام قلبه) قال الإمام البخاري رحمه الله: حدثنا إسماعيل قال: حدثني أخي عن سليمان عن شريك عن عبد الله بن أبي العز قال: سمعت أنس بن مالك يحدثنا عن ليلة أسري بالنبي (ﷺ) من مسجد الكعبة، جاء ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال أولهم: أيهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم وقال آخرهم: خذوا خيرهم فكانت تلك، فلم يرههم حتى جاءوا ليلة أخرى فمن يرى قلبه والنبي (ﷺ) نائمة عيناه ولا ينام قلبه وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم فتولاه جبريل ثم عرج به إلى السماء^(١) ولقد أورد الإمام البخاري عدة روايات في حادثة الإسراء والمعراج وفي أكثر من موضع (أوردها في كتاب التفسير، باب قوله ﷺ سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ

الْحَرَامِ ﷻ الإسراء: ١) (كتاب فضائل الصحابة، باب المعراج) وفي حديثه، وروى قصة الإسراء والمعراج وما شاهده (ﷺ) في إسرائه ومعرجه في السماوات العلى، في كتاب الإيماء كما أوردها أيضا الإمام مسلم.. باب الإسراء برسول الله (ﷺ) إلى السماوات وفرض الصلوات، بعدة روايات (أوردها الإمام مسلم في هذا الباب من حديث رقم "١٦٢ - ١٧٨") بألفاظ متقاربة. وهذا نص الرواية التي صدر بها الباب قال الإمام مسلم حدثنا شيبان بن فروخ، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا ثابت البناني، عن أنس بن مالك، أن رسول الله (ﷺ) قال: "أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه، قال، فركبته حتى أتيت بيت المقدس، قال: فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء، قال، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت، فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن، فاخترت اللبن فقال

(١) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب كان النبي صلى الله عليه وسلم تنام عينه ولا ينام قلبه " (حديث رقم ٣٥٦٩)...

جبريل عليه السلام: اخترت الفطرة ثم عرج بنا إلى السماء وذكر ما رآه في السماوات^(١).

٣- رواية الطبري في تفسيره: فقد أورد روايات البخاري ومسلم وغيرهما من الروايات التي أوهمت أن الإسراء كان بروحه لا بجسده وأثبت بعد ذلك أن الإسراء بجسده لا بروحه فقط كما سيأتي بعد قليل. هذه الروايات ذكر الكاتب عليها عدة ملاحظات لا بد من الرد عليها:

أولها: "هذه الروايات قديمة وقد اختفت من التفاسير الحديثة"^(٢)

الرد: أن الناظر في كتب التفاسير يلاحظ أن أغلب التفاسير تذكر هذه الروايات في تفسير هذه الآية.

ثم هل أحاديث رسول الله (ﷺ) الصحيحة المتواترة يمكن أن نـصفها بالـدم، أو أنها تختفي؟! هذه الأحاديث التي نقلت إلينا بالتواتر وفُسرت وشرحت الحادثة لا يمكن أن يستغنى عنها أي مفسر سواء كان قديماً أم حديثاً لكتاب الله عز وجل لأنها هي التي أوضححت بالأسند المتصل إلى رسول الله (ﷺ) حادثة الإسراء والمعراج وأزال ما قد يعلق بأذهان الناس من أوهام حول هذه المعجزة التي أمد الله نبيه بها لتكون له دافعا وحافزا له على المضي قدما في طريق الدعوة الإسلامية، بعد أن لاقى ما لاقى من الأذى والتعذيب من أهل مكة والطائف وغيرهم، وهو يشق طريقه في نشر هذه الدعوة، وقد جاءت هذه الحادثة في وقت عظيم على النبي (ﷺ) ما لاقاه من أهل الأرض من الأذى والعذاب والهوان، فأخذته إليه يد الإلهية بهذه المعجزة، تكريما وتشبها له (ﷺ) وتجديدا لعزيمته، فقد شاهد من آيات ربه الكبرى ما شاهد، وعالين من إمارات العناية الإلهية به وبدعوته ما زاده يقينا إلى يقين بإنجاح دعوته وتبليغ رسالة ربه، ونصرة على أعدائه، وأطلعه الله سبحانه من ملكوته العظيم على ما أطلعه عليه مما لا نفس رسول الله (ﷺ) رضى عن الله، وقلبه نورا وطمانينة، وصدره ثلجا وانـشراحا فالتفاسير الحديثة لا يمكن لها أن تستغنى عن مثل هذه الروايات الصحيحة التي لا سبيل إلى فهم الآية إلا عن طريقه، وتفسير هذه الآية يعتبر من الأمور التي لا مجال للاجتهاد فيها، وقد رجعت إلى بعض من هذه التفاسير الحديثة في تفسير هذه الآية فوجدت أنها تذكر هذه الروايات، من هذه التفاسير على سبيل المثال تفسير سيد قطب فقد أوردته في تفسيره^(٣).

(١) أخرجه الإمام مسلم كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات وفـرض الصلوات، حديث رقم (١٦٢).

(٢) الدائرة ج ٣، ص ٢٨٧

(٣) الطلال، ج ٢٢٢١/٤، ط ١٣، دار الشروق، ١٩٨٧ - ١٤٠٧م، وانظر التفاسير الحديثة: محمد عـزة

ثانيها: أما ثاني هذه الملاحظات:

قوله "هو أنها (أي الروايات) احتفظت أيضا بالمعنى البدائي لقصة الصعود التي صـورت على أنها بداية لتعاليم النبوة التعبدية"^(١) الرد: هذه الروايات أشارت إلى قصة عروج النبي (ﷺ) إلى السماوات العلا حتى وصل إلى سدرة المنتهى حيث فرض عليه الصلاة هناك، خمسين صلاة، ثم خفف عنه إلى خمس صلوات.

فلا أرى معنى هنا لقول الكاتب أن هذه الروايات احتفظت "بالمعنى البدائي" ذلك أنه لا يوجد معنى بدائي ومعنى ثاني فالمعنى الذي أشارت إليه الروايات واضح من الرواية ومن سابقتها وقد ذكرت الروايات كما وردت في الصحيحين، وفي التفسير.

وقوله التي صورت على أنها بداية لتعاليم النبوة التعبدية

لعله قصد من ذلك ما فرضه عليه في هذه الرحلة حيث فرضت الصلاة كما ذكرت قبل قليل، ثم إن تعاليم النبوة التعبدية – على حد قول الكاتب – لم تكن حادثة الإسراء والمعراج بدايتها بل كانت قبل حادثة الإسراء والمعراج بسنوات ذلك أن الدين موجود وهذا كما استمرراً لملة إبراهيم من صلاة وصيام وحج.

وقبل أن ينزل عليه الوحي تظهر عليه آثار النبوة وهي الرؤيا الصالحة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح^(٢) كما أخبرت بذلك عائشة رضي الله عنها حيث قالت: "أول ما بدئ به رسول الله (ﷺ) من الوحي هي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلا وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه – وهو التعبد – الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى

خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فـقال: اقرأ أو رأ، فقلت: ما أنا بقارئ، قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني، فقال: "اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم"^(٣).

دروزة، ج ٣/٣٥٣ وما بعدها.

(١) الدائرة ج ١، ص ٢٨٧

(٢) الرحيق المختوم: المباركفوري ص ٥٨.

(٣) أخرجه البخاري، كتابي التفسير وتعبير الرؤيا مع اختلاف يسير في اللط (ولنط - الرحيق المختوم، وم،

وكان عمر النبي في ذلك الوقت أربعين عاماً، أما حادثة الإسراء والمعراج فقد كانت على الراجح من أقوال العلماء بعد بيعة العقبة الأولى التي كانت سنة إحدى عشر من النبوة وأعلم. فهل يعقل أن النبي (ﷺ) لم يكن يعلم بتعليم النبوة التعبدية طوال هذه المدة؟؟ هذا مما لا يتصوره العلم ولا يقبله العقل وأعلم.

ثالثها: قوله: "وهذا القول يفسر عبارة المسجد الأقصى" بالسماء

الرد: لقد أوردنا الروايات وجميع الروايات التي ذكرت في كتب التفسير لم يرد في أي رواية منها أنها فسرت المسجد الأقصى بالسماء فهذا تخبط من الكاتب.

ثم يذكر الكاتب الروايات الثانية في تفسير الآية، فيقول: "والرواية الثانية"، وهي الوحي-ة في جميع التفاسير المتأخرة تفسر "المسجد الأقصى" بيت المقدس، وليس هناك سبب بـين لهـذا التفسير، ويظهر أنه أوجت به سياسة الأمويين التي رمت إلى تعظيم بيت المقدس على حساب مكة التي كان يحلها حينذاك عبد الله بن الزبير^(١)

كما أشرنا قبل قليل أن التفاسير جميعها سواء كانت متأخرة أم متقدمة لا سبيل إلى الوصول إلى تفسير مثل هذه الأمور إلا عن طريق ما ورد منها من أحاديث صحيحة، وجميع التفاسير تفسر المسجد الأقصى بيت المقدس لأن الروايات فسرتها بذلك، وليس أن المفسر هو الذي اجتهد اجتهاده، ذلك أن هذه الأمور لا يمكن لأحد أن يجتهد ويفسر كما يحلو له لاسيما الأمويين ولا لغيرهم كما يدعي الكاتب إذ إن هذا هو التفسير البين وإن كان هناك تفسير غير ذلك لا بد وأن يكون صاحب هذا التفسير فسر الآية وفق رأيه وهواه، وهذا مما لا يقبل ويعد من التفسيرات المنحرفة التي يضرب بها عرض الحائط ولا يلتفت إليها.

فكلام الكاتب هذا لا أصل له من الصحة، ويحاول كما يحاول إخوانه النيل من الإسلام بسموم حقدهم وغيظهم على الإسلام والقرآن بأي أسلوب ليصلوا إلى غايتهم وأهدافهم الهدامة، فهو كما نلاحظ قد اعتمد على كتاب صديقه وأخيه (كولد تسهير) فلا عجب إذن أن نجد مثل هذا الكلام على الإسلام والمسلمين، وهو بعد ذلك يعترف بأن المفسرين يرفضون هذا التفسير ولا يذكرونه حتى في مصنفاتهم التاريخية فيقول: "ويبدو أن الطبري قد رفض الأخذ بهذا التفسير، وهو لا يذكره في تاريخه بل يظهر أنه كان أميل إلى تأييد التفسير الأول^(٢). ثم تحدث الكاتب ب

ص ١٢٥. صحيح مسلم باب بدء الوحي، حديث رقم (١٦٠)، ج ١/١٣٩.

(١) الدائرة ج ٣، ص ٢٨٧

(٢) المرجع نفسه.

عن القصة الرحلة الليلية إلى بيت المقدس، وذكر: "أن النبي كان نائماً، فأثاه جبريل - ل - بالبراق ورحل معه إلى بيت المقدس وصادفا في طريقهما قوى خيره وشريره، وزارا الخليل وبيت لحم، وقابلا في بيت المقدس إبراهيم وموسى وعيسى وقد وصف البخاري هذه المقابلة، و(ﷺ) عليه وسلم بهؤلاء الأنبياء الذين اجتمعوا هناك، وتشبه مقابلة النبي بهؤلاء الأنبياء في بيت المقدس ظهور عيسى عليه السلام على جبل تابور وربما نسجت على منوالها^(١).

ذكر الكاتب أن النبي (ﷺ) وجبريل عليه السلام زارا الخليل وبيت لحم وكان مرجعه في ذلك النسائي، ولقد رجعت إلى سنن النسائي فلم يذكر في روايته أنه زار الخليل - ل - وه - ذا - ص الرواية:

قال النسائي: "أخبرنا عمر بن هشام قال: حدثنا مخلد عن سعيد بن عبد العزيز - ز - قال: حدثنا يزيد بن أبي مالك، قال: حدثنا أنس بن مالك، أن رسول الله (ﷺ) قال: أتيت بدابة فـوق الحمار ودون البغل خطوطها عند منتهى طرفها، فركبت ومعي جبريل عليه السلام فسرت فقال: انزل فصل، ففعلت، فقال: أتدري أين صليت؟ صليت بطيبة وإليها المهاجر، ثم قال: انزل فصل، فصليت، فقال: أتدري أين صليت؟ صليت بطور سيناء حيث كلم الله عز وجل موسى عليه السلام، ثم قال: انزل فصل، فصليت، فقال: أتدري أين صليت؟ صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى عليه السلام، ثم دخلت بيت المقدس، فجمع لي الأنبياء عليهم السلام، فقدمني جبريل حتى أممهم ثم صعد بي إلى السماء الدنيا الحديث^(٢).

فكما نلاحظ من الرواية انه لم يقابل أحد من الأنبياء، إنما أمهم بالصلاة. أما المقابلة التي يذكرها وان البخاري وصف هذه المقابلة فكما أشرنا في الحديث كانت في السماء أثناء عروجه في السماوات حيث قابل آدم و نوح، و إدريس و عيسى. وليس فقط إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام الذين اقتصر على ذكرهم الكاتب.. ويدعي الكاتب هنا أن هذه المقابلة تشبه ظهور عيسى عليه السلام على جبل تابور وربما نسجت على منوالها.

وهذا ليس بمستغرب منهم، إنما الغريب أنهم يؤمنون بظهور عيسى على جبل تابور، وصعوده إلى السماء، ففي (آخر إنجيل مرقس): "ثم إن الرب بعدما كلمهم ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله".

(١) انظر الدائرة ج ٣ / ص ٢٨٨

(٢) "أخرجه النسائي، كتاب الصلاة، باب فرض الصلاة ذكر اختلاف الناقلين في إسناد حديث أنس بن مالك واختلاف الفاظهم فيه" (ولنظر مشكاة المصابيح: الخطيب التبريزي ج ٢ / ص ٤٥٠ - ٤٥٣)

وجاء في آخر إنجيل لوقا: "هو المسيح يباركهم، انفرد عنهم وصعد إلى السماء"^(١)

ثم ينتقل الكاتب إلى التفسير الثالث للآية الأولى من سورة الإسراء فيقول: "إن تفسير هذه الآية يعتمد على الآية الثانية والستين من السورة نفسها إذ وردت فيها كلمة الرؤية بمعنى الإسراء وهذا يتضمن أن الرحلة الليلية لم تكن رحلة حقيقية وإنما كانت رؤيا، ولما وقف محمد (ﷺ) بالحجر رأى بيت المقدس ووصف لقريش ما رآه فلم يصدقوه"^(٢).

الآية التي أشار إليها الكاتب في السورة نفسها رقمها ستون وليس اثنين وستين ونص الآية الكريمة، قوله تعالى: "وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا" (سورة الإسراء آية ٦٠).

قال الإمام البخاري في تفسير هذه الآية^(٣):

عن ابن عباس رضي الله عنهما: "وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس" قال: هــي رؤيا عين أريها رسول الله (ﷺ) ليلة أسري به، والشجرة ملعونة هي شجرة الزقوم "فتفسير ابن عباس لهذه الآية يرد قول الكاتب بأن الرحلة كانت رؤيا منامية، ولقد أورد الإمام الطبري في تفسيره الروايات التي ذكرت أن الإسراء كان مناماً وليس حقيقة.

ثم بين بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة على أنها حقيقة فقال:

والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال أن أسرى بعبده محمد (ﷺ) مـن المـسجد الحرام إلى المسجد الأقصى كما أخبر الله عباده، وكما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله (ﷺ) أن أسره على البراق حيث أتاه به، و(ﷺ) من الأنبياء والرسل، وأراه ما أراه من الآيات، ولا معنى لقول من قال: أسري بروحه دون جسده / لأن ذلك لو كان كذلك لم يكن في ذلك ما يوجب أن يكون دليلاً على نبوته ولا حجة له على رسالته، ولا كان الذين أنكروا حقيقة ذلك من أهل الشرك، وكانوا يدفعون عن صدقه فيه، إذ لم يكن منكراً عندهم ولا عند أحد من ذوي الفطـرة الصحيحة من بني آدم أن يرى الرائي منهم في المنام ما على مسيرة سنة، فكيف ما هــو على مسيرة شهر أو أقل؟! وبعد فإن أسره إنما أخبر في كتابه أنه أسرى بعبده ولم يخبرنا أنه أسرى.

(١) محمد صلى الله عليه وسلم، لمحمد رضا ص ١٤٥ / الإسراء والمعراج معجزة وحقائق أسرار وفوائد خالد سيد علي ص ٢٣

(٢) الدائرة، ج ٣/ ص ٢٨٩.

(٣) صحيح البخاري كتاب فضائل الصحابة / باب وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس.

بروح عبده (ﷺ)، وليس لأحد أن يتعدى ما قال أ إلى ما قال غيره.

والأدلة الواضحة والأخبار المتتابعة عن رسول أ (ﷺ) أنه أسري به على دابة يقال لها البراق ولو كان الإسراء بروحه لم تكن الروح لتحمل على البراق إذ كانت الدواب لا تحمل إلا الأجسام إلا أن يقول قائل: أن معنى أسري بروحه، رأى في المنام أنه أسري بجسده على البراق، فيكذب حينئذ بمعنى الأخبار التي رويت عن رسول أ (ﷺ) أن جبريل عليه السلام حمله على البراق، لأن ذلك إذا كان مناما على قول قائل هذا القول، ولم تكن الروح عنده ممّا تركب الدواب، ولم يحمل على البراق جسم النبي (ﷺ) لم يمن النبي (ﷺ) على قوله حمل على البراق لا جسمه ولا شيء منه وصار عنده كبعض أحلام النائمين، وذلك دفع لظاهر التنزيل، ومما تتابع به الأخبار عن رسول أ (ﷺ) وجاءت به الآثار عن الأئمة والصحابة والتابعين^(١)

قال الطبري: في تفسير تلك الآية:

عن ابن عباس في قوله: وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس، قال: هي رؤية عين أريها رسول أ (ﷺ) ليلة أسري به وليست برؤيا منام.

وعن الحسن في قوله: "وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس" قال: أسري به عشاء إلى بيت المقدس، فصلّى فيه، وأراه أ ما أراه من الآيات ثم أصبح بمكة فأخبرهم أنه أسري به إلى بيت المقدس، فقالوا: يا محمد ما شأنك أمسيت فيه ثم أصبحت فينا تخبرنا أنك أتيت بيت المقدس فعجبوا من ذلك حتى ارتد بعضهم عن الإسلام.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: عنى به رؤيا رسول أ (ﷺ) ما رأى من الآيات والعبر في طريقه إلى بيت المقدس ليلة أسري به.

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب، لإجماع الحجة من أهل التأويل على أن هذه الآية إنما نزلت في ذلك وإياه عنى أ عز وجل بها فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام "ما جعلنا الرؤيا التي أريناك ليلة أسرينا بك من مكة إلى بيت المقدس إلا فتنة للناس: يقول: الإيلاء للناس الذين ارتدوا عن الإسلام لما أخبروا بالرؤيا التي أراها عليه الصلاة والسلام، وللمشركين من أهل مكة الذين ازدادوا بسماهم ذلك من رسول أ (ﷺ) تماديا في غيهم وكفرا إلى كفرهم^(٢).

(١) الطبري، ج ١٥، ص ١٧.

(٢) الطبري، ج ١٥، ص ١١٣، البغوي، ج ٣، ص ٢١، ابن كثير، ج ٣/ص ١٢١، أضواء البيان - الشنقيطي، ج ٣، ص ٦٠٣.

قال صاحب أضواء البيان في التدليل على حقيقة الإسراء والمعراج وأنها بالجسد حقيقة - لا بالروح مناماً: "من أوضح الأدلة القرآنية على ذلك قوله عز وجل: "وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن". كما صح عن ابن عباس أنها رؤيا - ع - ين يقطعة لا رؤيا منام^(١)، قال ابن عاشور: ويؤيد هذا الوجه قوله "التي أريناك" فإنه وصف للرؤيا - لا يعلم أنها رؤية عين^(٢) أنها لو كانت رؤيا منام لما كانت فتنة^(٣)، ولا سببا لتكذيب - ريش لان رؤيا المنام ليس محل إنكار، لان المنام قد يرى فيه ما لا يصح فالذي جعله - فتنة هو ما رآه بعينه من الغرائب والعجائب فزعم المشركون أن من ادعى رؤيا ذلك بعينه فهو كاذب لا محالة فصار فتنة لهم.

ويؤيد ذلك أيضا (لنريه من آياتنا) وقوله: ما زاغ البصر وما طغى، لقد رأى من آيات ربه الكبرى) وما زعمه بعض أهل العلم من أن الرؤيا لا تطلق بهذا اللفظ لغة إلا على رؤيا المنام مردود، بل التحقيق أن لفظ الرؤيا يطلق في لغة العرب على رؤية العين يقطعة أيضا ومنه قول الراعي وهو عربي قح:

فكبر للرؤيا وهش فؤاده وبشر نفسا كان قبل يلومها

ومنه أيضا قول أبي الطيب:

رؤياك أحلى في العيون من الغمض^(٤)

قال الفرطبي في تفسيره هذه الآية: ثبت الإسراء في جميع مصنفات الحديث، وروي - ع - ن الصحابة في كل أقطار الإسلام، فهو متواتر بهذا الوجه وذلك - ر - النفاش - م - رواه: - ع - شرين صاحبيا، ثم شرع يذكر بعض طرفيه في الصحيحين وغيرهما، وسط قصة الإسراء^(٥) قال ابن كثير في تفسيره: (قال الحافظ أبو الخطاب عمر بن دحية في كتابه: "التنوير في مولد - د - السراج المنير).

وقد ذكر حديث الإسراء من طريق انس وتكلم عليه فأجاد وأفاد ثم قال: وقد تـ واثرت

(١) الشنقيطي، ج ٣/ص ٣٠٦.

(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ٦/ص ١٤٦.

(٣) انظر سيد قطب، الظلال ج ٤ / ص ٢٢٣٧، الطبري ج ١٥/١١٣ / البغوي ج ٣/ص ١٢١ / البيان - الشنقيطي ج ٣/ص ٦٠٣ (ابن كثير ج ٣/١٢١).

(٤) أضواء البيان، الشنقيطي، ج ٣، ص ٣٩٢، "وانظر المراغي، ج ١، ص ٦.

(٥) الفرطبي الجامع لأحكام القرآن ج ٥ ص ٢٠٥ / ٢٠٩، وانظر المحرر الوجيز لابن عطية، ج ٩، ص ٤٠، وانظر البغوي، ج ٥، ص ٥٨.

روايات في حديث الإسراء عن عمر بن الخطاب وعلي وابن م -سعود وأبي ذر ومالك بن -ن
صعصعة وأبي هريرة وأبي سعيد وابن عباس وشداد بن أوس وأبي بن كعب وعبد الرحمن بن -ن
فرط وأبي حبة وأبي ليلي الأنصاريين وعبد ا بن عمر وجابر بن حذيفة وبريدة وأبي أي -وب
وأبي أمامة وسمرة بن جندب وأبي الحمراء وصهيب الرومي وأم هانئ وعائشة وأسما بنت
أبي بكر الصديق رضي ا عنهم أجمعين، منهم من ساقه بطوله ومنهم من اختصره على م -ا
وقع في المسانيد وإن لم تكن رواية بعضهم على شرط الصحة فحديث الإسراء أجمع على -ه
المسلمون وأعرض عنه الزنادقة والملحدون ﴿يُرِيدُونَ لِيطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُنِيرُ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ

الْكَافِرُونَ﴾ (الصف ٨) ^(١) يقول الرافعي: "ونحن على الرأي الذي عليه جمهور العلماء م -ن أن
الإسراء والمعراج كلنا بالجسم والروح معا على التأويل الذي سنبنينه ويثبت ذلك قوله تعالى في
سورة النجم: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ (النجم ١٦-١٧) فلا يكون البصر
يزيغ ويغطي إلا في الجسم، ولم يتنبه أحد من المفسرين إلى المعنى المعجز العجيب في قول -ه
(وما طغى) فذلك نص على أنه كان يرى بجسم قد تحول عن الطبيعة الآدمية المحدودة فليس فيه
منها شيء، إذ لا يكون طغيان البصر إلا من تسلط الخيال عليه بأهواء الجسم التي لا يستقيم بها
حكم على حقيقته، ما زاغ البصر بكونه مفيد الحاسة، ولا طغى بكونه مطلق الخيال، بل كان كما
يريد ا من آياته، أي كان حقيقة كونية في غير حالتها الأرضية الناقصة ^(٢)."

ويقول سيد قطب في تفسيره:

"واختلاف في أن الإسراء كان في اليقظة أم في المنام، فعن عائشة رضي ا عنها، أنها -ا
قالت: "وا ما فقد جسد رسول ا (ﷺ) ولكن عرج بروحه".

وقد وفق العلماء بين هذا الحديث والأحاديث الأخرى التي تثبت حقيقة الإسراء والمعراج،
فقال الشنقيطي: "وما ثبت في الصحيحين من طريق شريك عن أنس رضي ا عنه أن الإسراء
المذكور وقع منام، لا ينافي ما ذكرنا مما عليه أهل السنة والجماعة ودلت -صوص الكتاب
والسنة، لا مكان أن يكون رأى الإسراء المذكور نوماً، ثم جاءت تلك الرؤيا كلف -ق الصباح،

(١) مختصر تفسير ابن كثير ج ٢ / ص ١٩٤.

(٢) وحي القلم ٣ / ٣٦

فأسري به يقظة تصديقا لتلك الرؤيا المنامية كما رأى في النوم انهم دخلوا المسجد الحرام في عمرة القضاء، عام سبعة يقطعة لا مناماً تصديقاً لتلك الرؤيا كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (الفتح ٢٧).

ويؤيد ذلك حديث عائشة الصحيح: "فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح" مع أن جماعة من أهل العلم قالوا: إن شريك بن عبد الله بن أبي قيساء حفظه في تلك الرواية المذكورة عن أنس، وزاد فيها ونقص وقدم وأخر، ورواها عن أنس غيره من الحفاظ على الصواب فلم يذكرها المنام الذي ذكره شريك المذكور، انظر رواياتهم بأسانيدهم ومتونها في تفسير ابن كثير - رحمه الله، نقد جمع طرق حديث الإسراء جميعا حسنا بإتقان^(١).

ثم يتابع سيد قطب حديثه فيقول:

"والراجح من مجموع الروايات أن رسول الله (ﷺ) ترك فراشه في بيته أم هانئ إلى المسجد، فلما كان في الحجر عند البيت بين النائم اليقظان أسري به وعرج، ثم عاد إلى فراشه قبل أن يبرد.

على أننا لا نرى محلاً لذلك الجدل الطويل الذي ثار قديماً والذي يثور حديثاً حول طبيعة هذه الواقعة المؤكدة في حياة الرسول (ﷺ) والمسافة بين الإسراء والمعراج بالروح أو بالجسم، وبين رؤيا في المنام أو رؤية في اليقظة. المسافة بين هذه الحالة كلها ليست بعيدة ولا تغيير من طبيعة هذه الواقعة شيئاً وكونها كشفاً وتجلية للرسول (ﷺ) عن أمكنة بعيدة، وعوالم بعيدة في لحظة خاطفة قصيرة.. والذين يدركون شيئاً من طبيعة القدرة الإلهية ومن طبيعة النبوة لا يستغربون في الواقعة شيئاً، فأمام القدرة الإلهية تتساوى جميع الأعمال التي تدور في نطير الإنسان وبالمقياس إلى قدرته وإلى تصوره متفاوتة السهولة والصعوبة حسب ما اعتاده ورآه والمعتاد المرئي في عالم البشر ليس هو الحكم في تقدير الأمور بالمقياس إلى قدرة الله.

أما طبيعة النبوة، فهي اتصال بالملا الأعلى - على غير قياس أو عادة لبقية البشر -

(١) أضواء البيان: سورة بني إسرائيل ص ٣٩٣ - ٣٩٤، وانظر البيهقي ج ٥ / ص ٦٥.

وهذه التجلية لمكان بعيد، أو عالم بعيد والوصول إليه بواسطة معلومة أو مجهولة ليست اغـ رب من الاتصال بالملا الأعلى والتلقي عنه..

وقد صدق أبو بكر رضي ا عنه، وهو يرد المسألة المستغربة المستهولة عند القوم إلـى بساطتها وطبيعتها فيقول إني لأصدق به بأبعد من ذلك أصدق به بخبر السماء " ا ه (١) ويقول محمد الصادق عرجون:

"القول بأن الإسراء كان مناما أو بالروح فقط قول محدث بعد انعقاد الإجماع قبله، ولـيس لرواياته أسانيد ثابتة، حديث عائشة في الإسراء موضوع لرد الحـ ديث الـصحيح، التحقـق أن الإجماع الصحيح قائم بلا نكير على أن الإسراء والمعراج كان في أكمل حالات بشريته روحـاً وجسداً (٢) .

قال أمير الشعراء أحمد شوقي:

يتساءلون وأنت اظهر هيكلا بالروح أم بالهيكلا الإسراء
بهما سموت مطهرا وكلاهما نور وروحـانية وبهـاء

وما سقنا من أدلة ومن أقوال العلماء حول حقيقة الإسراء والمعراج انه بالجسد والـروح معا رد على صاحب التعليق على مادة الإسراء في الدائرة - أبو عبد ا الزنجـاني - الـذي حاول أن يثبت أن الإسراء كان بالروح دون الجسد مدعياً أن الإسراء بالجسد والروح يفظـة لا مناما لا يمكن أن يفره العلم ولا يصدقـه العقل، وحاول أن يدعم قوله بما جاء في تفسير الطبري من روايات حول الإسراء والمعراج لا تقوم بها الحجة ولا تثبت شيء من دعواه في ذلك.

فيقول : "أما القول الأول فلا يفره العلم ولا يصدقـه العقل فإن العقل كما يـقـول الـقـرآن - يرى أن ا أحاط بالوجود وهو محضه الذي هو أقرب إلينا من جبل الوريد. كما أنه أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً وتنزه عن أن يكون من جهة من الجهات حتى يشار إلـيه أو يتلقاه أحد فيها.

والقرآن لا يصرح بأن الإسراء كان بجسده الشريف "وقد ساق عدة روايات أوردها الإمام الطبري في تفسيره ليدل على صحة دعواه فقال:

(١) الطلال ج ٤ / ص ٢٢١٠ - ٢٢١١.

(٢) "أ" الإسراء والمعراج معجزة وحفائق أسرار وفوائد، خالد سيد علي ص ٥٤.

"روى الطبري عن محمد بن كعب القرظي عن بعض أصحاب النبي (ﷺ)، فقالوا: يا نبي ا ، هل رأيت ربك قال: لم أره بعيني ورأيتُه بفؤادي مرتين ثم تلا (دنا فتدلى) آية (دنا فتدلى) تفسر قول أنس بن مالك عن الإسراء كما نجد في قول النبي (ﷺ) حيث يسأل عن رؤية ربه اتجاها لهذه الآية لأنه يتلوها عقيب هذا السؤال إلى مسألة الإسراء، ثم نظام هذه الآية في سورة النجم نجد ضوءاً يهدي إلى الحق وهو قوله تعالى: "ما كذب الفؤاد ما رأى" فينسب المرئي وهو انكشاف الحقائق العلمية إلى الفؤاد وبذلك تعرف أن الإسراء كان بالروح وآلا كان ينسب المرئي إلى البصر دون الفؤاد^(١)

وقد استدل أيضاً بالروايات التي تذكر حادثة شق صدره (ﷺ) وغسله بماء زمزم ثم يقول بعد ذلك "والنظر الدقيق والتأمل الصادق في هذا يهدي أن الإسراء كان بروحه لأن العقل والنقل لا يقران بان الشق من جبرائيل كان لجسمه الشريف ولا يشك فيه عاقل، ثم هل يقر العلم والعقل أن الأيمان والعلم والحكمة والحلم والإسلام واليقين مما توضع في إنشاء من الذهب وهــ لـ صـ فـ الغل تغسل بالماء، وهل هذه الأمور التي ذكرت في ابتداء الإسراء إلا شواهد بأنه كان بالروح . وقد جاءت في تفسير هذه الآية أن الذي دنا هو جبريل عليه السلام.

(أورد الإمام مسلم بسنده عن زر بن حبيش عن قول ا عز وجل: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ

أَذْنًا﴾ (النجم الآية ٩) قال: أخبرني ابن مسعود أن النبي (ﷺ) رأى جبريل له سـ تمائة جناح،

وعنه قال: " ما كذب الفؤاد ما رأى " قال: رأى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح

وقوله: " ولقد رآه نزلة أخرى " وهل رأى النبي (ﷺ) ربه ليلة الإسراء، عن أبي هريرة رضي ا عنه، قال: رأى جبريل.. وعن ابن عباس قال: رآه بقلبه وفي رواية قال: رآه بفـ واده مرتين^(٢) وهل رأى النبي (ﷺ) ربه ليلة الإسراء. وبذلك يتضح لنا من الآيات ويثبت لنا دـ ض دعواه.

وقيل ما روي عن معاوية وعائشة انه كان مناما فلعله لا يصح عنهما ولو صح لم يكن ذلك حجة لأنهما لم يشاهدا ذلك لصغر عائشة وكفر معاوية إذ ذاك ولأنهما لم يسندا ذلك إلى

(١) ا. هـ الدائرة ج ٣ ص ٢٩٠ - ٢٩١

(٢) أخرجه الإمام مسلم كتاب الإيمان باب في ذكر سدره المنتهى و باب في معنى قول ا عز وجل ولقد رآه نزلة أخرى وهل رأى النبي (ﷺ) ربه ليلة الإسراء ج ١٥٨/١ حديث رقم ٢٨٤/٢٨٥/١٧٦.

فقوله أن العقل لا يقبل هذا التفسير يقول البغوي في ذلك: "أن الحركة بهذه السرعة ممكنة في نفسها، فقد جاء في القرآن أن الرياح كانت تسير لسليمان عليه السلام إلى المواضع البعيدة في الأوقات القليلة، فقد قال تعالى في صفة سير سليمان عليه السلام: ﴿غَدُوها شَهْرٌ وَرَوَّاحُها شَهْرٌ﴾" وجاء فيه أن الذي عنده علم من الكتاب أحضر عرش بلقيس من أقصى اليمن إلى أقصى الشام في مقدار لمح البصر كما قال تعالى: "قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتية بك به قبل أن يرتد إليك طرفك" وإذ جاز هذا لدى طائفة من الناس جاز لدى جميعهم^(٢).

ثم قال بعد ذلك:

"إن ما يجد كل يوم من ضروب المخترعات، (والتوصل) بها إلى طي المسافات بوسائل الطيارات، وقطع المحيطات في قليل الساعات، من قارة إلى قارة، ومن قطر إلى قطر ليجعلنا نعتقد أن ما جاء في وصف هاتين الرحلتين من الأمور الميسورة التي ليست بالعزيرة الحـصول أو الأمور المستحيلة.

وان روحانية الأنبياء تتغلب على كثافة أجسامهم، فما يخيل إلينا من العوائق العملية، من صعوبة الوصول إلى الملأ الأعلى، بتخلخل الهواء، واستحالة الوصول إلى الطبقات العليا من السماء، فهذا إنما يكون بالنظر إلى الأجرام والأجسام المشاهدة في عالم الحس، وان لروحانية الأنبياء والملائكة أحكام لم يصل العقل البشري إلى تحديدها وإبداء الرأي فيها، وأنه لا فوق مستوى إدراكه حتى يطيل البحث فيها ولا التحقق في استقصاء آثارها"^(٣).

ان القائلين بامتناع حركة سريعة إلى هذا الحد يلزمهم القول بامتناع نزول.

فلو كان القول بإسرائئه ومعراجـه (ﷺ) ممتنعاً في العقول لكان القول بانزال جبرائيل من فوق السماء ممتنعاً، فالقول بهذا الامتناع يعد طعناً في نبوة جميع الأنبياء والقول بثبوت المعراج فرع على تسليم جواز أصل النبوة ثم إن أكثر أربابا المال والنحل يسلمون بوجود إبليس وأنه هو الذي يتولى إلقاء الوسوسة في قلوب بني آدم، فلما سلموا جواز هذه الوسوسة والحركة السريعة

(١) ابن عطية الأندلسي المحرر الوجيز ج ٩ / ص ٦٠٠٥، البحر المحيط ج ٧ / ص ٨

(٢) المراغي، ج ١٥ / ص ٦ والتفسير الكبير: الرازي، ج ٧ / ص ٢٩٣

(٣) المراغي، ج ١٠ / ص ١٠

في حق إبليس فلأن يسلموا بجوازها في أكابر الأنبياء كان أولى^(١).

ولقد ذكر ابن حجر في فتح الباري رداً على من استنكر وقوع شق الصدر رأيت مـ ن المفيد ذكره هنا رداً على دعواه، فقال:

"وقد استنكر بعضهم وقوع شق الصدر ليلة الإسراء، وقال: إنما كان ذلك وهو صغير في بني سعد، ولا إنكار في ذلك فقد تواردت الروايات به وجميع ما ورد من شق الصدر واستخراج القلب وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة مما يجب التسليم له دون التعرض لـ صرفه عن الحقيقة لصلاحيته القدرة، فلا يستحيل شيء من ذلك، قال القرطبي في المفهم: لا يلتفت لإنكار الشق ليلة الإسراء لان روايته ثقات مشاهير^(٢).

ويقول الدكتور البوطي في فقه السيرة:

"تعد حادثة شق الصدر التي حصلت له عليه الصلاة والسلام أثناء حفرة. وليست الحكمة من هذه الحادثة - وإعلم - استئصال غدي الشر في جسم الرسول (ﷺ)، إذ لو كان الشر منبعه غدي في الجسم أو علفة في بعض أنحائه، لأمكن أن يصبح الشرير خيراً بعملية جراحية، ولكن يبدو أن الحكمة هي إعلان أمر الرسول (ﷺ) إنها إذن عملية تطهير معنوي ولكنها اتخذت الشكل المادي الحسي، ليكون ذلك الإعلان الإلهي بين أسماع الناس وأبصارهم^(٣).

وقد جاء في تفسير قوله تعالى (ثم دنا فتدلى) :

جبريل دنا من النبي (ﷺ) أي بعدما مد جناحه وهو بالأفق عاد إلى الصورة التي كان يعتاد النزول عليها وقرب من النبي (ﷺ).

واستدل أيضاً (عبد الزنجاني) بقول الفلاسفة والحكماء أن الرسول (ﷺ) رأى ربه بالتجلي والمكاشفة واستدل على ذلك بقول ابن عباس عن رسول الله (ﷺ) قال: رأيت ربي فوضع كفه بين كتفي فوجدت برداً بين يدي فعلمت ما في السماوات ثم تلا **﴿وَكَذَلِكَ نُرى**

إِبْرَاهِيمَ مَلُكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ (الأنعام: ٧٥)، يقول صدر الدين: رآه (ﷺ) بالتجلي والمكاشفة، ومنع هذه المكاشفة من القلب الإنساني أي نفسه الناطقة المنورة بالعقل

(١) المرجع نفسه

(٢) فتح الباري، شرح صحيح البخاري، ج ٨/ص ٤٧٥.

(٣) فتح الباري، ص ٤٧٦ أو انظر الرازي، ج ١٠/ص ٢٣٩.

الرد:

إن تفسير الكلام بهذا الوجه هو قول الفلاسفة والحكماء، فأما جمهور المسلمين فقد سبق وأن ذكرت آرائهم وتفسيرهم في ذلك، وما سقناه من أحاديث وأدلة واتسع مجال النقاش وثبت بالدليل العقلي واليقين القاطع والنقلي المتواتر أن الإسراء والمعراج كان بجسده وروحه يقطة لا مناما ومن أنكر شيئاً من القرآن فقد أنكر القرآن ومن أنكر القرآن فهو كافر/ وإعلام..

سورة المسد:

جاء الحديث عن سورة المسد في الدائرة تحت لفظة (أبو لهب) بدا الكاتب حديثه بترجمة مختصرة لأبي لهب ثم ذكر سورة المسد كما جاءت في القرآن الكريم ثم قال: "ويتضح من سياق هذه السورة أن معنى الآية الرابعة هو أن هذه المرأة ستجمع في جهنم الحطب الذي سيؤود تلك النار (البضاوي في تفسير الآية) وليس أنها كانت تجمع في حياتها الحطب أو بعدارة أخرى الحسك وتنثره في طريق النبي (ﷺ) كما يقول بعض المفسرين^(٢)، ولأنها كانت كثيرا ما تهين النبي (ﷺ) وتعيده بفقره^(٣).

الذي جاء في البضاوي: "حمالة الحطب يعني حطب جهنم، فإنها كانت تحمل الأوزار بمعاودة الرسول (ﷺ) وتحمل زوجها على إيدائه والنميمة فإنها توقد نار الخوصومة أو حزمه الشوك والحسك كانت تحملها فتنثرها بالليل في طريق الرسول (ﷺ)"^(٤).

فكما نلاحظ في قول البضاوي أنه ذكر أقوال العلماء في ذلك وهو إما أنها كانت تنثر الشوك في طريق النبي (ﷺ) أو المفصود به النميمة وليس كما بدا للكاتب المقال أنها تجمع الحطب في جهنم فهذا لم يقل به أحد من المفسرين ولم يقبله العقل ولا يناسب سياق الآيات ومفهومها وقد رجح الطبري الرأي الأول حيث قال:

"وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي قول من قال: كانت تحمل الشوك، فتطرحه في طريق رسول الله (ﷺ) لأن ذلك هو أظهر معنى ذلك"^(٥).

(١) الدائرة ج ٢ / ص ٢٩٢.

(٢) انظر الطبري، والبضاوي.

(٣) الدائرة ج ٣ / ص ٣٩٣ وما بعدها.

(٤) البضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ص ٨١٣.

(٥) الطبري، ج ٣٠ / ص ٣٣٩.

وجاء في صحيح البخاري، قال مجاهد: "حمالة الحطب": تمشي بالنميمة ورجح ابن كثير - ر هذا القول^(١).

والذي يظهر أنها سواء كانت تمشي بالنميمة أو أنها كانت ترمي الشوك في طريق النبي (ﷺ)، كل هذا كان في الدنيا وليس في الآخرة وأنها ستجمع في جهنم الحطب الذي سيوقد النار كما ادعى الكاتب ثم إنه هل النار بحاجة إلى حطب كي توقد في ميزان أو وقدرته. ثم يذكر الكاتب سبب نزول هذه السورة، وقد كان دقيقاً وموضوعياً في ذكر قصة سبب نزولها^(٢) كما جاءت:

فقد أخرج البخاري بسنده، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال:

لما نزلت ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء، ٢١٤) ورهطك منهم المخلصين، خرج

رسول الله (ﷺ) حتى صعد الصفا، فهتف: "يا صاحبا"، فقالوا: من هذا، فاجتمعوا إليه، فقال: رأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح الجبل، أكنتم مصدقي قالوا: ما جربنا عليك كذباً، قال: فإني مذكّر لكم بين يدي عذاب شديد، قال أبو لهب، تبا لك، ما جمعتنا إلا ليهـذا، ثم مـقام، فنزلت: تبت يدا أبي لهب وتب، وقد تب، هكذا قراها الأعمش يومئذ^(٣)

على أن الكاتب لم يوردها بسياقها وألفاظها هكذا من صحيح البخاري، ولم يذكرها بسياق الرواية هكذا، ثم يتحدث الكاتب عن "رواية أخرى رواها ابن إسحاق - ذكرها ابن هشام - هي أن أبا لهب فاه بعبارة فيها احتقار للنبي (ﷺ) في مناسبة أخرى، وكان ذلك بحضور هـذا - بنـت عتبة، جاء فيها من ألفاظ السباب "تبا" على أنه لا بد أن يكون قد سبق ذلك جملة مواقف عدائية - أساء فيها أبو لهب إلى النبي مما جعل الأخير يسخط على عمه مثل هذا السخط الشديد الذي لا شفقة فيه مع أن أبو لهب كثيراً ما وقف في صف في صف النبي بطريق غير مباشر^(٤)

الرواية التي ذكرها ابن هشام عن ابن إسحاق هي كما يأتي:

" قال ابن إسحاق: وحدثت أنه كان يقول في بعض ما يقول: يعذني محمد أشياء لا أراها، يزعم أنها كائنة بعد الموت فماذا وضع في يدي بعد ذلك؟ ثم ينفخ في يديه ويقول: تبا لكما مـا

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب " وامرأته حمالة الحطب " حديث رقم ٤٦٨٩ (").

(٢) انظر الدائرة ج ٢ / ص ٣٩٤.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة تبت يدا أبي لهب)، وكتاب المناقب، باب من انتسب إلى آبائه في الإسلام والجاهلية (حديث رقم " ٣٣٣٥ " " ٤٦٦٨ ").

(٤) الدائرة، ج ٢، ص ٣٩٤.

أرى فيكما شيئاً مما يقول محمد، فلنزل ا تعالى فيه "تبت يدا أبي لهب وتب" المسد^(١).

فكما نلاحظ في الرواية أنه لم يرد فيها من ألفاظ السباب على ابن أخيه، كما يدعي الكاتب ولم يرد فيها أن هذ بذت عتبة كانت حاضرة، وقوله "جعل الأخير يسخط على عمه" فيه إساءة للنبي (ﷺ) إذ إن الحديث عن النبي (ﷺ) ليس كالحديث عن أي شخص آخر، هذا رسول الأمة ونبراسها، هذا من قرن اسمه باسم الأعلام، له احترامه ومكانته، ألا يجوز أن تستبدل هذه الكلمة "الأخير" برسول ا؟؟ ولكنه الحقد والغل والحسد!!!.

ثم إن النبي (ﷺ) لم يسخط على عمه لأنه رماه بألفاظ من السباب والشتائم فقط، ولم يغضب (ﷺ) يوماً في حياته لنفسه إلا أن تنتهك حرمة ا ، فغضبه (ﷺ) من عمه كان لأنه كان يقف في طريق الدعوة ، ويحرض الناس على ذلك، فأراد ا عز وجل أن يثأر لنبيه وحبيبه فأهلكه تلك الهلكة وأنزل فيه قرآناً يتلى إلى يوم الدين، ليكون عبرة لمن اعتبر، ونسأل العفو والعافية وأن يثبتنا على هذا الدين. آمين..

وقول الكاتب: أن أبا لهب قد وقف في صف أخيه أبي طالب في طرف سابق لم يساعده، ومساعدة النبي (ﷺ) في طريق غير مباشر، قول غير صحيح..

ذلك أن أبا لهب اتخذ موقف العداوة من رسول ا (ﷺ) منذ اليوم الأول للدعوة.

قال ابن إسحاق: "حدثني حسين بن عبد ا بن عبيد ا بن عباس، قال: سمعت ربيعة بن عماد الدين، يقول: إني لمع أبي رجل شاب، انظر إلى رسول ا (ﷺ) ، يتبع القبائل، وراه رجل أطول وضيء الوجه ذو جمعة، يقف رسول ا (ﷺ) على القبيلة فيقول: يا بني فلان، إني رسول ا ، أمركم أن تعبدوا ا ولا تشركوا به شيئاً وإن تصدقوني وتمنعوني حتى أنفذ عن ا ما بقيت به، وإذا فرغ من مقالته، قال الآخر من خلفه: يا بني فلان هذا يريد مـنكم أن تـسلخوا اللات والعزى وحلفاؤكم من الجن من بني مالك بنا أقمس، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة، فلا تسمعوا له، ولا تتبعوه، فقات لأبي من هذا؟ قال: عمه أبو لهب^(٢).

فهذا نموذج من نماذج كيد أبي لهب للدعوة وللرسول (ﷺ) ، وكانت زوجته أم جميل فـي عونه في هذه الحملة الطاغية الطالمة.

(١) سيرة ابن هشام ج ١ / ص ٣٦٨.

(٢) رواه الإمام أحمد والطبراني بهذا اللفظ "مجمع الزوائد، باب خروج النبي إلى الطائف وعرض نفسه على القبائل قال الهيثمي رواه الطبري وفيه ابن اسحق هو مدلس ثقة ج ٣٥/٦، وانظر سيد قطب ج ٦ / ص ٣٩٩٩.

ولقد اتخذ أبو لهب هذا الموقف من رسول الله (ﷺ) منذ اليوم الأول للدعوة، كما سـبقت الإشارة لذلك عند ذكر سبب نزول هذه الآية.

ثم إن أبا لهب لما اجتمع بنو هاشم بقيادة أبي طالب على حماية النبي (ﷺ)، ولو لم يكونوا على دينه، تلبية لدافع العصبية القبلية، خرج أبو لهب على إخوانه وحالف عليهم قريشا، وكـان معهم في الصحيفة التي كتبوها لمقاطعة بني هاشم وتجويعهم كي يسلموا لهم محمداً (ﷺ).

وكان قد خطب بنتي رسول الله (ﷺ) - رقية وأم كلثوم - لولديه قبل البعثة، فلمـا كانـت البعثة - بعثة الرسول (ﷺ) - أمر بتطليقهما حتى يثقل كاهل محمد بهما! وهكذا مضى هو وزوجته يثيرانها حرباً شعواء على النبي (ﷺ) وعلى الدعوة، لا هــودة فيها ولا هدنة^(١)

ثم يتعرض الكاتب لتفسير قوله تعالى: "وتب" فيقول:

"وتعتبر هذه السورة مكية (وتب فعل ماض يدل على المستقبل "انظر شرح البيضاوي" بل ويعتبرها مولده من أقدم السور المكية، ولكن نص الآية الثانية ﴿مَا أَعْثَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ شأن القرآن فيما يماثل هذه العبارة - يدل على حدث في الماضي (انظر ر.س. ورة الأعراف آية ٤٦)^(٢)، الحجر ٨٤، الشعراء ٢٠٧، ومواضع أخرى) ولو أنه عذى المستقبل لاستعمل "يغني" كما هو المعتاد دائماً، أضف إلى ذلك أن استعمال "مما أَعْثَى" للدلالة على المستقبل لا مثيل له في القرآن. وإذن فهذه الآية تفصح عن نشوة الانتصار بهلاك أبو لهب الذي حدث قبل نزولها (انظر وفاته فيما بعد) وتدل على أنها نزلت بعد واقعة بدر بقليل من الزمن، ولم يشهد أبو لهب هذه الواقعة بنفسه إما لأنه كان مريضاً كما تقول بعض الروايات، وإما لأنه تشاءم من رؤيا سيئة رأتها عاتكة كما تقول روايات أخرى، وأرسل بدلاً منه عاصي بن هشام الذي كان أبو لهب قد ربح جميع أمواله في الميسر فاستعبده نظير دينه"^(٣).

يبدو أن الكاتب لا يعرف شيئاً عن استخدام القرآن للألفاظ وانتقائه لها في جملة بحوث تكون في ابلغ وأصح لغة، بل لا يعرف شيئاً عن الإعجاز والبيان والبدع في سياق الآيات

(١) سيد قطب ج ٦ / ص ٤٠٠

(٢) الآية التي أشار إليها فيها لفظ (أَعْثَى) رُفِمْهَا (٤٨).

(٣) المرجع السابق "الدائرة ج ٢ / ص ٢٩٤-٢٩٥

فالقرآن الكريم عندما يعبر عن المستقبل بالفعل الماضي إنما يعبر به لتحقيق وقوعه (ع-د) دم الإغناء) لقوله:

جزاني جزاه ا شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل
ويدل على أنه قرئ " وقد تب^(١) ".
قال العلماء وفي هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوة فانه منذ نزل قول-ه

تعد-..الى: ﴿ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾
(المسد: ٣ - ٥)، وامراته حمالة الحطب، في جيدها جبل من مسد " فآخبر عنها بالشقاء وعدم الإيمان لم يقض لهما أن يؤمنا ولا واحد منهما، لا ظاهراً ولا باطناً، لا سرا ولا علناً، وكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة الباطنة على النبوة الظاهرة^(٢)

وقد ورد فعل (ما أغنى) أكثر من مرة في القرآن وليس كما زعم الكاتب، فقد ورد ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي ﴾ (الحاقة "٢٨") حيث وصف القرآن الكريم بهذه الآية حال من س-يؤتى كتاب-ه بشماله يوم القيامة وعبر عن ذلك بالفعل الماضي لتحقيق وقوعه يوم القيامة وهذا رد على ف-ول الكاتب: "ما أغنى" للدلالة على المستقبل لا مثيل له في القرآن"، وهو بذلك يحاول أن يثبت أن هلاك أبي لهب كان قبل نزولها، بقوله "وإذن فهذه الآية تفصح عن نشوة الانتصار بهلاك أبي لهب الذي حدث قبل نزولها".

وهذا غير صحيح فقد سبق وان ذكرت الرواية التي ذكرت سبب نزول هذه السورة م-ن صحيح البخاري وذكرها الكاتب أيضا قبل ذلك، ثم عاد يناقض نفسه بنفسه فبعد أن ذكر ق-صة سبب نزولها وأنها نزلت بعد قوله تعالى: ﴿ وَأَنْذَرْتُكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ (الشعراء ٢١٤) وذكر-ر أنها من اقدم السور المكية حاول هنا أيضا أن يستدل بهذه الآية باستخدام القرآن للفعل الماضي بأنها نزلت بعد هلاك أبي لهب وبعد واقعة بدر بقليل من الزمن.

(١) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ص ٨١٣، ولنظر الكشاف ج٤/ ص ٨٠٨، ولنظر ابن عاشور ج ٣٠ / ص ٦٠٤
(٢) تفسير ابن كثير ج٤، ص ٨٣٠، طبعة دار الفجر للتراث، القاهرة.

فنحن نعلم أن وقعة بدر كانت في السنة الثانية للهجرة ونزول هذه السورة كان في بدايات الدعوة، فهل يعقل أن يكون حدث شيء وانتهى ثم نزل قرآن بشأنه بعد فترة مثل هذه في الزمن، هذا مما لا يقبله علم ولا يتصوره العقل، فالقرآن الكريم كان ينزل مباشرة وقت وقوع الحوادث كما في هذه السورة وغيرها.

هلاك أبي لهب هو الذي كان بعد وقعة بدر بسبعة أيام " بمرض العدسة^(١)، وفي مرضه اجتنبه أهله مخافة العدوى وكانت قريش تنتقيها كالطاعون فبقي ثلاثا حتى أئتن فلما خافوا العار استأجروا بعض السودان فاحتملوه ودفنوه وفي رواية حفروا له حفرة ودفنوه بعود حتى وقع فيها فدفنوه بالحجارة حتى واروه^(٢) اللهم عافنا واعف عنا.

الإخلاص:

لقد تم دراسة هذه الكلمة تحت لفظ "الإخلاص" ولم يعط الكاتب هذه الكلمة حقه من البحث سواء في معناها اللغوي أو معناها الاصطلاحي ولا ورودها في القرآن الكريم، تقول الدائرة:

"- إخلاص - الصفاء، خلوص الشيء من شوبه، ومعنى إخلاص كما يؤخذ من استعمال القرآن لهذا اللفظ (إخلاص الدين .. سورة النساء ١٤٦، الأعراف .. آية ٢٩، يونس. آية ٢٢، الزمر.. آية ١٤ - ١٦) .. هو الإسلام (سورة البقرة آية ١٣٣). وبهذا أصبح ضد الإشراك، أو الشرك. والسورة التي تؤكد أحدية الله ووحدانيته والتي تنزهه عن الشريك تسمى "سورة الإخلاص" كما تسمى أيضا "سورة التوحيد" وتتلى كثيرًا في الصلاة.."^(٣)

نلاحظ قصور يد الباحث عن أن يأتي لنا بمعلومات دقيقة عن الإخلاص ولا يلام، فهو ليس مجاله وليس بحره لكي يتعمق فيه فلا يعرف طريقه ولا يعرف طرق الغطاس فيه كي يأتي بمادة علمية تنشرح لها الصدور ولا باللؤلؤ المكنون عن مادة الإخلاص، فمعنى الإخلاص: التوحيد - وسورة الإخلاص سورة التوحيد^(٤)، وللتوحيد والإخلاص معان عظيمة - مبسوسة - في كتب التفاسير وكتب الأخلاق فمن أراد المزيد فليرجع إليه.

(١) النووي، تهذيب الأسماء واللغات ج ٢ / ص ٢٦٦، ترجمة ٤١٤، وانظر الألوسي روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني ج ٣١ / ص ٦٨٧

(٢) الألوسي روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج ٣١/ص ٦٨٧.

(٣) الدائرة ج ٢ / ص ٥١٩

(٤) انظر لسان العرب، باب الخاء، فصل الصاد، وانظر المعجم الوسيط، ج ١، ص ٥٤٩.

المبحث الثالث

من خلال ألفاظ وردت في الآيات وهي

السلام:

يتكلم الكاتب عن معنى من معاني السلام بأنه اسم من أسماء الحسنى فيقول: "وفي الآية ٢٣ من سورة الحشر "وهي سورة مدنية" يرد السلام اسما مـ ن أسـ ماء ا ، ويفسره البيضاوي بقوله انه " ذو السلامة من كل نقص وآفة، مصدر وصف به للمبالغة " (انظر عن التفسيرات الأخرى لهذه الآية، لسان العرب، ج ١٥، ص ١٨٢، س ٧ وما بعده، س ٢٠ وما بعده) ومن ثم فان السلام في عبارتي "دار السلام، وسبل السلام" يفسر بأنه اسم من أسـ ماء ا (البيضاوي في تفسير الآية "١٨" من سورة المائدة، لسان العرب، ج ١٥، ص ١٨٢، س ٢ وما بعده) بل إن ثمة من يقول بأن معناه في عبارة "السلام عليكم ا" ^(١).

ونلاحظ أن الكاتب يقتصر على ما وقف عنده علمه فيقول إن السلام أي ذو السلامة من كل نقص وآفة مصدر وصف به للمبالغة.

فماذا يقصد الكاتب أنه مصدر وصف به للمبالغة، هذا الاسم "سمى ا به نفسه " فهل هو مبالغ فيه، بل لم يوف الكاتب حق الكلمة من الشرح والبيان. فالسلام اسم من أسماء الحسنى، قال النسفي: "أي الذي سلم الخلق من ظلمه".

وقال ابن كثير: " أي سلم من جميع العيوب والنقائص كماله في ذاته وصفاته وأفعاله ^(٢).

ويقول سيد قطب: هو اسم يشيع السلام والأمن والطمأنينة في جنبات الوجود وفي قلب المؤمن تجاه ربه، فهو آمن جواره سالم في كنفه، وحيال هذا الوجود، وأهله من الأحياء والأشياء ويؤمن القلب من هذا الاسم بالسلام والراحة والاطمئنان وقد هدأت شرته وسكن بلباله وجنح إلى المودعة والسلام ^(٣).

ولا ادري إلام يستند عندما يقرر مادة علمية يقرأها الذاس ويتخذ ذونها علمـا وقواءـد معروفة، انه يقول: " فان في عبارتي دار السلام، وسبل السلام يفسر بأنه اسم مـ ن أسـ ماء ا

(١) انظر الدائرة مادة السلام.

(٢) الأساس، سعيد حوي، ١٠ / ٥٨٢٨.

(٣) سيد قطب ٦ / ٣٥٣٣.

الحسن، فلنقرأ الآيات في سورة المائدة قراءة فـط، قـال تعـالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ

جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ

كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ

رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ (المائدة ١٥-١٦).

إن هذه الآية الكريمة تنادي أهل الكتاب الذين كانوا يستكثرون أن يدعواهم إلى الإسلام نبي ليس منهم، نبي من الأميين الذين كانوا يتعالون عليهم من قبل ويتعالون لأنهم لم أهـل كتبـاب وهؤلاء أميون وهذا النداء الإلهي لأهل الكتاب يسجل عليهم أنهم مدعوون إلى الإسلام مدعوون للإيمان بهذا الرسول ونصرة وتأييده، ويبين لهم طبيعة ما جاء به هذا الرسول ووظيفته في الحياة البشرية، وما قدرا من اثر في حياة الناس.

لقد رضي الإسلام ديناً وهو يهدي من اتبع رضوانه هذا ويرتضيه لنفسه كما رضيـه له يهديه سبل السلام.

وما أدق هذا التعبير وأصدقـه إنه "السلام" هو ما يسكبه هذا الدين في الحياة كلهـا سلام الفرد، سلام الجماعة، سلام العالم، سلام الضمير و سلام العقل و سلام الجوارح، حقا إن ا يهدي بهذا الدين الذي رضيـه من يتبع رضوان ا سبل السلام^(١).

كيف يكون سبل السلام أو السلام بمعنى اسم من أسماء ا إن المتدبر للآيات أول تدبر يعرف بفطرته السلام أو السلام هنا هو المنهج والمبدأ والدين والطريق الذي يهدي ا لمن يتبع رضوانه. فالسلام من أسماء ا والسييل مضاف إليه: أي السيل التي يبينها ا وتنسب إليه.

أما قوله: دار السلام، فالآيات الواردة في ذلك، فقوله تعالى في سورة (الأنعام آية ١٢٥ -

١٢٧)، يقول تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ

(١) سيد قطب ٢ / ٨٦٢ .

صَيِّقًا حَرْجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ۚ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦٣﴾

وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۖ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿٦٤﴾ الأنعام: ١٢٦-١٢٥.

فآيات تتكلم عن جزاء الذين يتذكرون ولا ينسون ولا يغفلون، هم الذين ينتفعون به. ذا البيان والتفصيل، فلهم دار السلام عند ربهم ودار الطمأنينة والأمان مضمونة عند ربهم لا تضيع وهو وليهم وناصرهم وراعيهم وكافلهم ذلك بما كانوا يعملون.

ثم تكلم الكاتب عن استعمال صيغة السلام قبل الإسلام وأن لها أصلاً في العبارات العبرية والآرامية فقال:

إن صيغة "سلام" كانت مستعملة بمعنى التحية قبل الإسلام واستشهد في ذلك بأبيات م- ن الشعر، أما العبارات العبرية والآرامية المرادفة لذلك وهي: "شالوم لك"، و"ش-للاك (لك-ون)، و"شلا ما علاك" والتي ترجع إلى ما جرى به الاستعمال في التوراة^(١).

والذي يبدو أن الكاتب يريد أن يقول إن الرسول (ﷺ) أخذ هذه التحية من العبرية أو م- ن التوراة.

يمكن الرد على الكاتب كما يلي: فأقول له السلام كانت من أول الكلام الذي نطقه آدم أبو الناس، وأبو البشر، عن النبي (ﷺ)، قال: "خلق آدم على صورته طول ستون ذراعاً فلم يخلقها قال اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فزادوه: ورحمة الله وبركاته، فكل م- ن يدخل الجنة على صورة آدم فلم يزل الخلق ينفص حتى الآن^(٢). وهي الكلمة التي نطق بها عيسى عليه السلام وهو في المهد بقوله تع-الي: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ (سورة مريم آية ٣٣).

فالإسلام هذا الدين العالمي عمل على هداية البشر إلى ما ضلوا عنه وتاهوا عنه فتحي-ة أبيهم آدم هي السلام، فضلت ذريته من بعده وأوجدوا طريقاً آخر، فنشر بينهم، عم-ت ص-باحا

(١) الدائرة، ج ١٠، ص ٤٣.

(٢) انظر البخاري، كتاب الاستئذان، باب بدء السلام، ج ١، ص ٦٢٢٧.

وصباح الخير و مرحبا وأهلا وسهلا، فجاء الإسلام وقال لهم لا بد أن ترجعوا إلى تحية أب-يكم واقتصروا عليها فالمسألة ليست أن الرسول (ﷺ) أخذها من العبرية أو من التوراة، بل أراد أن يهدي الناس إلى التحية الصحيحة التي يرضاها الناس.

السنة:

إن الكاتب في دائرة المعارف يتكلم عن السنة، عن لفظ السنة، ومعنى السنة، ومكانة السنة في الإسلام، وعند الكاتب مصدرها من الرسول (ﷺ)، وليس من الوحي، يقول الكاتب:

"وإذا أردنا أن نفهم المعنى النظري والعملي للسنة في الإسلام وجب أن نذكر أن القرآن وإن كان مصدراً مستقى منه كثيراً من السنن فإن محمداً قد قضى في كثير من المسائل لا عن طريق الوحي وإنما بحسب الحالة التي تعرض له، وكانت أقوال النبي وأفعاله حتى في حياته تعتبر "سنة حسنة" ومن ثم رتبت وتحددت كتابته وإن لم تعادل في صيغتها القرآن وفي حجته وشرعيته"^(١).

ويلحظ من كلام الكاتب أن السنة من تأليف الرسول (ﷺ) بما أنه قضى في كثير من المسائل لا عن طريق الوحي وإنما بحسب الحالة التي تعرض له. وغفل الكاتب عن قوله تعالى:

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم ٣ - ٤).

ويغفل عن قصة سؤاله عن الروح فلم يجب وسكت حتى نزلت الآية "ويد-سألونك عن الروح"، وقد خص البخاري باباً كاملاً في كتاب السنة اسمها "باب ما كان النبي (ﷺ) يسأل مما لم ينزل عليه الوحي، فيقول: "لا أدري"، أو لم يجب حتى ينزل عليه الوحي ولم يف-ل-ب- رأي ولا قياس، عن جابر بن عبد الله، قال: مرضت فجاءني رسول الله (ﷺ) يعودني وأبو بكر وهم-أ-ماشيان فأتاني وقد أعغمي علي فتوضأ رسول الله (ﷺ) ثم صب وضوءه علي فقلت: يا رسول الله، وربما قال سفيان: فقال: أي رسول الله كيف اقضي في مالي؟ كيف أصنع في مالي؟! قال: فما أجابني بشيء حتى نزلت آية الميراث"^(٢).

بل ذهب كاتب دائرة المعارف إلى ابتعد من ذلك فجعل قول أن السنة موحى بها قول بعيد، والأبعد من ذلك أن السنة قاصرة على القرآن، وقد جاء بهذا القول من دون أن ينسب القول إلى

(١) الدائرة، ج ١٠/ص ٢٣٨.

(٢) أخرجه البخاري، ج ٩/ص ٧٠٣. كتاب السنة باب الحسن النبي يسأل

صاحبه، فيقول:

"وهناك حديث آخر أكثر من هذا تحديداً: (ألا وإن ما حرم رسول الله فهو منكم ما حرم الله) (الدارمي، المقدمة، باب ٤٨). وجعل السنة في مكانة القرآن قد أدى إلى القول بأن السنة أيـضا موحى بها: (كان جبريل ينزل على النبي ﷺ) بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن (الدارمي، المقدمة، باب ٤٨). بل ذهب المسلمون إلى ابعاد من ذلك فقالوا: (السنة قاضية على القرآن وليس الفـرآن يقاض على السنة)"^(١).

"إن الرسول ﷺ راشد غير ضال مهتد غير غاو، مخلص غير مغرض مبلغ بالحق عـن الحق غير واهم ولا مقصر ولا مبتدع ولا ناطق عن الهوى فيما يبلغكم من الرسالة: إن هــ وإلا وحي يوحى، وهو يبلغكم ما يوحى إليه صادقا أميناً"^(٢) فما نطق الرسول ﷺ نطقاً عن هــ وإله وعقله ورأيه بل كل كلامه وأفعاله وتقاريره هي وحي موحى به.

أما قوله بأن السنة قاضية على القرآن وليس القرآن يقاض على السنة، الكاتب لم يذـسب المفعلة إلى قائلها، فيقول الإمام أحمد: لا أجرؤ على هذا ولكن السنة مفسرة للقرآن وقائل هــ ذه العبارة إنما قصدها انها تساهم في تفسير القرآن الكريم، وإـ أعلم.

يقول د. وهبة الزحيلي عن منزلة السنة من القرآن الكريم: "منزلة السنة من ناحية ما ورد فيها من الأحكام فقد أبان ذلك الإمام الشافعي في رسالته وهي إما أن تكون السنة مقررة ومؤكدـة حكماً جاء في القرآن، أو مبينة وشارحة للقرآن، أو للاستدلال بها على النسخ، أو منشئة حكمـاً سكـت عنه القرآن"^(٣).

وتحت هذه الصور لا تكون فيها السنة قاضية على القرآن فمن أين جاء هذا الكاتب بهــ ذا الكلام...!!! إـ أعلم...!!!

أمة:

يعرف صاحب الدائرة كعادته هذه الكلمة ثم يعد تعريفه تعريفاً جامعاً مانعاً، وكعادته أيضاً ينسب هذه اللفظة إلى العبرية وإن القرآن أخذها من التوراة يقول:

"(أمة): هي الكلمة التي وردت في القرآن للدلالة على شعب أو جماعة، وهي ليست مشتقة

(١) الدائرة، ج ١٠/ص ١٣.

(٢) انظر سيد قطب ٣٠٤٦/٦.

(٣) أصول الفقه، وهبة الزحيلي، ج ١/ص ٤٦١.

من الكلمة العربية (أم) بل هي كلمة دخيلة مأخوذة من الكلمة العبرية (أما) أو م- ن الآرامية (أميثا)، ومهما يكن من شيء فإن محمد أخذ هذه الكلمة واستعملها وصارت منذ ذلك الحين لفظاً إسلامياً أصيلاً^(١).

يقول هذا الكلام وكأنه يتكلم عن قاعدة أصبحت بالنسبة له وللفارئ قاعدة مقررة، يعذري ينهي النقاش متى أراد عند الوصول لنقطة متفق عليها، انتهى، محمداً أخذ هذه الكلمة واستعملها وصارت منذ ذلك الحين لفظاً إسلامياً.

وقلنا قبل ذلك إن اللفظة وغيرها من الألفاظ التي من عادة صاحب الدائرة وأمثاله أن ينسبوها إلى غير العربية، بأن هذه الألفاظ إن كان أصلها غير عربي فإنها بالاس-تعمال ب-ين العرب حتى قبل نزول القرآن أصبحت عربية وقد استعملها العرب فلم يأخذ محمد ﷺ م-ن العبرية بل نزل القرآن بلغة قومه وهذه لغة قومه.

وإن من جرأة الكاتب وقلة علمه وبحته وهو يعذر في ذلك فالمادة ليست تخصصه، وليس من أهل البحث فيها:

يقول الكاتب: "وأطلق لفظ الأمة شذوذاً في آية واحدة (سورة النحل آية ٢٠) للدلالة على فرد هو إبراهيم، ومعنى لفظ الأمة هنا أيضاً الإمام كما يقول علماء اللغة، أو أن إبراهيم س-مى أمة أيضاً بصفته رئيس الجماعة التي أنشأها، وذلك بإطلاق لفظ الكل على الجزء)^(٢).

لا أدري ما ديانة هذا الكاتب أيهودي هو أم نصراني أم ماذا؟! اليهودي لا يقول ذلك ولا حتى النصراني لا يقول ذلك. إن إبراهيم أبو الأنبياء كلهم فهمما تكون ديانته لا يقول ذلك.

قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ

أَجَبْتَهُ وَهَدَنَهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿ (النحل ١٢٠ - ١٢١).

فالقرآن يرسم إبراهيم نموذجاً للهداية والطاعة والشكر والإنابة ، ويقول عنه هنا إنه كان أمة واللفظ يحتمل أنه يعدل أمة كاملة بما فيها من خير وطاعة وبركة ويحتمل أنه ك-ان إمام-ا يقتدى به في الخير... والمعنيان قريبان فالإمام الذي يهدي إلى الخير هو قائد أمة و-ا-ه أج-ره

(١) انظر الدائرة، ج ٤/ص ٤١١.

(٢) الدائرة، ج ٤/ص ٤١٢.

وأجر من عمل بهدأيته فكأنه أمة من الناس في خيرته وثوابه لا فرداً واحداً^(١) فاحتمالية اللفظ لأكثر من معنى خصيصة خص بها اللغة العربية وليس شذوذاً كما أسماه صاحب هذه الدائرة.

ويبدأ الكاتب بالكلام عن الأمة التي أنشأها محمد (ﷺ) وبعث فيها، يقول:

"كان محمد في أول رسالته يعتبر العرب عامة أو مواطنيه من أهل مكة أمة قائمة بذاتها، وكما أن أرسل رسله ومذريه إلى الأمم السالفة فهو قد أرسل محمداً ليبلغ رسالة إلى الأمة العربية، ويبين لها طريق النجاة، ولم يكن قد بعث فيها رسولاً من قبل، وقد كذب وأوذي أشد الإيذاء، شأن من سبقه من الرسل، وبعد أن قطع النبي علاقاته مع أهل مكة الوثنيين، وهاجر هو وأصحابه إلى المدينة، أسس جماعة جديدة تجعل أهل المدينة جميعاً، جماعة سياسية واحدة، بما فيهم المسلمون ومن لم يستجيبوا إلى دعوته الدينية، وينص كتاب النبي بين المهجرين والأنصار الذي وضعت فيه أسس هذا الحاف نصاً صريحاً على أن أهل المدينة بما فيهم اليه ود يكونون أمة (ابن هشام ص ٣٤١ وما بعدها، ص ٣٤٢ وما بعدها). على أن الصبغة السياسية الغالبة في هذه الأمة الجديدة إنما كانت مؤقتة، فلم يكد محمد يحس أن مركزه قد توطد في المدينة ويرى انتصاره في حروبه مع كفار مكة حتى استطاع أن يخرج من جماعته السياسية الدينية أهل المدينة، (وخصوصاً اليهود) الذين لم يعتنقوا الدين الذي جاء به وبمروءة زمن صارت أمته تتألف من المسلمين وحدهم" وصار يعتبر المسلمين أمة، ويؤكد صفتهم الخليفة والدينية (سورة آل عمران آية ١٠٤، ١١٠)، ويعتبرهم غير أهل الكتاب الذين كان محالفاً لهم^(٢)؟

يريد الكاتب أن يقول لنا إن محمداً عندما أنشأ المجتمع الإسلامي في المدينة كان مجتمعاً مؤقتاً ثم إن الجماعة التي أسسها في المدينة هي سياسية أكثر منها دينية، واقتصرت أمته على المسلمين فقط دون أهل الكتاب الذي كان حليفاً لهم أو محالفاً لهم، وبعد أن قطع صلته بهم عاد إلى بلادته وأرضه الأولى وهي الكعبة.

والنقطة الأساس التي يدور حولها الكاتب أن النقطة الأساسية التي أرادها محمد (ﷺ) هي إنشاء أمة العرب جميعاً لكن النتيجة التي وصل إليها غير التي أرادها، يقول:

(١) سيد قطب، ج ٤ / ص ٢٢٠١.
(٢) انظر الدائرة ج ٤ / ٤١٣ - ٤١٤.

"وكان من أثر قطعه للصلة بأهل الكتاب أن بدأ يميل إلى أهل مكة وإلى الكعبة - مركز - زعبادتهم (انظر في هذا سورة البقرة، آية ١١٩ وما بعدها، وخصوصاً آية ١٢٢، سورة الحج، آية ٣٥ و ٦٦) وإنما كان رجوعه إلى فكرته الأولى في إنشاء أمة تشمل العرب جميعاً - رجوعاً - ظاهرياً، فالحقيقة أن النتيجة الأخيرة التي وصل إليها تختلف اختلافاً جوهرياً عن النقطة التي بدا منها، فإن فكرة إنشاء أمة عربية - وهي الفكرة التي أخذها محمد أول الأمر قضية مسلمة - لم تتم إلا بعد جهد عظيم" (١)

وقد تناسى الكاتب أن محمداً (ﷺ) رسول الناس كافة ولو أنه أراد مجتمعاً عربياً لما تقبل إسلام سلمان الفارسي، وصهيب الرومي، وغيرهم ممن دخلوا الإسلام وهم ليسوا عرباً، ولا - وكان هدفه كذلك لما أرسل برسله إلى قيصر عظيم الروم، وكسرى ملك الفرس، وغيرهم من ملوك العالم، فالنتيجة التي توصل إليها هو هدفه الذي أراده بداية الأمر وقد توصل إليه بـ إرادة من الله تعالى بأن يصبح الإسلام الدين العالمي الذي ينشر سلامه وأمنه وظلاله على هذه الأرض. قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سبأ: ٢٨) وقال في آية أخرى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

إرم ذات العماد:

يذكر الكاتب هذه القبيلة ويعرف فيها ويرى أنه ذكر مرة واحدة في القرآن الكريم، ويقصد الكاتب فقط " إرم " أما قصة عاد والنبي هود عليه الصلاة والسلام فقد ذكرت - والى - عشر مرات في القرآن الكريم بشيء من التفصيل، وقد أخذت على الكاتب قلة وفائته في البحث وعدم غزارة مادته، يقول صاحب الدائرة:

" - إرم ذات العماد - لم ترد في القرآن إلا في سورة الفجر، الآية (٦-٨): ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ

فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿١﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٢﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٣﴾ وَيُمْكِنُ أَنْ تفسر الصلة بـ ين - عاد وارم في هذه الآيات على وجوه مختلفة كما فعل المفسرون: فإذا اعتبرت إرم مقابلة لعماد، فإنه

(١) انظر الدائرة، ج٤ / ص ٤١٤ .

من الواضح أن تعتبر إرم أيضا اسما لنفس القوم من الناس، ويمكن والحالة هذه أن يفهم م-م-ن العماد معنى قوائم الخيام.

ويقول مفسرون آخرون إن العماد إنما تشير إلى الشأن الرفيع الذي كان لقوم إرم، وه-و أسلوب في تأكيد هذه الرفعة، أما إذا كانت الصلة بين إرم وعاد صلة إضافة، فإنه يحتمل أن تكون إرم ذات العماد تعبيراً جغرافياً يدل على مكان الاستيطان وهذا هو رأي السائد بين المسلمين، على أن الآراء قد اختلفت في الشرق والغرب فيما يشير إليه هذا التعبير - وي-رى ياقوت - ويتبعه في ذلك الكثيرون. إن ذات العماد صفة لدمشق (انظر مادة دمشق) وفيها استقرار جيرون بن سعد بن عاد وابتنى تحليها عمد من الرخام، وقد استغل لوث " loth " هذه الرواية في تدعيم رأيه القائل بأن اسم إرم لا يتصل إلا بالروايات الآرامية^(١).

* يقول ابن كثير في بيان إرم ذات العماد:

"ومن زعم إرم مدينة تدور في الأرض فتارة في الشام وتارة في اليمن، وتارة في الحجاز، وتارة في غيرها، فقد أبعد النجع وقال ما لا دليل عليه ولا برهان يعول عليه، ويقال: " أن هودا عليه السلام أول من تكلم بالعربية، ويقال للعرب الذين كانوا قبل إسماعيل عليه السلام - العرب العاربة - وهم قبائل كثيرة: منهم عاد وثمود وجرهم وطسم وجديس.. " وأما العرب المستعربة فهم من ولد إسماعيل بن إبراهيم وكان إسماعيل أول من تكلم العربية الفصيحة البليغة وكان قد أخذ كلام العرب من جرهم الذين نزلوا عند أمه هاجر بالحرم..

ومن زعم أن "إرم" مدينة من ذهب وفضة وهي تنتقل في البلاد فقد غلط وأخطأ وقال م-ا لا دليل عليه"^(٢)

ويقول محمد عبده: "عاد جيل من العرب العاربة أو البائدة كان هذا الجيل معروفا باسم عاد ويلقب أيضاً بإرم وبقي مشهوراً عند العرب بذلك وذات العماد وصف لازم وهي قبيلة عاد نفسها ومعنى ذات العماد وسكان الخيام حلاً وارتحالاً أو ذات العماد الرفيع والقوة المنيعه عبر بالعماد عن العلو والشرف والقوة وكانت منازلهم بالرمال أو الأحفاف، إلى حضرموت وقد بلغت عاد من الشدة والقوة مبلغاً لم يصل إليه سواها في عهدها"^(٣)

(١) انظر الدائرة، ج ٤ / ٦٣٣.

(٢) قصص الأنبياء، ابن كثير، ص ٩٥.

(٣) تفسير جزء عم / محمد عبده، ص ٨٣

البينة:

تقول الدائرة:

" البينة: والجمع بينات، وهي مؤنث - بين - بمعنى: جلي، واضح، وقد وردت بمعنى - الدليل الواضح - في آيات كثيرة من القرآن الكريم (سورة البينة آية ١، ولذلك سميت الـسورة باسم سورة البينة) وتدل الكلمة في الاصطلاح الشرعي على الدليل القاطع، ذلك الـذي يثبت بالشهادة، على الرغم من أن المصطلح أصبح منذ العصر القديم لا يطلق على الشهادة الـشرعية فحسب، بل على الشهود أنفسهم أيضاً" (١)

وقد أورد الكاتب كلاماً عن آية الوصية في حالة الضرب في الأرض، يقول:

" وفي آيات القرآن الكريم الخاصة بأحكام الوصية (سورة المائدة: الآيات ١٠٦ - ١٠٨). يطلب من الشاهدين في حالة الريبة، أو وجود شاهدين آخرين يقومان مقامهما، أن يحلفا با ، بيد أن الرأي المتعارف عليه أن الحكم الوارد في هذه الفقرة منسوخ، وهو الحكم الوحيد في القرآن الكريم الذي ينص على ضرورة وجود شاهدين غير الأولين يثبت دليلهما بقسم: ويمكن تفهيم بعض الأمثلة التي حدثت من حين لآخر، وبصفة استثنائية في ظل الإسلام، لفضاة طلبـهـا وامن شهود ارتابوا فيهم أن يقسموا" (٢)

ولنأت للآيات فـال تعـالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهْدَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ

الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِن أَنْتُمْ صَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَبْتَكُمْ مِّصِيبَةُ الْمَوْتِ

تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ

اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْأَثَمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُرِيَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخِرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ

عَلَيْهِمُ الْأُولَىٰ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَدْنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَدَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَلِكَ

أَدْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهٍ أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانُهُمْ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

(١) الدائرة ج ٩ / ص ٧٣ .

(٢) الدائرة ج ٩ / ص ٧٤ .

وهو حكم خاص بتشريع (شهادة على الوصية) في حالة الضرب في الأرض والبعد عن المجتمع وبيان الحكم: أن من أحس بدنو أجله ويريد أن يوصي لأهله وكان ضارباً في الأرض ولم يجد مسلمين فيجوز أن يكون الشاهدان من غير المسلمين، فإن ارتاب أهل الميت في صدق ما يبلغه الشاهدان وفي أمانتهما في أداء ما استحفظا عليه فانهم يوقفونهما بعد أدائهما للصلاة - حسب ديانتهم - ليحلفا بأنهما لا يكتمان شيئاً من ما استحفظا عليه، وإلا كلنا آثمين، - فإذا ظهر أنهما ارتكبا إثم الشهادة الكاذبة قام أولى اثنين من أهل الميت من الذين وقع عليهم هذا الإثم بالحلف بأن شهادتهما أحق من شهادة الشاهدين الأولين، وبذلك تبطل شهادة الأولين، وهذه الإجراءات أضمن في أداء الشهادة بالحق^(١) وأما استغراب من الكاتب يختصر مثل هذه الحكم بهذا الكلام ثم يقول إنه من المتعارف عليه أنه منسوخ فما دليله ولم لا يفصل في مثل هذا الحكم المهم الذي تضمن حقاً مهماً وهو حق الوصية، فالآية هنا لا نسخ فيها وقد رد الإمام القرطبي قول من قال أن قوله سبحانه "أو آخران من غيركم" منسوخ، فقال: "أن الآية لا نسخ فيها؛ قاله الزهري والحسن وعكرمة؛ ويكون معنى قوله: "منكم" أي من عشيرتكم قرابتكم؛ لأنهم أحفظ وأضبط وأبعد عن النسبان. ومعنى قوله: "أو آخران من غيركم" أي من غير القرابة والعشيرة؛ قال النحاس: وهذا يبينني على معنى غامض في العربية؛ وذلك أن معنى (آخر) في العربية من جنس الأول؛ تقول: مررت بكريم وكرم آخر؛ فقله: (آخر) يدل على أنه من جنس أهل الأول؛ ولا يجوز عند أهل العربية مررت بكريم وخسيس آخر؛ ولا مررت برجل وحمار آخر؛ فوجب من هذا أن يكون معنى قوله: "أو آخران من غيركم" أي عدلان؛ والكفار لا يكونون عدولاً فيصح على هذا قول من قال: "من غيركم" من غير عشيرتكم من المسلمين. وهذا معنى حسن من جهة اللسان؛ وقد يحتج به لمالك ومن قال بقوله؛ لأن المعنى عندهم "من غيركم" من غير قبيلة - تكلم؛ على أنه قد عورض هذا القول بأن في أول الآية (يا أيها الذين آمنوا) فحطت الجماعة من المؤمنين^(٢).

(١) انظر سيد قطب، ج ٢/ص ٩٩٣.

(٢) القرطبي، تفسير آيات الأحكام، ج ٣، ص ٢١٦. ط دار الفكر، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥.

الفصل الثاني

التفسير الموضوعي في دائرة المعارف الإسلامية

ولقد أشارت دائرة المعارف إلى التفسير الموضوعي من خلال حشد آيات وردت فيها ألفاظ تخص العقيدة وأخرى تخص الأحكام.

المبحث الأول

الآيات في ما يخص العقيدة من خلال الألفاظ التالية

أولاً: أ :

جاء الحديث عن لفظ الجلالة تحت لفظة "أ" وقد كان الكاتب في حقيقة الواقع غيـر مؤدب مع خالقه وربّه ومولاه، مهما تكن ديانته، وسيلحظ هذا:

قال الكاتب: "معرفاً لفظ الجلالة أ ، أنه: الكائن الأعلى للمسلمين وقد عرف النبي (ﷺ) بأنه: الملك المنتقم الغيور وأنه سيحاسب الناس ويعاقبهم يوم القيامة، وبذا تحولت الفكرة الغامضة عن أ إلى ذات لها خطر عظيم، وتبدو أسماء أ الحسنى لأول وهلة خليطاً غريباً من الألفاظ الدالة على التجسيم والعبارات. وهذه الصفات تصور كائناً غنياً بنفسه أبدياً، ومن العجيب أن صفة الضار يوصف بها الشيطان أيضاً في القرآن الكريم، وأما عن صفاته المعنوية فقد وردت في قلة يشوبها الغموض فإنه يصعب علينا معرفة ما يقصده محمد من صفات "الفـدوس، والسلام، والنور"^(١).

* والنص يحتوي على نقاط أنكر منها:

١ - تعريف الكاتب للفظ الجلالة "أ".

٢ - أن صفات أ تصور كائناً غنياً بنفسه.

٣ - أن العجيب أن تطلق صفة "الضار" على الشيطان أيضاً في القرآن الكريم.

* مآخذ على الكاتب:

* سوء أدب الكاتب:

(١) انظر الدائرة ج ٥٦٣/٢.

من سوء أدب الكاتب ليس مع المسلمين فحسب بل مع جميع الديانات الأخرى، أنه يعرف
 ا جل وعلا وتنزهه عن كلامه، فيقول: "إنه الكائن الأعلى للمسلمين" يخصصه بالمسلمين، وفيه - ول:
 "إنه ذات لها خطر عظيم" ولا يزال مصراً على سوء الأدب فيقول عنه "كائننا".

الرد: فأقول وبا التوفيق:

أولاً: أن ا ليس إلها للمسلمين فحسب، فإذا أراد الكاتب أن يرسل برقية طعن للمسلمين فليدع
 أخبره أن هذه البرقية قد وصلت إلى جميع الديانات السماوية لأنها تعتبر ا الإله الأعظم،
 وترتجف عند نطق اسمه لكن هذا الشخص فإنه لا يتردد أن يصف ا جل وعلا به - ذه
 الكلمات.

بل هو رب الكون كله باعتراف المشركين أنفسهم وباعتراف فرعون (وم - ادراك م - ن
 فرعون) الذي علا في الأرض وادعى الألوهية.

حكايه عن أهل مكة الذين أشركوا مع ا غيره قال تعالى ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ

الْحَرِثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ

لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا

يَحْكُمُونَ ﴿ (الأنعام، ١٣٦).

وقال تعالى في ح - ق فرع - ون: ﴿قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتَ بِهِ بَنُوا إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ

الْمُسْلِمِينَ ﴿ (يونس، ٩٠).

﴿وَاللَّهُمَّ إِنَّكَ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿ (البقرة: ١٦٣) تع - الى ا عم - ا

يصفون علواً كبيراً.

ثانياً: إن الكاتب يصير على سوء الأدب ليس مع المسلمين بل مع ا ، إنه يحاول أن يربط بين
 اسم ا الضار، ويجعله صفة للشيطان، تعالى ا عما يقول علواً كبيراً، وهو يح - اول أن
 يجد عاملاً مشتركاً بين ا والشيطان والعياذ با ، ويدعي الكاتب أن الشيطان قد وصف - ف
 بالضرار في القرآن الكريم في سورة (المجادلة آية ٣).

"آية ٣" من سورة المجادلة لم يذكر الشيطان لا من قريب ولا من بعيد، وهذا أضعف في البحث وعدم الدقة والتحري، الآية في سورة المجادلة التي ذكر الشيطان فيها هي "آية ١٠"، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَرَارِهِمْ شَيْءٌ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (المجادلة ١٠).

قد نفى ا بوضوح الضرر عنه فجعل هذه الصفة طارئة عنده ليست أساسية فكيف يقول انه من العجيب أن يصف القرآن الشيطان بها. فالمعنى الذي آرادته الآية أن الضرر الذي يمكن أن يلحقه الشيطان بالمؤمنين لا يكون إلا بمشيئة ا .

إبراهيم عليه السلام:

نص الدائرة: "انه في السور المكية لم يذكر قط أن إبراهيم هو واضع البيت ولا أنه أول المسلمين، " انظر الحجر آية ٥، الأنعام آية ٧٤، الصافات ٨١، هود ٧٢، الأنبياء ٥٢، العنكبوت ١٥ " أما في السور المدنية فإبراهيم يدعى حنيفا مسلما وهو واضع ملة إبراهيم رفعه مع إسماعيل بيته المحرم "البقرة ١١٨، آل عمران ٦٠ " وسر هذا الاختلاف أن محمد كان قد اعتمد على اليهود في مكة فما لبثوا أن اتخذوا حiale خطة عدااء فلم يكن له بد من أن يلا-تمس غي-رهم ناصراً هناك فهده ذكاء مسدد إلى شأن جديد لأبي العرب إبراهيم، وبذلك استطاع أن يخلص من يهودية عصره ليصل حبله بيهودية إبراهيم، تلك اليهودية التي كانت ممهدة للإسلام^(١).

* نلاحظ أن النص احتوى على نقاط عدة منها:

١- أن قصة إبراهيم عليه السلام انه واضع البيت ولنه أول المسلمين لم يذكر في السور المكية، أما في المدنية فذكر ذلك.. ويرجع صاحب الدائرة السبب في ذلك أن النبي (ﷺ) اعتمد على اليهود في مكة فما لبثوا أن عادوه فكان لا بد له من أن يبحث عن عناصر-ر غيرهم، فاهتدى بذكائه الشديد إلى الحديث عن أبي العرب إبراهيم عليه السلام.

٢- يدعي صاحب الدائرة أن إبراهيم كان يهوديا وهي دعوى قديمة قدم الكتابة والقر-راءة وما لسهل الرد على دعوى رد ا عليها ودحضها قبل أن يأتي صاحب الدائرة ويفك-ر أن يدعي أن أبا العرب كان يهوديا فقال تعالى "ما كان إبراهيم يهودياً ولا ن-صرانياً (آل

إن هذه الدعوى (مجرد دعوى دون دليل) تفرح قلوب اليهود أن يذسبوا إبهـ راهيم لهـ م ويجعلونه يهوديا وتشعرهم بالفخر بأن إبراهيم أبوهم وليس أبا العرب حتى إنهم ذسبوا قـصة الذبيح لسيدنا إسحاق عليه السلام يريدون أن يجعلوا كل الأنبياء يهوديو الديانة، يقول: صـاحب الدائرة ناسبا قصة الذبيح إلى سيدنا إسحاق عليه السلام: " ولما بلغ إسحاق السابعة مـ ن عمـ ره ذهب للسعي وأمر إبراهيم في منامه بأن يقدم قربانا إلى ا فلما أصبح ذبح عجلا وفرق لحمـ ه وسمع في الليل صوتا يقول إن ا يريد أن تذبح ابنك، فانتبه من نومه مذعورا، وقال يا بني إني أرى في المنام أنني أنبحك^(١)

وللرد على ما تقدم من دعاوى أقول :

أولا: نلاحظ من الكاتب عدم تحري الدقة في كتابته بقصد الطعن، فقد ذكرت قصة إبراهيم والبلد الآمن في سورة إبراهيم وهي سورة مكية.

قـال تعـالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ

الْأَصْنَامَ ﴿۝٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَلَنِي كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ

رَحِيمٌ ﴿۝٣٦﴾ رَبَّنَا إِنِّي أَصْبَحْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ

فَأَجْعَلْ أَفْعَدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿۝٣٧﴾ (إبراهيم آية

٣٥ - ٣٧).

وقال تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعٌ

الدَّعَاءِ ﴿۝٣٨﴾ (إبراهيم آية ٣٩).

ويقول في سورة الصافات: ﴿ وَإِن مِّن شَيْعَةٍ إِلَّا بَرَاهِيمٌ ﴿۝٣٩﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿۝٤٠﴾

إِذْ قَالَ لِأَيُّهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿١﴾ أَفَكَا ءَالِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٢﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣﴾ فَنَظَرَ

نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٤﴾ (الصافات ٨٣ - ٨٨).

ويذكر في السورة السابقة وهبه (غ-لام) ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ (ال-صافات:

١٠١)، ثم وهبه إسحاق، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ﴾ (الأنعام: ٨٤) وفي سورة الأنعام ذكر - ر

إسماعيل وقال: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَهُدًى وَكَوْنًا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام:

٨٦).

ثانياً: إن القارئ لكلام الدائرة يلحظ بكل سهولة التناقض الموجود في كلامه - هبه - وفيه - ول أن إبراهيم كان يهودياً ويقول في ذات النص أن محمداً كان في مكة يتخذ اليهود أنصاراً له - مع أنه لم يكن في مكة يهود على حد زعم الكتّاب - فلما عادوه ما لبث أن بحث عنه - أنصار غيرهم وهم العرب (عرب المدينة) فلو أن إبراهيم كان يهودياً كم - ا - يدعي - هبه - و يكسب ود اليهود (يهود المدينة) وليس العرب.

فكلام الدائرة يلعن بعضه بعضاً، غير متوافق في شيء، أما أن يكون إد - راهيم أب - ا - اليهود ومحمداً لم ينو بإيواء قصة إبراهيم في العهد المدني كسب ود العرب ليجد أنصاراً غير اليهود، و إما أن يكون إبراهيم أباً العرب ونوى محمد أن يكسب ود العرب أنصاراً له غير اليهود.

هذا فقط لبيان الاختلاف والتلاعن في كلام الدائرة وليس على موافقة مني على نية محمد (ﷺ) أو إثبات يهودية إبراهيم...

ثالثاً: لو سلمنا لصاحب الدائرة بنية محمد (ﷺ) وتخطيطه الذكي بأن يجد أنصاراً له غير اليهود، فأين مذهب بالتاريخ فإن أحداً من علماء التاريخ لم يشهد أن محمد (ﷺ) قد اعتمد على اليهود في مكة على فرض وجود اليهود في مكة فالدائرة أول من يقول ذلك، بل كان ك - ل أتباعه من العرب والضعفاء والفقراء، فلم لم تضرب لنا الدائرة مثلاً واحداً اعتمد فيه - هبه - الرسول (ﷺ) على اليهود في مكة؟ بل إنهم ناصبوه العداء من أول الدعوة حسداً من عند أنفسهم وحقداً وكراهيةً لأنه لم يبعث فيهم النبي الخاتم، فالمعروف تاريخياً أن اليهود كانوا

يتنبأون ببعثة الرسول الخاتم فيهم قبل بعثة محمد بأسابيع، وفي ليلة ولادة الرسـول (ﷺ) كانوا يقولون قد ولد اليوم خاتم الأنبياء فلما خرج من العرب غاروا وحسدوا وكذبوا بهـل على العكس حاربوه وعادوه.

رابعاً: لو سلمنا جدلاً أن إبراهيم كان يهودياً فهل يوافق التاريخ على ذلك !! هل توافقـ ق كـتـ بهـم المحرفة على ذلك؟! بنو إسرائيل أتباع موسى عليه السلام هم أبناء سيدنا يعقوب ويعقوب ابن إسحاق وإسحاق ابن إبراهيم، فهل يقبل أن يتبع الجد ديانة ابنه، وهل يقبل عقلاً أن يتبع الميت ديانة الحي، هل قام سيدنا إبراهيم واتبع توراـة موسى، عقلاً لا تقبل، لم يكن إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً بل إن موسى وعيسى جاءا بعده، قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (آل عمران 60).

وفـال تعـالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (آل عمران 67).

خامساً: إن ذكر قصة سيدنا إبراهيم في العهد المدني كان له هدف وهو تحويل القبلة – فكانت في مكة إلى القدس – فلما هاجر الرسول (ﷺ) إلى المدينة حولت إلى الكعبة المشرفة في مكة، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهْرًا بَيْتًا لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ

وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٣٤﴾ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ

إِلَّا مِنْ سَفِهَةٍ نَفْسِهِ، وَلَقَدْ صَظَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ ۖ

أَسْلِمَ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٦﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَى ۖ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ

الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٧﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ

مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُهَا وَحِدًا

وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٨﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا

يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ (البقرة ١٢٥ - ١٣٤).

سادساً: أما بالنسبة لقصة النبيح فإن الكاتب يريد أن ينسبها لإسحاق عليه السلام والدليل على

نقيض ما يقول من القرآن الكـ ريم قولا هـ تعـ الى: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَقَلَّ لَهُمَا جَبِينَ﴾ ﴿١٣٨﴾ وَتَدَيَّنَتْهُ أَنْ

يَتَابَرَهُمَا ﴿١٣٩﴾ قَدْ صَدَّقَتِ الرُّبِّيَا ۖ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٠﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٤١﴾

وَفَدَيْنَهُ بِذَبِيجٍ عَظِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَتَرْكُنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٤٣﴾ سَلَّمَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿١٤٤﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ

﴿١٤٥﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٤٧﴾ (الـ صافات ١٠٣ -

(١١٢).

فكيف يورد ا عز وجل قصة النبيح الذي هو إسحاق "دائرة المعارف" ثم يقول "وبـ شرناه بإسحاق.." فان كلام البشر يجل بهذا الخطأ فكيف بكلام ا عز وجل، وحتى لو على اعتقـ اد الكاتب أن هذا الكلام من تأليف محمد فليس من المعقول أن يسكت الصحابة عـ ن هـ ذا الخطـ أ الفادح وهم من أفصح العرب، إلا إذا كان من المعروف عندهم أن النبيح هو إسـ ماعيل عليه هـ

ويقول ابن كثير: "إن الاختلاف بين أهل المال أن إسماعيل بكر إبراهيم وأول ولد له، وهذا ما استدل ابن كعب القرظي (وهو من اليهود الذين أسلموا) على أن الذبيح إسماعيل وليس إسحاق بقول-ه: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبُ﴾ (هـ-ود: ٧١) قال: فكيف تقع البشارة وأنه سيولد له يعقوب ثم يؤمر بذبح إسحاق وهو صغير قبل أن يولد؟! هذا لا يكون لأنه يناقض البشارة المتقدمة"^(٢)

جبريل:

نص دائرة المعارف: "ولجبريل شأن هام وقد اصطنع النبي (ﷺ) القصة التي تنقل به أن هذا الرسول السماوي يتحدث إلى الأنبياء وأعتقد أنه تلقى رسالته ووجهه منه ويقول عن اسمه ومن المحتمل أن النبي لم يسم لأول وهلة الروح الذي نزل عليه لان الآيات الثلاث التي ورد فيها اسم جبريل نزلت متأخرة إلا من رواية أول نزول القرآن حيث تذكر أن الوحي نزل أول ما نزل بجبل حراء حيث ففل النبي راجعا والصوت يسترسل قائلا: "يا محمد أنت رسول الله وأنت-أ- جبريل" ولعل هذه الرواية إنما أضيفت فيما بعد"^(٣)

* مناقشة النص:

إن الكاتب يتكلم في قضايا خطيرة حساسة وبينها على شك واحتمال فيقول: "من المحتمل" ولعل هذه الرواية... والبحث العلمي يبنى على أدلة ووقائع واضحة وصریحة.

انه يقول "من المحتمل" (والاحتمال نسبة صحته مساوية لنسبة خطئه)، يـقـول: "إن النبي (ﷺ) لم يسم لأول وهلة الروح الذي نزل عليه جبريل وهنا تناقض في كلامه هو يريد أن يطعن بالنبي (ﷺ) ولا يعرف فلو أنه قال: إن النبي لم يسم الروح التي ادعى أنها نزلت عليه بجبريل-ل لأصبح الطعن واضحا وجارحا في الصميم لكن يجعل التسمية بيد الرسول (ﷺ) ثم يـقـرر أنها-ا نزلت على الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله "الروح الذي تنزل عليه".

ثم يعود الكاتب إلى الشك فيقول: "ولعل هذه الرواية إنما أضيفت فيما بعد" و"لعل-ل" تنفي-د

(١) فصوص الأنبياء، ابن كثير، ص ١٤٥.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) الدائرة مادة جبريل، ج ١٢/ص ٤١٠.

الشك والشك نسبة خطأ المعلومة أكثر من نسبة تصحيحها، يكفي رداً على صاحب الدائرة بأنه دائماً متشكك.

* الرد:

أقول: إن رسول الله ﷺ أمي لا يعرف القراءة ولا يعرف العبرية حتى يعرّف اسم -م جبريل من التوراة ثم إن خبر قول جبريل "أنت رسول الله" وأنا جبريل -ل^(١) "وارد في ص -حيح البخاري وقد تلقته الأمة بأجمعها بالقبول والإجماع خير دليل يدحض تشكك هذا الباحث فليحاول أن يقرأ - يكتب مرة أخرى على ظن غالب وليس شك مدحوض.

التوراة:

نص الدائرة: يقول: "ما صفة محمد في التوراة إلا رواية غير دقيقة للفقرات" ١ - ٤ م - ن الاصحاح الثاني والأربعين من سفر أشعيا^(٢).

- يريد الكاتب أن ينفي وجود البشارة برسول الله ﷺ في الكتب السابقة وهذا الأمر ثابت لا يحتاج دليلاً سواء كان من الكتب السابقة أو ما حمله الدليل من القرآن وفي هذا يقول الدكتور عبد العظيم المصطفي: "إن وجود البشارات وع -دمها س -واء، أ -جل إن وجودها وعدمه سواء في الكتب السابقة، فرسالة الإسلام ليست بحاجة إلى دليل ي -ام عليها من خارجها، بحيث إذا لم يوجد الدليل الخارجي بطلت - لا س -مح ا - ت -ك الرسالة فهي رسالة دليلها فيها وجود البشارات بها في كتب متقدمة - زمنا - عليها لا يضيف إليها جديداً وعدم وجودها لا ينال شيئاً قطعاً"^(٣).

هذا كلام صحيح فإن الإسلام لا يحتاج إلى دليل وهل يحتاج ضوء الشمس إلى دليل طبعاً لا، لكن أقول وبإ - التوفيق:

الرد:

قد يحتاج النبي ﷺ إلى شيء معجز يثبت صدق النبوة؛ وعليه فإن ا - جل وع - لا يرس -ل بالمعجزات دليلاً على صدق النبوة ولكن هذا الأمر في جميع ع -ال -ديانات م -ا -ع -دا الإسلام، فالمعجزات التي جاءت تجعله مساوياً للأنبياء السابقين، فقد جاءت المعجزات للدلالة على صدق

(١) أخرجه النجار، باب أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة، حديث رقم ٦٥٨١.

(٢) الدائرة، ج ٦ / ص ٢.

(٣) انظر حقائق الإسلام، ص ٣٢.

الرسالة لكن لا تكفي للدلالة على أنه خاتم الأنبياء وسيدهم ولو أن الأنبياء أحياء في عصر الرسول محمد (ﷺ) ما وسعهم إلا اتباعه، إن وجود البشارات في الكتب السابقة وثباتها للأن مع محاولات التحريف، ومن أكبر الأدلة على ذلك ليس لأن الإسلام بحاجة أو بغير حاجة بغض النظر لكن لإقامة الحجة على أهل الكتاب ليس فقط في عصر الرسول (ﷺ) بل في كل العصور إلى يوم القيامة جاءت الآيات القرآنية تثبت أن البشارة جاءت في التوراة والإنجيل بهذا النبي ﷺ. ومن الغريب من صاحب القول مقابل أن ينفي وجود البشارة يجعل روايات التوراة غير دقيقة، يكذب ديانته ويعترف بتحريفها مقابل أن يثبت أن البشارة غير صادقة وقبل هذا وذاك نجد أن القرآن أثبت وجود البشارة عندهم "في التوراة والإنجيل"، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ

يَبْنِيْ اِسْرَءِيْلَ اِنِّىْ رَسُوْلُ اللّٰهِ اِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُوْلِ يَّآئِيْ مِنْ بَعْدِي اَسْمِعُوْهُ اَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوْا هَذَا سِحْرٌ مُّبِيْنٌ ﴿٦﴾ (الصف ٦).

وجاء في سفر التثنية (ج ٣٣/١-٢): "فقال جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سدير وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم".

فمجيء الرب من سيناء إعطاؤه التوراة لموسى عليه السلام وإشراقه من ساعير إعطاؤه الإنجيل لعيسى عليه السلام وتلألؤه من جبل فاران فهو إنزال القرآن الكريم على محمد لأن فاران مكة المكرمة^(١)، والدليل على ذلك ما ورد في حق اسماعيل عليه السلام في سفر التكوين (٢١/٢٠-٢١): "وكان مع الغلام فكبر وسكن في البرية وكان ينمو رامي قوس (٢١) وسكن في بركة فاران وأخذت له أمة زوجه من مصر"^(٢).

التحريف:

قالت الدائرة عن التحريف بعد أن أشارت إلى الآيات التي وردت فيها لفظ التحريف ومعنى التحريف والمناسبة التي يستعمل فيها محمد لفظ حرف والتعبير عنها بلفظة أخرى مثل يخفي: "كان اتهام التحريف في الواقع الطريقة الوحيدة لإخراج محمد من مأزق خطيئة رحيث احتك في المدينة المنورة، فإن عرضه للوقائع والشرائع التي جاءت في التوراة انطوى على

(١) مختصر كتاب إظهار الحق للعلامة رحمة الله الهندي، تحقيق د. محمد ملكاوي، ص ٢٢٠.

(٢) المرجع نفسه.

إدراك خاطئ آثار عليه النقد والسخرية، من جانب اليهود فكان في نظرهم مبطلا. ولمّا كان اعتقاده انه رسول موحى له قوياً لا يتزعزع لم يبق له غير مخرج واحد ذلك أن اليهود عمّـدوا آثمين إلى تحريف الكتب وأنه هو الذي أتى بالنص الصحيح وهي دعوى جزئية يسرها عليه أن هذه الكتب كانت مجهولة تماماً من اتباعه المؤمنين بصدق كلامه^(١).

ويقول: وفيما يستوقف النظر أن خصومه استطاعوا أن يتهموه بتبديل مـا أوحى إلىـه (سورة يونس ١٦) والحق انه دافع عن نفسه بقوة فيما اتهموه به من أنه بدل ما أوحى إليه وكان من نتيجة الطريقة المبهمة التي تحدث بها محمد عن التحريف أن ذهب علماء المسلمين مـا ذهب شتى في تقديرهم للحقائق التي يقوم عليها هذا الاتهام^(٢).

* والكتاب يريد أن يقول:

- ١ - أن التحريف اتهام لأهل الكتاب هم الرئيون منه إنما اتهم محمد به أهل الكتاب فكانت خير وسيلة للدفاع هي الهجوم واتهامهم بالتحريف.
- ٢ - استطاع خصومه أن يتهموه بتبديل ما أوحى إليه.
- واضحة هي الشبهة التي أراد الكتاب أن يلصقها بالرسول الكريم (ﷺ) وبذات اللحظة أن ينتزع تهمة التحريف عن اليهود، فنقول:

الرد:

- ١ - لم يعرض الرسول (ﷺ) الوقائع والشرائع التي في التوراة بل لم تكن بـين يديه مـن يعرضها وهو أُمي لا يقرأ، ولو قرأ من أين له بالعبرية حتى يقرأها فهو عربي.
- ٢ - من أين جاء الكتاب بقصة النقد والسخرية فلم يسجل التاريخ أن أحدا من الكتاب انتقد الرسول (ﷺ) أو سخر منه، فكيف يسجلها الآن !! بل أقول: إن اليهـود مـن خـ وفهم وجبنهم دخلوا الإسلام ظاهرياً وكنتموا كفرهم حتى كانوا من المنافقين ولم يسجل لهـم سجل من الشجاعة حتى يرفعوا أصواتهم ويسخروا مما جاء به محمد (ﷺ)، بل سجلهم حافل بالجبن والنفاق والغدر والخيانة وما زال السجل مفتوحاً للآن.

أما قولـه تعـالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتَتْ

(١) انظر الدائرة، ج ٤، ص ٦٠٤ - ٦٠٥.

(٢) الدائرة، ج ٥، ص ٢٣٧.

يُفْرَأَنَّ غَيْرَ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلَقَّايَ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ

أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٦﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَأْتُكُمْ بِهِ

فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٥﴾ (يونس ١٥-١٦)

يقول سيد قطب في طلال هذه الآيات:

"هو طالب عجيب لا يصدر عن جد، إنما يصدر عن عبث وهزل وعن جهل كذلك بوظيفة هذا القرآن وجدية تنزيله وهو طالب لا يطلبه إلا الذين لا يظنون أنهم سيلفون ..

قل يا محمد لهم إنها ليست لعبة لاعب ولا مهارة شاعر إنما هو الدستور الشامل الـ صادر من مدبر الكون كله وخالق الإنسان وهو أعلم بما يصلحه فما يكون للرسول (ﷺ) أن يبدله مـ ن تلقاء نفسه وإن هو إلا مبلغ للوحي الذي يأتيه وكل تبديل فيه معـصية وراءهـا عـذاب يـوم عظيم^(١)."

هذه الآية دليل مع الرسول (ﷺ) وليست ضده وليس فيها ما يدل أن أحداً يتهمه بالتبديل أو التحريف بل هم يطلبون منه ذلك وهو يأبى ويرفض ذلك فالمسألة كما هو واضح مسألة طالب بالتبديل وليس اتهام!

الجنة:

بدأ الكاتب كلامه عن الجنة وورودها في القرآن الكريم وماهية الجنة في القرآن الكـريم واصل الكلمة وتكلم كثيراً عنها وقد أوردت جزءاً من كلامه عن الجنة، قال صاحب الدائرة:

الجنة: هي الاسم الذي يطلقه القرآن والحديث غالباً على الفردوس الذي هو مقام المقربين وقد ذكرت مرة واحد في القرآن الكريم بالاسم الفارسي "الفردوس". وقد عرف أن الفكـرة عـن الجنة مادية حسية، وقد صورت هذه الفكرة في سور كثيرة تتصل بالفترة الأولى مـن دعوة هـ ومن البين أن هذه الأوصاف جميعاً صور مرسومة لا شك أنه أوحى بها من فن التصوير ولا بد من أن يكون محمد ومعلموه المجهولون قد رأوا بعض التصاویر لبعض قطع الفسيفساء المسيحية التي تصور حدائق الفردوس. وفي سورة الرحمن وهي السورة التي صيغت في قالب أنشودة لها

(١) سيد قطب ٣ / ١٧٧١.

لازمة يتحدث محمد عن الجنتين اللتين أعدتا لمن خاف مقام ربه وليس تفسير هذه الاثنيية يسيراً إلا إذا كانت من أجل البحرين، وقد يقال إن النبي قد التزم في هذا المقام صيغة المثني لأنها أوقع في السمع^(١).

* نسجل من النص السابق نقاطاً عدة نذكر جزءاً منها:

١. تعريف الجنة بأنها: اسم يطلقه القرآن والسنة على الفردوس الذي هو مقام المقربين.

٢. أن الفردوس ورد في القرآن بالاسم العربي الفارسي.

٣. أن فكرة محمد عن الجنة مادية حسية.

٤. أن فكرة محمد عن الجنة أخذها عن النصارى.

٥. أن سورة الرحمن صيغت في قالب أنشودة.

٦. استخدامه لصيغة التضعيف وقد يقال إن النبي قد التزم صيغة المثني..

* الشبهات الواردة في النص:

إن الكاتب من خلال هذا النص يدخل على الإسلام ما لا يفرب من الصحة شيء:

أولاً: يدعى الكاتب أن "الفردوس" لفظ غير عربي "وهو فارسي الأصل".

فنقول وبالله التوفيق: قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿٦٦﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ

﴿٦٧﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ (الشعراء ١٩٣-١٩٥).

وقد نصت كثير من الموسوعات غير الدائرة على أعجمية بعض الألفاظ من مثـل: (آدم، أباريق، إبراهيم، أرائك، فردوس، إستبرق). فيقول الدكتور عبد العظيم المطعني رداً على كـل من يدعي وجود ألفاظ غير عربية في القرآن الكريم:

١. إن وجود مفردات غير عربية الأصل في القرآن أمر أقره علماء المسلمين قديماً وحديثاً.

٢. أن الكلمات التي يدعون أنها غير عربية الأصل إنما هي مفـردات ألسـماء أءـلام أو صفات (هذا كله إذا سلمنا أن الألفاظ أعجمية).

٣. أن هذه الألفاظ غير العربية التي وردت في القرآن الكريم وإن لم تكن عربية الوضوح اللغوي فهي عربية باستعمال العرب لها قبل عصر نزول القرآن وفيه، وكانت سائغة ومستعملة بكثرة في اللسان العربي قبيل نزول القرآن وبهذا الاستعمال فارتدت أصلاً عنها غير العربي^(١).

ويقول القرطبي: والفردوس البستان بالرومية، وقال الغراء: هو عربي والفردوس حديقة في الجنة وفردوس اسم روضة دون اليمامة والجمع فراديس..

قال أمية بن أبي الصلت:

كانت منازلهم إذ ذاك طاهرة

وكرم مفردس أي معرش^(٢).

الشبهة الثانية: أن فكرة محمد عن الجنة مادية حسية.

إن ضيق نظر الكاتب وقلة بحثه وقصر يده لم يعرف أن نعيم الجنة المعنوي اعظم واكثر لكن ما حيلته وهو قصير اليد عن البحث والمثابرة لكي تكون صحيحة وقوية فهو يقول أن الجنة تكون مادية ولم يطالع أو يذكر الأدلة على النعيم المعنوي العظيم الذي لا يندر بإلمامه انكر جزء منها لكثرتها:

١. قولاه تعالي: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ

أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٤﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ

لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَتُودُوا أَنْ تُلَكُّمُ

الْجَنَّةَ أَوْ رِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٥﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ النَّارَ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا

فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٦﴾ (الأعراف آية

٤٢-٤٤).

(١) انظر حقائق الإسلام في مواجهة الشبهات، محمد زفزوق، ص ٥٥.

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج ٦/ص ٢٦.

٢. قوله تعالى: ﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿

وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ (الواقعة ٨-١١).

يقول الفرطبي: "ذكرنا تعالى فيما ينعم به على أهل الجنة من زرع الغل من صدورهم وانتزع الغل والحد الكامن في الصدور أي أذهبنا في الجنة ما كان في قلوبهم من غل في الدنيا وقد قيل أن ذلك سيكون عن شراب الجنة، ولهذا قال: ﴿ وَسَقَاهُمْ

زُبُورَهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ (الإنسان ٢١) ^(١).

٣. ويذكر الرسول (ﷺ) في الحديث القدسي: "أن أ عز وجل يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب؟ فيقول: ألا أعلمكم أفضل من ذلك، فيقول: أحل عليكم رضواني فلا يسخط عليكم بعده أبدا" ^(٢) وغيرها كثير من الأدلة.

ومن أعظم النعيم المعنوي في الجنة رؤية أ تعالى الذي يشكك فيها صاحب الكتاب، قال أبو هريرة: قلت لرسول أ : هل نرى ربنا؟ قال: نعم، هل تمارون في رؤية الشمس، والقمر ليلة البدر، وقال كذلك: لا تتمارون في رؤية ربكم ^(٣) ودليل ذلك من القرآن قوله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ

أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ (يونس ٢٦) الزيادة هي الرؤيا، وقوله ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿

(القيامة ٢٢-٢٣)، وقوله ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحَجُورُونَ ﴾ (المطففين ١٥)، يقول الشافعي: ما حجب الكفار إلا وقد علم أن الأبرار يرونه عز وجل ^(٤).

الجن:

وردة مادة الجن في الدائرة تحت لفظ "الجن" وتكلم الكاتب عن مادة خلق الجن والله -تفارق

(١) الفرطبي ٤ / ١٣٣

(٢) مسلم باب إحلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط عليكم أبداً ج ٤ / ص ٢٨٢٩.

(٣) البخاري ح ٨٠.

(٤) انظر تفسير ابن كثير ٤ / ٥٧٩.

كلمة الجن وما يدعونه في العادة من الألفاظ غير العربية في القرآن:

فقال الكاتب: "وخلق الجان من نار والإنسان من صلصال والملائكة من نور، على أن الجن يثابون فقد بعث الله النبي (ﷺ) إلى الجن كما بعثه إلى الإنسان وصلة الجن بإبليس غامضة، فقد جاء في سورة الكهف أن إبليس كان من الجن، وفي البقرة يفهم أنه كان من الملائكة، ويميل أصحاب المعاجم من المسلمين إلى اشتقاق كلمة جن من الاجتنان أي الاستتار غير أن هذا الاشتقاق بعيد للغاية، كما أن القول بأشـتقاقها من كلمة "genius" لا يستبعد كثيراً^(١).

* نلاحظ من هذا النص نقاطاً عدة أوردها الكاتب عن الجن نذكرها :

١. بيان مادة خلق كل من الإنسان والملائكة والجان.
٢. أن طبيعة صلة الجن بإبليس غامضة.
٣. يذكر أن أصحاب المعاجم يميلون إلى اشتقاق كلمة الجن من الاستتار من دون توثيق ويعتبره بعيد ويقرب اشتقاقه من "genius" دون دليل.

* الشبهة المدخلة أثناء الكلام:

- جعل إبليس الذي هو عدو الإنسان الأول من الملائكة، ومن يجعل إبليس في خانة الملائكة فهو كذلك عدو للإنسانية جمعاء" كما يقولون فقد أدخل السم بالدم .

والرد على الشبهة كآلاتي:

أقول وبالله التوفيق: يستحيل أن نضع إبليس في خانة الملائكة إلا قبل عـصيانه فكـان الشيء الوحيد الذي يضعه في خانته هو طاعته فلما عصى، خرج من خانته ودليل ذلك: أن إبليس يفتخر بخلقه من نار، يقول: ". قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين" (الأعراف ١٢)، قال الحسن البصري: "ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين، وإنه لأصل الجن كما كان آدم أصل البشر"^(٢) - ولا تناقض بين سورة البقرة وسورة الكهف فـسورة البقرة لم تظهر ولم تفد أن إبليس كان من الملائكة، بل الموضوع أن إبليس كان مع الملائكة من زمريهم وليس من صنفهم فاستثنى إبليس من الملائكة، وليس منهم وهذا يحدث بالعربية ونتحدث به كثيراً ويسمى استثناءً منقطعاً فنقول مثلاً: (جاء الفلاحون، ما عدا الحمـار) فليس استثناء الحمـار من

(١) الدائرة، ج ١٢ / ص ٤٠٤.

(٢) ابن كثير، ج ٣ / ص ١٢١.

الفلاحين يجعله فلاحاً، بل لأن الحمار ملازم للفلاح لكثرة استخدامه صح لنا أن نستثنيه من غير جنسه، ومن قال إن الاستثناء الوارد متصل فلأنه كان جنياً واحداً بين أظهر الألوفا من الملائكة مغموراً بهم فغلبوا عليه في قوله فسجدوا ثم استثنى منهم استثناء واحد منهم^(١).

- وجاءت سورة الكهف تبين الجان من أي عنصر هو، جاء في الدليل الفاطم تبين أنه من الجن، وقد وجدت كلاماً للدكتور محمد عمارة، رأيت من المفيد أن أنقله.

يقول: "إن عموم الملائكة لا يعصون أ، فهم مفطورون ومجبولون على الطاعة لكن هذا لا ينفي وجود صنف هم الجن ومنهم إبليس شملهم القرآن تحت اسم الملائكة كما وصف أي صنف بأنهم جنة لخفائهم واستتارهم وهذا الصنف منهم الطائعون ومنهم العصاة"^(٢).

يقول محمد عبده: "أي سجدوا إلا إبليس وهو فرد من أفراد الملائكة كما يفهم من الآية وأمثالها في القصة إلا آية الكهف فهنا ناطقة بأنه كان من الجن وليس عندنا دليل على أنه من الجن والملائكة فصلاً جوهرياً يميز أحدهما عن الآخر وإنما اختلاف أصناف عند ما تختلف أوصاف، من الظاهر أن الجن صنف من أصناف الملائكة وأطلق القرآن لفظة الجنة على الملائكة على رأي الجمهور - ور يقول - تعالي: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ

لَمُحْضَرُونَ﴾ (الصافات ١٥٨)^(٣).

جهنم:

درست جهنم في دائرة المعارف تحت لفظ "جهنم"، وعلى عادة الدائرة فإنهم يندسبون الألفاظ إلى العبرية وينزعون أصلها العربي:

تقول الدائرة: "وهي كلمة مشتقة من اللفظ العبري جيحنون أدول - أي هذوم، والواقع أن محمداً في بعض الآيات يتحدث عن جهنم وكأنها شيء يحمل ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾

وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَنْذَكُرُ الْإِنْسَانَ أَنَّهُ لَكُمُ الدَّكْرُ ﴿ (الفجر ٢٢-٢٣)، ثم تابع كلامه بأن ذكر جهنم تردد كثيراً في القرآن الكريم. وأشار إلى الآيات التي وردت فيها لفظ جهنم

(١) انظر الزمخشري، ج ١ / ص ٦٢ - ٦٣.

(٢) محمد زفروق، حقائق الإسلام، ص ٥٣.

(٣) انظر حقائق الإسلام، ص ٢٧٥.

ولا يكاد القرآن يذكر شيئاً عن ألوان العذاب في جهنم فالآيات التي تشير إلى ذلك لا تتفق تمام الاتفاق ولعل هذا التردد إنما يرجع إلى أن النبي لم يكن من الفلاسفة المتفكرين^(١).

* من خلال النص نلاحظ نقاطاً عدة من أهمها:

- ١ - جهنم في اصل وصفها عبري وليس عربياً.
- ٢ - وصف محمد جهنم في آية الفجر بأنها شيء يحمل.
- ٣ - أن القرآن لا يذكر شيئاً عن ألوان العذاب.
- ٤ - تردد القرآن بشأن مسألة الخلود في جهنم.
- وما يلحظ على صاحب الدائرة قبل ذكر شبهه أريد أن يتوقف فكره في ضد - وء تف - سير الآيات:

- ١ - وجود غير العربي في القرآن الكريم .
 - ٢ - القرآن لا يذكر شيئاً عن ألوان العذاب.
 - ٣ - تردد القرآن بشأن الخلود (وعدم حسنها).
 - قبل الرد على هذه الشبهة أحببت أن أورد كلام سيد قطب في تفسير آية الفجر، يقول:
- "فأما مجيء ربك والملك صفاً صفاً فهو أمر غيبي لا ندرك طبيعته ونحن في هـ - ذه الأرض، ولكننا نحس وراء التعبير بالجلال والهول، كذلك المجيء بجهنم تأخذ م - ن قريبها - منهم وقرب المقربين منها وكفى فأما حقيقة ما يقع وكيفيته فهي من غيب المكنون للـ - وم المعلوم إنما يرسم وراء هذه الآيات ومن خلال موسيقاها الحادة التق - سيم ال - شديدة "الأس - ر مشهد ترتجف له القلوب وتخضع له الأبصار والأرض تدك دكا، والجبار المتكب - ر يتجلى ويتولى الحكم والفيصل ويقف الملائكة صفاء صفاء، ثم يج - اء بجه - زم فتة - ف متأهبة هـ - ي الأخرى"^(٢).

(١) الدائرة، ج ١٣ / ص ٤.

(٢) سيد قطب ٦ / ٣٩٠٦

الرد:

- أما عن وجود غير العربي في القرآن الكريم فلقد رددنا عليه عند لفظ الجنة "الفردوس".

- وأما أن القرآن لا يذكر شيئاً عن ألوان العذاب:

فلو سلمنا له بأن القرآن لا يكاد يذكر شيئاً عن العذاب، نقول:

نكتفي بما ورد به وبالسنة (المكملة للقرآن الكريم) ففي الحديث تفصيل كبير - ر. ع. ن عذاب جهنم هذا لو سلمنا له بذلك، لكننا لا نسلم فقد ورد تفصيل لعذاب أهل النار، ففي سورة الواقعة يفصل في عذاب أهل النار، يقول تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ فِي سُمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٥٦﴾ وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ ﴿٥٧﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ (الواقعة ٤١ - ٤٤).

ثم يقول في السورة نفسها: "ثم إنكم أيها الصالون المكدبون، لآكلون من شجر - جر. م. ن زقوم، فمائلون منها البطون، فشاربون عليه من الحميم، فشاربون شرب الهيم، هذا نزله يوم الدين". (الواقعة ٥١ - ٥٦).

وفي سورة الغاشية: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ ﴿١٠﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿١١﴾ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ﴿١٢﴾ تُشْفَىٰ مِنْ

عَيْنٍ آٰنِيَةٍ ﴿١٣﴾ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن صَرِيحٍ ﴿١٤﴾ لَا يُسَمِّنُ وَلَا يُغْنِي مِنَ جُوعٍ ﴿١٥﴾﴾ (الغاشية ٢ - ٧)، وكثيرة هي الآيات التي تبين. طعام أهل جهنم وشرابهم وتبين كيف تبدل الجلا - ود كلم - ان - صجت جلودهم وتبين ما لباسهم...

* أما عن تردد القرآن في مسألة الخلود، فقد حسم القرآن الكريم مسألة الخلود ولا - م يتردد كما وصف صاحب الدائرة.

قـ... ال تعـ... الى: ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِئْتَسَ مَثْوًى الَّتِي كُرِيتُ ﴿٧٢﴾﴾

(الزمر ٧٢) ..

ويقول تعالى ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ (الفرقان ٦٦) ولنا لا أريد أن انكـ ر

جميع الآيات بل تكفيني آية الفرقان تقرر مسألة الخلود وكفى..

المبحث الثاني

تفسير الفاظ وردت في آيات الأحكام

الصلاة:

درست مادة الصلاة في الدائرة تحت لفظ "الصلاة" وقد بدا الكاتب بالحديث عن الشـتقاقها وعن ظهورها، وعن تشابه صلاة المسلمين بالصلاة اليهودية، يقول الكاتب:

"ومن ثم فنحن نجد فجأة الصلاة الوسطى تظهر في السور المدنية وهي "البقرة، الآية ٢٣٧" ولا بد إذن أن تكون هذه الصلاة قد أضيفت في المدينة إلى الصلاتين المعتادتين. ويرجح أن يكون ذلك قد تم محاكاة لليهود الذين كانوا يقيمون أيضا صلاتهم ثلاث مرات كل يوم^(١).

ولعل الكاتب لا يوجد لديه ما يقول فيرجع إلى قوله المتكرر دائما ومعلومته الشاك في أمرها أن هذا الأمر مأخوذ من اليهود، وهو يفصل في أحكام الصلاة أنها تشبه أحكام الصلاة عند اليهود، سواء في نظام الصلاة وإضافة الصلاة الوسطى، وكذلك السجود والتهجد والتسليم. يقول: "يكشف نظام الصلاة عند المسلمين عن تشابه كبير بصلاة اليهود والمسيحيين"^(٢).

ثم يقول:

"أما كيف تقررت الصلوات الخمس فيجب عن ذلك "هوت-سما" ق-ائلا: "إن صلاتي منتصف النهار (الظهر والعصر) وصلاتي المساء (المغرب والعشاء) ما هي إلا صورة مكررة للصلاة الوسطى وصلاة العشاء على التوالي، وهو ما يمكن رده إلى عدم وجود الوسائل الدقيقة لتحديد مواقيت الصلاة، كما كانت الحال في حياة النبي"، ويذهب "جولدتسيهر" إلى عكس هذا، أي إلى القول بوجود اثر فارسي في تقرير الصلوات الخمس، ويلفت كينلاني النظر إلى أن العدد خمسة لم يكن قد تقرر نهائيا في عهد عمر بن عبد العزيز"^(٣).

أقول، والأصل أن توجد تلك الأحكام وتلك العبادات متشابهة بين الأديان بما أن المـصدر والغاية واحدة، فادعاء التشابه لا يضر على الإسلام شيء ولا يضر على صلاة المسلمين شيء، ولكن أقول في هذا المقام قولا للرافعي - رحمه الله - يدفع هذا التشابه وذلك بـسبب تحـول الإنجيل والتوراة وتحريفهما ولو بقيت على أصلها لبقي التشابه، يقول الرافعي: "الكبر، إن هذه الكلمة يدخلون بها إلى صلاتهم كأنما يخاطبون بها الزمن انهم الساعة في وقت ليس منه ولا

(١) الدائرة ج ١٤ / ص ٢٨١

(٢) الدائرة ص ٢٧٨

(٣) الدائرة ج ١٤ / ص ٢٨٢

من دنياهم وكأنهم يعلنون انهم بين يدي من هو اكبر من الوجود. لقد تعبت الكتب الفلسفية لتجعل أهل الدنيا يستقرون ساعة في سكينة ا عليهم فما أفادت، وجاءت الكنيسة فهوات على المصلين بالزخارف والصور والتماثيل والألوان لتوحي إلى أنفسهم ضرباً من الشعور بـ سكينة الجمـال وتقديس المعنى الديني وهي بذلك تحتال في نقلهم من جوهم إلى جوها فكانت كساقى الخمـر أن لم يعطك الخمر عجز عن إعطائك النشوة ومن ذا الذي يستطيع أن يحمل معه كنيسة على جواد أو حمار، إن هؤلاء المسلمين معبدهم بين جهات الأرض الأربع^(١).

وتقول الدائرة: "ومن ثم يجب ملاحظة أن وصية عمرو لعروة بالحذر في ذلك لـم تكـن تنصب على العدد خمسة بل كانت تنصب على الحرص على مواقيت الصلوات، وهـذا الأمـر الأخير بطبيعة الحال موضع مناقشة في كتب الأحاديث الصحاح وهو جـدير ببحـث مـستقل وعندما أصبحت نظرية الصلوات الخمس اليومية المفروضة أمراً مقررراً لم يكن من المـستطاع حتى ذلك الوقت إقرارها تماماً"^(٢).

قلت وهذا تشكيك غريب عجيب من قبل الكتّاب ولا ادري عنه ما باله، هل هو عاجز عن البحث العلمي الدقيق، أم انه قاصد ما يقوله، وهو يعلم أين الحق، فهـو يـقـول أن الصلاة المفروضة في حياة الرسول (ﷺ) كانت ثلاث صلوات وهذا التشكيك لايفهم أمام حجية التـواتر، قطعي الثبوت وقطعي الدلالة، وفي حديث المعراج ما يثبت ذلك، فهو يفيد العلم اليقيني، وهـل يبقى شئى واضح إذا احتاج ضوء الشمس إلى دليل.

الصوم:

درست مادة الصوم تحت لفظة "الصوم" وكعادة الكتّاب لم يرجع إلى مراجع أكثر فائدة من مرجع مفصده ونيته ولو رجع لأحضر معلومات أكثر فائدة من التي ذكرها.

تقول الدائرة:

"صوم: ويدل على ظهور الصيام باعتباره رياضة روحية غايتها فهـر الـشهوات بـين المسلمين الأولين في مكة ما يغلب على الظن من أن محمداً عليه الصلاة والـسلام وهـو فـي أسفاره الكثيرة، لاحظ هذه العبادة عند اليهود والنصارى. لكن لا يمكن القول بشيء يقيني فـي ذلك والذي تحكيه لنا في ذلك السيرة والروايات الإسلامية يجوز أن يكون غيـر بـريء مـن

(١) انظر وحي القلم: مصطفى الراعي ٢٤ / ١

(٢) الدائرة ٢٨٢ / ٤

الغرض، ففي السور المكية ورد ذكر الصوم، كما تقدم القول، في سورة مريم، الآية ٢٥: صوت، يأمر مريم (عليها السلام) أن تقول: "إني نذرت للرحمن صوما، فلن أكلم اليوم ان-سيا،" ويجوز أن الصوم هنا ليس معناه سوى "الصوم": بمعنى الإمساك عن الطعام والشراب، لأن الإمساك عن الكلام باعتباره صوما نصرانيا^(١).

وكعادة الدائرة فهي تدعي التشابه بين أحكام الإسلام وأحكام اليهود والنصارى وأن محمدا (ﷺ) أخذ عبادة الصوم من اليهود من خلال أسفاره، هو يقول ذلك بعد أن قال أن هـ- ذه العبادة ظهرت بين المسلمين الأولين في مكة كرياضة روحية فلا ادري هل ينسى الكاتب ما يفة- ول أو يتناسى.

ونلاحظ من الكاتب عدم ثباته على رأي واحد فمرة يقول: أن صوم مريم "يج- وز" وه-ي عبارة - تفيد التشكيك والظن - أن يكون معناه الإمساك عن الكلام، ومرة يقول انه الإم-ساك عن الطعام.

الجزية:

وردت الجزية في الدائرة تحت لفظ "الجزية" وقد قام بتفسير آية التوبة "وهم ص-اغرون" أنهم ذالون وقد أرجع اتصاف أهل الكتاب بصفات مزرية إلى هذه الآية:

فقال الكاتب: "وجاء في الآية الخاصة بالجزية انه على الزمين أداؤها" وه-م ص-اغرون "ويرى البعض استناداً على هذه العبارة أنه يجب عليهم أداؤها على نحو فيه إذلال وال-راجح أن الأوصاف المزرية التي خلعت على ملبوس أهل الذمة إنما هي تفسيرات لهذه العبارة، والجزية- من وجهة النظر العربية هي ضريبة الرؤوس. وفي العراق، تفادٍ لل-ضرائب اتخذت ص-ورة الدخول في الإسلام فقد رأى الداخل في الإسلام أن حالته الجديدة سوف تعطيه من جميع-ع تلاك الشبكة المالية التي تفرض على غير المسلم^(٢)، ويعني بذلك ضريبة الأرض وضريبة الرؤوس.

* نلاحظ أن النص قد جاء بأمور عدة أذكر منها :

١ - انه يفسر الآية ويقول إن كلمة "وهم صاغرون" أنهم لا بد وأن ي-ؤدوا الجزية وه-م ذالون.

٢- يجعل الكاتب سبب خلع الأوصاف المزرية على أهل الذمة الآية السابقة.

(١) الدائرة ج ١٤ / ص ٣٩٦.

(٢) انظر الدائرة ١٢ / ص ٤ - ١٠.

٣- يصف الكاتب الداخلين في الإسلام منه أهل العراق تفاديا لدفع الضريبة.

* مآخذ على النص وقد أخذ على الكاتب نقطتين :

١- خطأ في تفسير الآية.

٢- أن الداخلين في الإسلام كانوا خوفا من دفع الفدية.

- أما عن تفسير الآية:

فأولاً: قال تعالى: " قاتلوا الذين لا يؤمنون با ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون " (التوبة ٢٩) ..

وهذا أمر بقتال أهل الكتاب المنحرفين عن دين الله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، فلم تعد تقبل منهم عهود وموادعة ولا مهادنة إلا على هذا الأساس، أسس إعطاء الجزية وفي هذه الحالة تنتقل لهم حقوق الذمي المعاهد، فأما إذا هم اقتنعوا بالإسلام فعندها فاعتنقوه فهم من المسلمين^(١).

- الشبهة الثانية : الإسلام انتشر خوفاً من دفع الجزية:

هذه شبهة قديمة بأن الإسلام انتشر بقوة السيف وخوفاً من دفع الضرائب لكن نقول:
الرد: لو كان انتشار الإسلام بقوة السيف وخوفاً من دفع الضرائب لما كان معنى الآية الكريمة ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة: ٢٥٦) وقوله تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِأَلْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل: ١٢٥)، ثم إن خصائص الانتشار كانت واضحة لجميع الناس ومن هذه الأوصاف:

١. عدم إبادة الشعوب.

٢. جعل العبيد حكاماً.

ظل اليهود والنصارى والهندوك في بلادهم آمنين مستقرين، وهذه الجزية لا تدفع مـن أجل إذلالهم ولا مقابل هذا الأمن والاستقرار بل هذه الجزية إظهار لقوة المسلمين وعـراقهم وعزتهم بالإسلام.. والدليل أنهم لم يفرضوا الجزية على الفقراء وكلنا نذكر العهدة العمرية.

الفصل الثالث

الفصل الفرآني ومنهج البحث في التفسير في الدائرة

المبحث الأول

الفصل القرآني

١ - قصة سيدنا آدم عليه السلام.

جاء الحديث عن قصة سيدنا آدم تحت لفظة "آدم" ولقد أورد الكاتب الآيات التي تحدثت عن إخبار الملائكة بخلق آدم وتعليمه الأسماء كلها وأمرهم بالسجود لآدم وعصيان إبليس ربه في ذلك وتكبره على آدم، وطرده إبليس من الجنة، وإسكان آدم وزوجه في الجنة وتحذيرهما من أكل الشجرة ثم أعقب ذلك بني الإنسان ثم هبوط آدم من الجنة وسؤاله الله عن ربه ثم ذكر (أنه كان بين آدم عهد من قبل ولكن آدم نسى، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ

عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ (طه آية ١١٥).

ثم أخذ الكاتب بعد ذلك ذكر عناصر قصة آدم غير الواردة في التوراة - حسب قوله - من الروايات اليهودية والروايات المسيحية، وكأنه يحاول المقارنة بما جاء في القرآن فيه: "ونجد العناصر غير الواردة في التوراة من قصة آدم ماثلة في الروايات اليهودية، بل وفي الروايات المسيحية في بعض الحالات، ونحن نعرف حديثاً تعالى مع الملائكة قبل خلق آدم ورجحان^(١) آدم عليهم لعلمه بالأسماء، من مجموعة برشيت ربا (ص ١، ص ٤) ومجموعة ربا ومجموعة السفتا، وفي الكتابات اليهودية أن السجود لم يكن بأمر من الله بل أراد الملائكة أن يشرفوا آدم كما شرفه الله، فحال بينهم وبين ذلك أن جعل آدم يذام.. وجاء في كتاب (VitaAdami) أن الملك ميكائيل سجد لآدم ودعا سائر الملائكة أن يحذو حذوه، ويفهم من الكتاب ضمناً أيضاً أن أقر ذلك.. وفي الرواية اليهودية أن الطين الذي خلق منه جسد آدم قد أخذ من مكان المعبد أو من العالم كله بألوان مختلفة، ثم صور أولاً جسداً بلا روح. والكتب اليهودية تتبع قصة التوراة التي جاء فيها أن الحية هي التي أغوت الإنسان وجاء في كتاب أن

(١) الأجدد بالكاتب أن يقول تميز آدم وليس رجحانه.

الشیطان تحدث بلسان الحية وهذه هي الرواية النصرانية، ولا يتحدث القرآن إلا عن الشيطان فيقول انه هو الذي أغوى آدم، على حين أدخلت الرواية الإسلامية الحية في ذلك أيضاً، وتحدث الحية بأمر إبليس،^(١) ثم ذكر أن الشجرة المحرمة كانت العنب أو التين أو الحنطة كما يغلب على الرواية اليهودية ونجد مثل هذه الفكرة وغيرها في الرواية الإسلامية^(٢).

أقول هذه الفكرة وإن وجدت في الروايات الإسلامية إلا أن للمفسرين ترجيح وتعليق بعد ذكر مثل هذه الروايات فيقول الطبري في تفسيره بعد أن ساق الروايات التي تذكر الحنطة و: ".

والصواب في ذلك أن يقال: أن أكل ثنائه نهى آدم وزوجته عن أكل شجرة بعينها من أشجار الجنة دون سائر أشجارها فخالفوا إلى ما نهاهما عنه.. ولا علم عندنا أي شجرة كانت على التعيين، لأن أكل يضع لعباده دليلاً على ذلك في القرآن ولا في السنة الصحيحة"^(٣)

أما قول الكاتب أن آدم قد نسي العهد الذي بينه وبين الله فقال تعالى في ذلك: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا

إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ (طه، آية ١١٥).

قال الإمام الطبري: "وأصل العزم اعتقاد القلب على الشيء، يقال عنه: عزم فلان على كذا: إذا اعتقد عليه ونواه، ومن اعتقاد القلب: حفظ شيء، لأنه لا يجوز جازع إلا ما عزم عليه ورغبه وضعفه، فإذا كان ذلك كذلك فلا معنى لذلك، بلغ فيما بينه أ تبارك وتعالى وهو قوله ولم نجد له عزمًا فيكون تأويله ولم نجد له عزم قلب، على الوفاء بعهد الله ولا علم حفظ ما عهده إليه^(٤) " هذا هو المعنى الذي جاء في تفسير الطبري في هذه الآية لكن الكاتب لم يورد التفسير الصحيح لها، وإنه اكتفى بقوله إنه نسي العهد الذي عهده الله إليه، فهذا كما نلاحظ تفسير ناقص لا يفي بحق المعنى المراد من الآية الكريمة.

وهذا يبدن المستشرقين عامة والكاتب في دائرة المعارف خاصة فهم دائماً يحاولون أثناء تفسير الآيات خاصة ذكر ما هم يريدون ذكره في تفسير الآية وغالباً يكون التفسير مختصراً اختصاراً مخللاً لا يفهم منه المعنى الحقيقي للآية وإن فهم منه المعنى يكون فهماً مشوشاً مشوباً بالأفكار الإستشراقية التي تحاول أن تثبت من خلال ذلك صحة الكتاب المقدس وبطلان القرآن

(١) الدائرة، ج ١ / ص ٢٤-٢٦.

(٢) الدائرة، ج ١ / ص ٢٦.

(٣) الطبري، ج ١ / ص ٥٣١-٥٣٢. طبعة دار المعارف في مصر.

(٤) تفسير الطبري، ج ٩، ص ٥٩٧٠، طبعة الفكر للطباعة والنشر.

الكريم وأنى لهم ذلك "يريدون ليطفئوا نوراً بأفواههم وأما متى نوره ولو كره الكافرون" صدق
العظيم (الصف ٨).

أما قول الكاتب: "أن الحية قد حملت إبليس في فمها أو في بطنها، ويظهر الطاووس في
قصص الكسائي والثعلبي، ويجب أن نفهم هذا مرتبطاً بفكرة أن آدم في رواية من الروايات هـ- و
الذي انشأ الأعياد اليهودية، وأدى مناسك الحج وان الحجر الأسود نزل إليه من السماء، ومن ثم
بنى الكعبة، ثم يشير الكاتب إلى تعلم آدم الزراعة والحرف اليدوية وكل الأسماء وإلى أولاد آدم
وقصة قابيل وهابيل وشيث، وإلى اليوم الذي ولد ونوفي فيه آدم، ثم أخذ يشير إلى بعض العقائد
بآدم عليه السلام فيقول: ولم يكن آدم أول البشر فحسب، بل كان أيضاً أول نبي، ومن ثم أصح
مكانه متأثراً بالمنحنى الإسلامي في التفكير، وكما أن عيسى هو آدم الثاني في الذ- صرانية فق- د
عقدت في الإسلام صلة بين آدم ومحمد، فآدم هو أول الرسل ومحمد هو خ- اتم الرسل، وفي
مذهب السبعية فإن آدم هو أول الناطقين السبعة، ويقول بعضهم أنه كان يوجد من قبله أذ- اس
وناطقون، وكان شيث هو وصيته وهم يميزون بين آدم الكلي الذي هو "العقل" يبدأ منه الف- يض،
أدم الجزئي وهو أول إنسان في وقت الاستتار، وكان آدم هذا هو آدم المثالي الذي س- جد له
الملائكة لأنه كان ربانياً، إذ حلت فيه روح ا ، وكان ذلك يسمى أحياناً "الحلول" الذي تت- صل
حلقته بفعل الناسخ وقد جعل هذا الإنسان المثالي الرباني هو الإنسان الكامل، عند الهيلينية
وكان هو نفسه الذي عرفه الحلاج باسم "الناسون" ولما كان محمد قد أصبح قطب الخلق وهي
فكرة أكدتها الصوفية بخاصة، فإن حقيقته أو نوره هو الذي تجلى في آدم وقد خلقت المخلوقات
جميعاً من أجل محمد كما خلق آدم وذريته من نوره"^(١).

ولقد كان مرجع الكاتب في قصة آدم من المراجع العربية والإسلامية، "تفسير الطبري،
المسعودي، مروج الذهب، الكسائي، الثعلبي، تاريخ الطبري، تاريخ مختصر الدول، قصص
الأنبياء، البغدادي، الفرق بين الفرق، اليعقوبي، إضافة إلى الإنجيل والتوراة والمراجع الأجنبية
الكثيرة".

وقبل البدء بالتعليق على كلام الكاتب في الدائرة رأيت من المفيد ذكر عدة ق- ضايا فيما
يخص الفصص القرآني لا بد من التنبيه إليها لأهميتها وهي:

أولاً: المنهج القصصي في القرآن:

"تعد القصة القرآنية أول قصة ملتزمة عرفها الأدب العربي وذلك بما تهدف إليه من دعوة إلى التوحيد، وتحت عليه من خلق قويم وتنهي عنه من فساد وبشرى وتنبه من أدلة هي أصل -دق ما جاء به الرسول ﷺ .

وإذا تأملنا الأسلوب الذي قدمت فيه وماله من تأثير نفسي وفني انتضح وجـه -تسميتها" بالقصة" لا استناداً إلى مدلولها اللغوي فقط باعتبار أن أصل الاشتقاق للفظ (قصة) يلتقي -في المعنى مع المدلول الذي انبنى عليه أصل التسمية القرآنية وهو الإعلام بالنبأ.

﴿ تَحْنُ نَقْصُ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِيهِ عَمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَهُمْ هُدًى ﴾ (الكهف: ١٣).

أو تتبع الأثر وتفصيه ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ﴾ (الفصص: ١١).

ولم يسمها القرآن (أخباراً) لأنه لم يقدمها كما تقدم الأخبار المجردة خالية مـن التـصوير الفني، والإثارة النفسية، ولم يسمها حكايات لأنه لم يسردها كما تسرد الحكايات التاريخية، فكتب التاريخ مجردة مما يأخذ الأسماع والقلوب من غوص على مكامن الشعور، وتشخيص للحادثة وتنسيق في العرض، بلغة البيان والبدیع المعجز وفي ذلك يقول الخطابي: (لا ترى شيئاً مـن الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظاماً أحسن تأليفاً ولا أشـد تلازماً وتشاكلاً من نظمته، وأما المعاني فلا خفاء على ذي عقل أنهما هي التي تشهد لها العفول بالثقة -دم في أبوابها والترقي أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها^(١) ويقول البـاقلائي: "إن أسلوب القرآن خاص به لا يضارعه فيه غيره، كما انه خارج عن الأساليب المعروفة"^(٢).

فأسلوب القرآن في القصة أن يختار لقطات من الوقائع التاريخية ولا يثقلها بما هو تافه من الجزئيات والتفاصيل التي تصرف الفكر عن التدبر والاعتبار، إنه يروي بعض أحداث القصة بأسلوب يبعث فيها الحياة فتتخطى القرون، ويجعلها كأنها ماثلة"^(٣).

وفي ذلك يقول الدكتور أحمد بدوي في كتابه من بلاغة القرآن " لا يصح حينئذ أن يؤخذ عليه أنه لا يتناول القصة من جميع أطرافه وأنه لا يتسلسل في إيراد أحداثها مرتبة منظمة، وأنه

(١) بيان إعجاز القرآن، الخطابي ص ٢٨

(٢) إعجاز القرآن ص ٦٠ وما بعدها.

(٣) سيكولوجية القصة في القرآن التهامي نقرة، ص ٨٥-٨٧

يصعب فهم القصة من القرآن على من لم يطلع عليها من مصدر آخر، ذلك أن القرآن يأخذ من القصة ما يحقق أهدافه من التهذيب والوعظ، فحيناً يقص القصة كلها مجموعة الأبطال - راف موصولة الأجزاء مرتبطاً ببعضها ببعض في تسلسل واتساق يسلمك السابق منها إلى لاحقة حتى تصل إلى خاتمتها. كما نراه في سورة يوسف، وفي معظم الأحيان يأخذ من القصة بعضاً منها لان في هذا البعض ما يحقق الهدف، وقد يلمح القرآن ويشير إلى القصة تلميحاً يستغني به عن الإطالة، اعتماداً على أن القصة "معروفة مشهورة".

فنحن نلاحظ أن من سمت القصص القرآني أن العناصر المألوفة للقصة من أحداث وأشخاص وحوار وارتباط وترتيب زمني وعقدة لا نجد دائماً دائماً مجتمعة في القصة القرآنية، موزعة توزيعاً يجعل لكل منها دوراً يختل بانعدامه توازن القصة، لان المقاصد التي يوحى بها السياق هي التي توجه أسلوب العرض وتتحكم في ترتيب الأحداث وتسلط الأضواء على العنصر المراد إبرازه^(١)

ثانياً: أهداف القصص القرآني:

القرآن لم يأت كتاب تاريخ كي يسرد علينا مراحل التاريخ وأحداثه^(٢)، لكنه أورد بعض الأحداث التاريخية سواء بالتفصيل أم بالعموم؛ لتخدم أهدافاً معينة يمكن لنا أن نحددها بالنقاط التالية:

١. تعميق العقيدة في النفوس وتبصر العقول بها.
٢. تربية الإنسان والسمو به حتى يمتاز عن الحيوان سواء في الجانب الروحي أو الجانب المادي.
٣. بيان سنن الله في الأمم والمجتمعات.
٤. طرح دين الله تعالى من خلال واقع عملي.
٥. بيان أن هذا الكتاب ليس من عند محمد (ﷺ) الأمي ولكنه من عند الله.
٦. وضع النماذج القدوة للمسلمين في الصبر على الدعوة وحملها^(٣)

(١) سيكولوجية القصة ص ٩٣

(٢) مع الأنبياء في القرآن، عفيف عبد الفتاح طيارة، ص ٢٦.

(٣) القصص القرآني، إحياءه ونفحاته، فضل عباس، ص ١٠-١١.

ثالثاً: الفرق بين القرآن والكتاب المقدس (التوراة والإنجيل):

" إن ما يطويه القرآن في قصصه من مراحل وما يعرض عنه من جزئيات، وما يتركه من فجوات هو أخص ما يمتاز به فمنهج القصص الذي يختلف شكلاً ومضموناً عن منهج التوراة والإنجيل"^(١)

فقد عنيت التوراة والإنجيل بتدوين التاريخ والجزئيات والتفصيلات التي لا فائدة منها وإذا نظرنا في كلام الكاتب حول قصة سيدنا آدم وما أورده مما جاء في التوراة والإنجيل يظهر لنا جلياً الفرق بين الكتابين في الأسلوب والمنهج.

فقول الكاتب "إن أ لم يأمر الملائكة بأن تسجد بل أرادت الملائكة أن تشرف آدم كما يشرفه أ فحال بينهم وبين ذلك بأن جعل آدم ينام أو أن الملك ميكايل سجد ودعا سائر الملائكة أن يحذوا حذوه..." هذا الكلام لا أساس له من الصحة، فالآية واضحة تمام الوضوح وصرحت بأن أ هو الذي أمر الملائكة بالسجود حيث يقول تعـالي: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿١٥﴾ سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿١٦﴾﴾ (ص ٧١-٧٢) فالأمر واضح من الآية أن الأمر إنما كان من أ عز وجل وليس من أحد غيره.

وفي القرآن ما يفيد أن الذي اغتر بوسوسة الشيطان أولاً هو آدم ﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ

الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّكِدُمُ هَلْ أَذُنُكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٌ لَّا يَبْلَى﴾ (طه: ١٢٠).

ولم يرد فيه كما ذكر الكاتب في التوراة عندما ذكر الحية والدور الذي لعبته في الغواية، ولم تدخل الرواية الإسلامية الحية على حد زعم الكاتب حيث يقول: "على حين أدخلت الروايات الإسلامية الحية في ذلك أيضاً وتتحدث الحية بأمر إبليس وكان مرجعه "الطيري، ويظهر الطاووس في قصص الكسائي وقصص الثعلبي"^(٢).

ويعقب الطبري بعد أن ذكر الروايات التي ذكرت الحية ودخول الشيطان فيها بقوله: "وأولى ذلك بالحق عندنا، ما كان لكاتب أ موافقاً، وقد أخبر أ تعالى ذكره عن إبليس أنه

(١) سيكولوجية القصة، ص ٩٩.

(٢) الدائرة ج ١، ص ٢٦.

وسوس لآدم وزوجته ليدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما، وأنه قال لهما: ﴿مَا هَكَكَارَبُّكُمَا

عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ (الأعراف ٢٠) وأنه قاسمهما إني لكما لم - ن

الناصحين مدليا لهما بغيرور. ففي إخباره جل ثناؤه عن عدو ا أنه قاسم آدم وزوجته - ه بقوله - ه لهما: "إني لكما لمن الناصحين" الدليل الواضح على أنه قد باشر خطابهما بنفسه - إم - ا ط - ا هراً لأعينهما وإما مستجناً في غيره وذلك أنه من غير المعقول في كلام العرب أن يقال: قاسم فلان فلاناً في كذا وكذا! وسبب له سببا وصل به إليه دون أن يحاف له، والحاف لا يك - ون - بت - سبب السبب، فكذاك قوله فوسوس إليه الشيطان، لو كان ذلك كان فيه إلى آدم على نحو الذي فيه إلى ذريته من تزوين أكل ما نهى ا آدم عن أكله من الشجرة بغير مباشرة خطابها إياه بما اس - تزل به من القول والحيل لما قال جل ثناؤه وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين كما غير جائز أن يقول اليوم قائل ممن أتى معصية: قاسمني إبليس أني لك ناصح فيما زين لي من المعصية التي أتيتها فكذاك الذي كان من آدم وزوجته لو كان على النحو الذي يكون فيما بين إبليس اليوم وذرية آدم

لما قال جل ثناؤه: ﴿وَقَاسَمُهُمَا إِنْ لَكُمَا لِمَنِ التَّصْحِيتُ﴾ (الأعراف: ٢١) ولكن كان ذلك أن شاء

ا على نحو ما قال ابن عباس ومن قال بقوله^(١) هذا الذي رجحه وذكر أن ذلك ورد مستفي - ضاً من أهل العلم مع دلالة الكتاب (القرآن) على ذلك وليس كما يدعي أصحاب ال - دائرة ب - ان ه - ذه الروايات جاءت في التفاسير دون نظر وتدقيق وتحقيق في هذه الروايات، فه - م كم - ا نلاح - ط يحاولون التوصل إلى هدفهم من خلال ما يجدونه في التفاسير الإ - س - لامية يح - اولون إثبات أن القرآن الكريم إنما كان اعتماده في القصص القرآني على الكتاب المقدس (الت - وراة والإنجيل) وهذا قول باطل لأنه يقوم على باطل لا أساس له من الصحة وليس له سند كم - ا ف - ي الف - رآن الكريم، بل إنه حرف وبدل وغير ولم يصل كما أنزله ا عز وجل وقد أخبر ا ب - ذلك ف - ي كتابه الذي حفظه من التحريف والتبديل ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر ٩) أخبر

عنه بقوله تع - الى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ

ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (البقرة ٧٩).

(١) الطبري، ج ١، ص ٥٣١ وما بعدها.

وقوله تع-الى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ^١ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ^٢﴾ (المائدة

(١٣).

ثم أخذ الكاتب محاولة إثبات ما في التوراة بأخذ منحى آخر، وهو ادعاؤه ب-ان آدم ه-و الذي أنشأ الأعياد اليهودية وأدى مناسك الحج وان الحجر الأسود نزل إليه من السماء".

ففي حديثه بعد أن تكلم عن هبوط آدم واختلاف الروايات في مكان هبوط آدم ف-ي ق-ول رواية من الروايات، هو الذي أنشأ الأعياد اليهودية (عبودازارا ص ١٨)، وأدى مناسك الحج- وأن الحجر الأسود نزل إليه من السماء ومن ثم بنى الكعبة (الطبري.اليغوي.الثعلبي)^(١)

فقوله " يجب أن نفهم..". هذا الوجوب من أين أتى وما هو الدليل عليه ثم ما الرواية التي ذكرت ذلك؟ فليس هناك رواية صحيحة تثبت، فضلاً على أنه لم يثبت لدينا أي رواية من ه- ذا القبيل.

ثم لم يرد في تفسير الطبري شيء من هذا القبيل إطلاقاً كما ادعى الكاتب من تأدية مناسك الحج وأمر الحجر الأسود، وبناء الكعبة لكنه ورد في كتاب الثعلبي^(٢)، والثعلبي كما ي-ذكر ف-ي كتابه قال أهل التاريخ قال أهل الأخبار. وكما هو معروف أهل التاريخ ي-ذكرون الروايات وينقلون ما وصل إليهم من أخبار على أنها أخبار لا على أنها روايات صحيحة متصلة الإسناد.

ثانياً: قصة سيدنا داود عليه السلام:

جاء الحديث عن قصة سيدنا داود تحت لفظة داود، حيث بدأ الكاتب (كاراده فو) حديثه-ه عن داود، بأنه ورد اسمه في التوراة وان قصته منحرفة شأن غيرها من قصص الأنبياء، وأشار إلى تفسير بعض الآيات التي ذكرت قصة سيدنا داود في سور القرآن الكريم ثم لخص ما جاء في تفسير الطبري من قصص بحق داود عيه السلام.

وهذا نص ما جاء في الدائرة:

(داود) "وقد ورد ذكره في التوراة، وفي القرآن عدة آيات تشير إلى ق-صة النب-ي داود خليفة ا (سورة ص الآية ٢٥)، وقد حرفت هذه القصة شأن غيرها من قصص الأنبياء بع-ض التحريف، ويظهر فيها أثر من مذهب الربانيين، أو قل إنه يبدو فيها أثر ال-سعي إل-ى تف-سير

(١) الدائرة ج ٢، ص ٢٦-٢٧

(٢) الثعلبي عرائس المجالس ص ٥٥

بعض آيات من التوراة لم تعرف على وجهها الصحيح فقد كان محمد (ﷺ) يعلم أن داود قتل جالوت (القرآن سورة البقرة الآية ٢٥٢ سورة النحل الآية ١٥) وقد حكم النبي -ان، في قضية واحدة حكماً مأثوراً في شأن الضرر الذي ألحقته غنم بحرث، ويقول المفسرون أن سليمان اظهر حكمة في هذه القضية على الرغم من أن سنه كانت لا تتجاوز الحادية عشرة، ذلك أنه اصـلح الحكم الذي حكم به أبوه، وقد وردت في آية أخرى قضية خصمين دخلا على داود متظـاهرين بأنهما يسألانه أن يحكم بينهما بالحق، والواقع أنهما جاءا يعرضان بخطيئته (سورة ص الآيات ٢٠ - ٢٥). وقد جاء في الآية ١٦ من سورة ص ذكر توبة داود. ويعد هذا النبي المـلك مـبـدع الدروع، وكانت من قبل صفائح، والظاهر أن الحديد قد لان بين يديه (سورة الأنبياء الآية ٨٠، سورة سبأ الآية ١٠) وقد أوتى داود نعمة الصوت الطيب، فكانت الجبال والطير يـسبحن معه (سورة الأنبياء الآية ٧٩، سورة سبأ الآية ١٠، سورة ص الآية ١٨) ومن الواضح أن ذلك ليس إلا تفسيراً حرفياً لآيات التوراة التي يدعو فيها صاحب المزامير الجبال ووحش الفلاة إلى تسبيح الرب معه.

ثم إننا ننتبين من الجمع بين الآية ١٢١ من سورة المائدة والآية ٦١ من سورة البقرة أن داود قد عاقب الخارجين على سنن بني إسرائيل يوم السبت بمسحهم قردة.

وقد توسع المفسرون كثيراً في الإشارات القصيرة التي وردت في القرآن عن داود، وتتفق الإشارات في مجملها مع التوراة، وأهم ما ورد في الطبري عن ذلك: هاجم جالوت، الذي انحدر من عاد وشمود، وطالوت.. فقتل داود جالوت بمقلعه وتزوج داود ابنة طالوت ونالصفه حكمه.. ووجد طالوت في نفسه على داود، وحاول قتله، ففر داود منه، وأوى إلى غار فنسجت العنكبوت بيتاً على بابه، فحمى الكهف داود من طالوت، ويذكر الطبري نسب داود ويروي قصة سـباغ بنت شائع امرأة اورباء، وتوبة داود، وخطة بناء الهيكل، ثم يضيف إلى ذلك قصـصاً أخـرى قليلة^(١).

ثم تابع الكاتب كلامه عن مكان وجود قبر داود وإن المسلمين والمسيحيين يجعلون قبره في بيت لحم، ثم أشار إلى بعض الفرق ورأيها في داود فأشار إلى الصوفية وأن لـداود مقامـاً خاصاً عندهم، كما وأشار إلى أنه يوجد في كردستان، وشمال بغداد فرقة تدعى (الداودية) مـن أتباع داود، بعد النظر والتحليل في كلام الكاتب يمكن أن نلخص ما جاء فيه من انتقاد بعدة نقاط:

أولها:

لقد حاول الكاتب هنا أن يثير شبهة أن القصص القرآني مأخوذ من التوراة، وأن بعضاً من الآيات الواردة في القرآن الكريم ليست إلا تفسيراً حرفياً لآيات التوراة، وهذه الشبهة آثارها المستشرقون قديماً ويشيرونها حديثاً لمحاولة الطعن في صحة القرآن الكريم، وأن القصص في القرآن الكريم مقتبس من الشعر الجاهلي وقصص الفرس واليهود والنصارى^(١) وهذه شبهة سأفرد لها عنواناً خاصاً وسيكون الرد عليها بعدة نقاط بإذن الله تعالى.

ثانيها:

الخطأ في أرقام الآيات وهذه الظاهرة تكررت كثيراً كما سبق وأشرت إلى ذلك من قبل، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على عدم الدقة والتحري في نقل النصوص، ذلك أن آيات القرآن الكريم إنما هي من الوضوح بحيث لا يدع مجالاً للباحث العلمي المنهج في الدقيق أن يخطئ في رقم آية من الآيات. فهنا أول موضع أشار إليه الكاتب أن داود خليفة (سورة ص الآية ٢٥) ولكن رقم الآية في المصحف العثماني هي (٢٦). الموضع الثاني: عند قوله "إن محمداً (ﷺ) أن يعلم أن داود قتل جالوت (البقرة الآية ٢٥٠ وما بعدها) فموضع الآيات التي تشير إلى الموضع هي الآية ٢٤٦ - ٢٥١).

الموضع الثالث: عند قوله "أن الله تعالى أتى داود وسليمان الحكمة" (الآية ٢٥٢).. ورقمها في المصحف العثماني (٢٥١)..

الموضع الرابع والخامس: عند ذكره قصة الخصمين.. (سورة ص الآيات ٢٠ - ٢٥) ورقمها في المصحف العثماني (٢١ - ٢٦) وقد جاء في الآية (١٦) من سورة ص ذكر رتوبة داود ورقمها في المصحف العثماني (١٧)..

الموضع السادس: عند قوله "وقد أوتي داود جمال الصوت. هذه الآية (١٧ - ١٨) ورقمها في المصحف العثماني (١٨ - ١٩).

الموضع السابع والثامن: ثم إننا نتبين من الجمع بين الآية ٨٢ من سورة المائدة والآية ٦١ من سورة البقرة^(٢) رقم الآية ٧٨ في سورة المائدة و ٦٥ في سورة البقرة..

(١) أباطيل الخصوم حول القصص القرآني: عبد الجواد محمد المحمص ص ١١
(٢) الموجز ج ١٤ / ص ٤٣٧٥.

ونص الآية في المائدة، قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ

دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (المائدة ٧٨).

ونص الآية في سورة البقرة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ أَعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي آلِ سَبْتٍ فَقُلْنَا

لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ (البقرة ٦٥).

ثالثها:

القصص الواردة في التفاسير حول قصة سيدنا داود تتفق في عمومها مع التوراة، وذكره مثالا لذلك في تفسير الطبري واقتصاره عليه، فنحن نعلم أن الطبري يكثر من إيراد الإسرائيليات في تفسيره، وليس معنى إيرادها في تفسيره أنها صحيحة أو أن تفسير الآيات يكون بها، خاصة قصة مثل هذه القصة التي ورد فيها الطعن بسيدنا داود عليه السلام ونحن نعلم أن الأنبياء كلهم - معصومون من مثل هذه الأمور، فيقول ابن كثير:

"وقد ذكر المفسرون هاهنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ولم يثبت فيها - ع - ن المعصوم حديث يجب اتباعه، ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثا لا يصح سنده، لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن انس ويزيد - وان كان من الصالحين - ولكنه ضعيف الحديث عند الأئمة، فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة وان يرد علمها إلى ا عز وجل، فان الق - رآن حق وما تضمن فهو حق أيضا^(١)

ولو كان في معرفة هذه القصة فائدة لذكرها القرآن الكريم أو السنة الصحيحة، لكن ا عز وجل - كما سبق وان أشرت يذكر من القصة القرآنية ما فيه العبرة والعظة.. ولا يلتفت إلى التفصيلات والجزئيات التي هي من سمات التوراة والإنجيل..

وقد ذكر الإمام الرازي أدلة عقلية تدل على بطلان هذه القصة، رأيت من المفيد ذكرها - ا هنا، حيث قال في تفسيره ما نصه:

"والذي أدين به واذهب إليه أن ذلك باطل ويدل عليه وجوه،

(١) ابن كثير: تفسير ج ٤، ص ٤٦.

الأول : إن هذه الحكاية لو نسبت إلى افسق الناس وأشدّهم فجوراً لاستنكف منها، والرجل الخبيث الذي يقرر تلك القصة لو نسب إلى مثل هذا العمل لبالغ في تنزيه نفسه، وربما لعن من ينسبه إليها، وإذا كان الأمر كذلك فكيف يليق بالعاقل نسبة المعصوم إليه!!؟.

الثاني: إن حاصل القصة يرجع إلى أمرين: السعي في قتل رجل مسلم بغير حق، والطمع في زوجته، فأما الأول: فأمر منكّر، قال (ﷺ) "من سعى في دم مسلم ولو يشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله". وأما الثاني: فمنكر عظيم قال (ﷺ) "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده" إن (أوريا) لم يسلم من داود لا في روحه ولا في منكوجه.

الثالث: إن ا وصف داود قبل ذكر هذه القصة بالصفات المذكورة - في الآيات - ووصفه بصفات كثيرة بعد هذه القصة وكل هذه الصفات تنافي كونه عليه السلام موصوفاً بهذا الفعل المنكر والعمل القبيح^(١)

ثم قال عند تفسير الآية ٢٦ من سورة ص: "ومن أقوى الدلائل على فساد القول المشهور بتلك القصة، قوله تعالى: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (ص الآية - ٢٦).

اعلم أنه لما تمم تعالى الكلام في شرح القصة أراد منها بيان أنه تعالى فوض إلـى داود خلافة الأرض، لان من البعيد جداً أن يوصف الرجل بكونه ساعياً في دماء المسلمين، راغباً في انتزاع أزواجهم منهم ثم يذكر عقبه أن ا تعالى فوض خلافة الأرض إليه^(٢)

فهل بعد هذا الكلام المعجز العظيم من رب عظيم من دليل على فساده - ذه القصاص وبطلانها، ولكن القوم أعموا أبصارهم وبصائرهم عن أن ينظروا بعين الحق والعدل، وصدق ا تعالى إذ يقول: " قل ا يهدي إلى الحق أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهـدي إلـا أن يهدي فمالكم كيف تحكمون " (سورة يونس آية ٣٥).

(١) مفاتيح الغيب: الفخر الرازي، ج ٩ / ص ٣٧٧

(٢) مفاتيح الغيب: ج ٩ / ص ٣٨٦.

الشبهة والرد عليها:

القصاص القرآني اقتبسه محمد (ﷺ) من قصص التوراة وما ورد عن أهل الكتاب، وهناك مستشرق آخر - غير الذي ورد في الدائرة الذي كتب عن داود وغيره من الفلاس - وهو (فيليب حتى) يصرح بذكر هذه الشبهة بعبارة أكثر وضوحاً فيقول: "وتكاد كل القصص التاريخية في القرآن أن يكون لها نظير في التوراة باستثناء بعض قصص قلائل عربية خالصة تشير إلى عاد وثمود ولقمان وأصحاب الفيل"^(١)

الرد:

ويكفي للرد على مثل هذه الأباطيل أن يطلع القارئ - مجرد اطلاع - على ما جاء في التوراة أو الإنجيل ويطلع على ما جاء في القرآن، ليدرك تماماً زيف هذه الادعاءات، ويظهر وجه الحق ناصعاً كشمس الضحى.

فإن الناظر في قصص الأنبياء في القرآن الكريم يجد أن الله تبارك وتعالى قد رفع ذكرهم وأعلى قدرهم، فهم أئمة الهدى وأولي الفضل والنهي، وهم الذين اصطفاهم الله من بين خلقه واختصهم بصفات الكمال الخلقية والخلقية، فهم السفراء الأمناء في حمل رسالة الله وتبليغها إلى الناس وهدايتهم لعبادة الله، وآيات القرآن الكريم تصفهم بأسمى الصفات وتنزههم عن كل ما يشينهم أو يقدح في أخلاقهم^(٢) - على العكس من التوراة -.

ولهذا فإن جمهور علماء الإسلام، عندما يتحدثون عن عقيدة الإسلام الصحيحة يقولون أن الأنبياء جميعاً معصومون قبل النبوة وبعدها^(٣) وكونهم بهذه المنزلة فقد جعلهم الله تعالى في موضع القدوة والأسوة لمحمد (ﷺ) كما صرح بذلك القرآن الكريم في قول الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ

الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَيُهْدِيهِمْ فَقَدِ لَهُمْ أَقْدَرُهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام آية ٩٠).

ومن هؤلاء سيدنا داود الذي قص الله قصته على سيدنا محمد ليتأسى به ويثبتته على تحمل أعباء الدعوة وما يلاقيه من أذى في سبيلها.

(١) كتاب الوحي القرآني في المنظور الإستشراقي ونفذه ص ١٣٤
(٢) الفصص القرآني، إفتاح وإبداع: السيد عسكر، ص ٦٢ وما بعدها بتصرف..
(٣) المرجع نفسه.

فيقول ا تعالى في أخبار رسوله: ﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾

إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسِخِّنُ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ، وَءَاتَيْنَاهُ

الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴿(ص الآيات ١٧ - ٢٠).﴾

أما ما جاء في التوراة والإنجيل لا يمت إلى الهدى والنور وموعظة المتقين بصلة وإنما فيه نسبة المعاصي وكبار الفواحش إلى الأنبياء حتى صاروا قادة للفجور وروادا للوقوع في أفعط الجرائم التي وصلت إلى الشرك با وعبادة الأصنام^(١) كما في قصة داود التي بين أيدينا، هذا عدا عن التناقض العجيب الموجود في القصص وعدا الأسلوب والمنهج في سرد القصص، الذي لا مقارنة بينه وبين أسلوب القرآن ومنهجه في عرض الوقائع والأحداث كما أشرنا إلى ذلك سابقاً، فهذا الاختلاف بين التوراة والقرآن واختلاف النظرة للأنبياء والمرسلين إلى دليل قاطع وبرهان جازم على أن القصص القرآني غير مقتبس ولا مستمد من هذا الكتاب.

فهذا الاختلاف الواضح بين التوراة والقرآن الكريم يمكن اعتباره دليلاً ملموساً على أن القرآن الكريم وقصصه ليس من وضع بشر ولا مقتبس شيء منه من التوراة..

ومن الأدلة والشواهد أيضاً:

أولاً: أن القرآن الكريم قد ورد فيه من القصص السابقين، وأنبياء الأولين ما لم يكن يعلمه الرسول ولا أحد من قومه، وقد تحدى الناس أن يأتوا بمثله فلم يستطع أحد ذلك، فكان هذا العجز دليلاً على أن القرآن الكريم وقصصه من عند عز وجل. ولو كان الرسول (ﷺ) قد نقل القصص القرآني عن كتب اليهود والنصارى، لانتخبوا المشركون ذلك شبهة يحتجون بها على أن ما يذكره من قصص مستمد من ههنا الكتب.

ثانياً: أن القرآن الكريم قد تضمن قصصاً كثيرة لم تذكر في كتب اليهود والنصارى، مثل قصص صالح وهود وشعيب الذي لم تذكره التوراة إلا عرضاً، وهذا من أقوى الأدلة على أن القصص القرآني وحي منزل من السماء.

(١) المرجع نفسه، ص ٦٧.

ثالثاً: الاختلاف سواء في المحتوى أو في الأسلوب والسياق أو في الغرض المستخلص من القصة بين كما سبق الإشارة لذلك.

رابعاً: ما جاء في القرآن الكريم من عتاب ^١ عز وجل لرسوله الكريم (ﷺ) كما في قصة ابن أم مكتوم، وقصة أسرى غزوة بدر، وقصة تحريم النبي ما أحل ^٢ له ابتغاء مرضاة أزواجه. ونحو ذلك، فلو كان القصص القرآني من تأليف الرسـول (ﷺ) ما سجل على نفسه ذلك العتاب كله، لكن هؤلاء المضلين سفهوا أنفسهم وزعموا على الرغم من هذه البراهين الواضحة والأدلة القاطعة أن الرسول (ﷺ) افترى القصص القرآني على ربه، وكذبوا وضلوا ضلالاً بعيداً.

خامساً: جاءت القصص القرآني آيات عديدة تشير إلى حقائق علمية لم تكن معروفة للناس في البيئة العربية الجاهلية وقت نزول القرآن الكريم، وإنما عرفت في الوقت الحديث، وأيد العلم أخيراً ما جاء فيها تأييداً مجتمعاً عليه، وفي هذا ما يقطع باليتين أن قصص القرآن الكريم من عند ^٣ عز وجل وليس من النبي أو من التوراة.

وأخيراً نؤكد القول أن ما زعمه المستشرقون ليس بحق ولا هو من النتائج العلمية التي ينتهي إليها البحث الرشيد، والنظر السديد، وما ذكروه وزعموه ضيق النطاق - أن يكون مصدر القصص القرآني فإن هذا القصص لأعلى وأوسع وأعظم مما زعموه، وأكبر وأكمل مما توهموه، لأنه أولاً وأخيراً تنزيل من ^٤ رب العالمين، فيه الإعجاز البياني. وفيه الإعجاز العلمي. وفيه الإعجاز التاريخي. وفيه غير ذلك من سائر حقائق الإعجاز^(١).

فما من قارئ للقرآن الكريم إلا ويجد للقصص وغيره مما احتواه القرآن وقعا لا يجده في أي كتاب آخر. فعلى المستشرقين أن يتجردوا من حقدهم، وتعصبهم الأعمى، وعليهم أن يقرأوا القصص القرآني وقصص التوراة والإنجيل ليعيدوا النظر في أباطيلهم وافتراءاتهم، فلهذا جاء القصص القرآني لشد تأثيراً في النفس الإنسانية، واغزر فائدة من حيث العبرة والعظة، مع اختلافات شتى وفروق بينه، تؤكد أن القصص القرآني لو كان مستمداً مما زعموه لالتزام طريقتيه، ووقف عند ما جاء فيه.

(١) أباطيل الخصوم حول القصص القرآني عرض ومناقشة: عبد الجواد محمد الحمـص ص ٤٥ - ٤٦، ٤٨، ص ٥١ " اكتفي بذكر هذه الردود وهناك ردوداً أخرى ذكرها الكاتب يمكن الرجوع إليها لمن أراد المزيد "

قصة أصحاب الكهف:

بدأ كاتب مادة أصحاب الكهف - فنسك - حديثه عن أصحاب الكهف كما جاءت القصة في القرآن الكريم ، بقوله:

"يقص القرآن قصتهم في سورة الكهف (الآية الثامنة وما بعدها) ^(١) رقم الآية - في المصحف العثماني هو الآية التاسعة وما بعدها وليست الثامنة.

ثم ذكر خلاصة ما اتفقت عليه روايات المؤرخين والمفسرين في قصة أصحاب الكهف، ثم خص بالذكر رواية ذكرها الطبري عن وهب بن منبه وهي قصة الح- واري م- ن أصحاب عيسى و دخوله المدينة، ثم بعد ذلك حاول الإشارة خفية إلى شبيه حول القصص القرآني يمكن تلخيصها كما يلي:

١- اشتمال القصص القرآني على الأخطاء التاريخية وذلك عند حديثه عن أهم المعلومات في قصة أصحاب الكهف، فيقول: "وستكلم الآن عن أهم المعلومات فنقول: أن الملك ال- وثن الذي اضطهد النصارى كان يسمى داقوس (٢٤٩ - ٢٥١)، أما الملك النصراني ال- ذي بعث الفتية في عهده فهو الملك تيودوسيوس الثاني (٤٠٨ - ٤٥٠)، وهذا لا يتفق مع م- ا ورد في القرآن من أن أصحاب الكهف لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنة وازدادوا ت- سعا ولا مع الروايات الأخرى التي تذهب إلى انهم لبثوا فيه ٣٧٢ عاما. وهناك أمر آخ- ر عظم الأهمية هو معرفة المدينة التي حدثت فيها هذه القصة، تقول المصادر العربية إنها حدثت في مدينة ابسوس وتتفق معها بعض المصادر الشرقية أيضاً" ^(٢)

٢- اشتمال القصص القرآني على الأسطورة والخيال: وذلك عند حديثه عن المدينة التي حدثت فيها هذه الحادثة، حيث يقول: ". فهل كانت مدينة ابسوس هذه هي المسرح الذي وقعت فيه تلك الحوادث الحقيقة أو التي أوحى بها الخيال" ^(٣).

أما حديثه عن الأسطورة كان ذلك في ختام كلامه عن أصحاب الكهف حيث يقول: وقصة أصحاب الكهف مشهورة ذائعة في الآداب الشرقية والغربية على حد سواء، راجع في ه- ذا

(١) الدائرة ج ٣ / ص ٤٥٥

(٢) المرجع نفسه، "الدائرة ج ٣ - ص ٤٥٦

(٣) المرجع نفسه، ص ٤٥٧

الصدد كتاب (جون كوخ) الذي حاول أن يجعل لهذه القصة أصلاً في الأساطير^(١).

قبل ذلك تعرض الكاتب لمسألة هامة وهي معرفة معنى "أصحاب الكهف والرقيم" وأقوال العلماء في معنى الرقيم، فيقول:

"وهناك مسألة أخرى هامة أيضاً، هي معرفة معنى "أصحاب الكهف والرقيم" التي وردت في القرآن الكريم: ذهب الكثيرون إلى أن الرقيم هو اسم الكلب، وذهب آخرون إلى أن الرقيم هو اللوح الذي نقشت عليه قصة أصحاب الكهف، أما جغرافيو العرب فيرون أن الرقيم اسم مكان.. فابن خرداذبة مثلاً يقول أن الكهف الذي كانت فيه الجثث اسمه الرقيم وأن قصة أصحاب الكهف حدثت في أفسوس. أما المقدسي فيرى أن الثلاثة عشر رجلاً الذين وجدت جثثهم في الكهف كانوا أصحاب الكهف، ويرى أن الرقيم هي جهة في شرق الأردن قريبة من عمان ويقال أن هذه الجهة كانت مسرحاً لحادث شاذ حدث لثلاثة من الرجال وقد زار الكهف الذي كان فيها كلرمون كانوا وهو يرى أن هذه الجهة هي التي جاء ذكرها في القرآن الكريم^(٢) ثم يتساءل الكاتب عن شأن الكلب في القصة فيقول:

"ولسنا ندري أي شأن للكلب في قصة أصحاب الكهف ولا مكان جبل انخيلوس، وليست المصادر متفقة في عدد الفتية ولا في أسمائهم"^(٣)

هذه خلاصة ما ذكر من أمور تحتاج إلى مناقشة ورد حول قصة أصحاب الكهف في فـي الدائرة.

الرد:

أولاً: الرد على الشبهة الأولى:

أن القرآن الكريم – كما أشرنا سابقاً – لا يعبأ بذكر الأماكن وأسماء الأشخاص والتاريخ في عرضه للقصص، إنما أكثر اهتمامه يكون بالغاية من القصة، وعناية القرآن بالتاريخ ليست أكثر من مجرد عرضه لأخبار مضت، فهو وأن لم يذكر فيما انتقى من أخبار التاريخ زمان الواقعة ومكانها وترتيبها الزمني، فقد صاغها في أسلوب إنشائي مؤثر..

فعدم ذكره لمثل هذه الأمور لا يطعن في صدق ولا صحة أخباره، فإن الله - رآن ليس

(١) المرجع نفسه.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) المرجع نفسه.

تاريخاً ولا قصصاً، وإنما هو هداية وموعظة فلا يذكر القصة لبيان تاريخ حـ. دوثها، ولا لأجلـ ل
التفكه بها، أو الإحاطة بتفاصيلها، وإنما لأجل العبرة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ
لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (يوسف ١١١) ، وبيان سذن الاجتماع قال تعالى: ﴿فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَنُهُمْ لَمَّا
رَأَوْا بِأَسَاطِئَ اللَّهِ أَلَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ^ط وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ (غافر ٨٥).

فقول الكاتب هنا أن الفترة التي وقعت بين الملك الوثني والملك النصراني الذي بعث الفتية
في زمنه يخالف ما جاء في القرآن الكريم بأن لبثهم كان ثلاثمائة وتسع سنوات، هذا قول باطـ ل
ذلك أن التواريخ التي ذكرها لا أساس لها من الصحة، ذلك أنه لم يذكر لنا الرواية التي ذكرـ رت
تلك التواريخ ولم يبين لنا المرجع الذي أخذت منها الرواية.

ثم على فرض أن هذه الرواية ذكرت في مؤلفاتهم التي يدعون صحتها، فهي لم تنقل إلينا
وذكرتها كتب تواريخ الإسلام وكانت مخالفة بعض القصص القرآني.

"فعلينا أن نجزم بأن ما أوحاه ا إلى نبيه ونقل إلينا بالتواتر الصحيح هو الحق، وما خالفه
فهو الباطل، ونقله مخطئ أو كاذب، فلا نعهده شبهة على القرآن، لأن حال التاريخ القديم لم يكن
من الثقة والتحري والضبط بحيث يكون حجة تعتمد في هذا المجال، إذ لا رواية يوثق بها
للمعرفة التامة بسيرة رجال سندها، ولا تواتر يعتد به"^(١)

فليس لنا إذن أن نأخذ مأخذ اليقين برواية الأقدمين عن ماضيهم البعيد، وليس لنا كذلك أن
ننقصها بغير دليل إذ ليس من المحقق أن يوغل التاريخ في القدم إلى تلك الألوف من السنين^(٢).

وقد أثبتت بعض الكشوف الأثرية صحة ما جاء في القرآن من أخبار العرب البائدة
وغيرها، مثل سيل العرم الذي أدى إلى انهيار سد مأرب في اليمن، والذي يرجع إليه الفضل في
تحويل مدينة مأرب إلى جنة يانعة، وما تزال آثار الجنتين الواقعتين عن يمينه وشماله حتى اليوم
تؤكد ما جاء في القرآن^(٣).

فـال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ

(١) تفسير المنار ج ١ / ص ٤٦٤ - ٤٦٥

(٢) العقاد: الإنسان في القرآن ص ٧٣

(٣) سيد إسماعيل كاشف: مصادر التاريخ ص ١٦ نقلا من سيكولوجية القصة ص ٢٢٢

وَأَشْكُرُوا لَهُ، بَلَدٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ (سبا آية ١٥). وهنا في القصة التي بين أيدينا اكتشفت

دائرة الآثار الأردنية عام ١٩٦٢ موقع كهف أهل الرقيم في قرية أردنية تسمى "الرقيم" على بعد سبع كيلومترات جنوب العاصمة الأردنية عمان، حيث تم العثور داخل الكهف على نفوش وحلي ونقود بيزنطية تعود للقرن الثالث الميلادي، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿فَاَبْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ

هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ (الكهف ١٩)، كما تم العثور على سبع جماجم بشرية في سبعة قبور بداخل

الكهف وعلى جمجمة كلب، وتم العثور أيضاً على أعمدة المسجد الذي أقيم فوق الكهف، وكذلك على الفجوة التي بداخل الكهف وتبلغ مساحتها على وجه التقريب نحو أربعة أمتار بثلاثة، ثبت أن الشمس تمر فعلاً عند طلوعها أمام الكهف، وتنحرف عنه عند غروبها، فأشعتها لا تنفذ إلى داخل الكهف، فهذا ما أخبر عنه القرآن الكريم قبل هذا الاكتشاف العصري^(١) الذي يؤيد ويؤكد صحة هذه القصة، وصحة ما جاء فيها، ويؤكد بطلان ومزاعم هؤلاء الحافدين!! وهذا الكثير من الأمثلة غير ما ذكر^(٢) ويقول الدكتور عبد العليم خضر في شأن قوله تعالى: "ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا": "هذا خبر من أ تعالى إلى رسوله (ﷺ) بمقه دارمـا لبث أصحاب الكهف في كهفهم منذ أن أرقدهم إلى أن بعثهم وأعثر عليهم أهل ذلك الزمان، وأنه مقداره ثلاثمائة سنة تزيد تسع سنين بالهلالية، وهي ثلاثمائة بالشمسية، فان تفاوت ما بين كل مائة سنة بالقمرية إلى الشمسية ثلاث سنين، فهذا قال بعد الثلاثمائة: "وازدادوا تسعا".

هكذا أخبرنا محمد (ﷺ) عن الفرق بين التقويم الشمسي والتقويم القمري، فالشمسي ما كان يسير عليه الناس زمن حكم الرومان وهو زمن وقوع القصة، والقمري ما سار عليه العرب، وكانت الهجرة فيما بعد عليه دليلاً، أن يقول: أيها الناس هذا النبي الأمي الذي لم يقرأ ولم يكتب ولم يدرس علم الحساب ولا الهندسة ولا الفلك من أين جاء له أن كل مائة سنة شمسية تزيد ثلاث سنين قمرية، وكل سنة شمسية تزيد نحو أحد عشر يوماً ليس له ذلك معذرة سوى الإعجاز القرآني"^(٣).

وهكذا يتضح للمستشرقين وأمثالهم أن القصص القرآني يخلو تماماً من الأخطاء التاريخية،

(١) منشور في مجلة العربي الكويتية: دكتور عبد الرحمن العمراني في مقال له بعنوان "النيام السبعة وأهل الكهف" العدد ٢١٦، ص ٣٣ وما بعدها

(٢) راجع سيكولوجية القصة ص ٢٢٣ - ٢٢٦

(٣) المنهج الإيماني للدراسات الكونية، ص ١٥٥-١٥٧

وأنة حجة تاريخية لا تقبل الطعن في إثبات ما قص من وقائع تاريخية، على الرغم من أن القرآن الكريم كان لا يهدف إلى العرض التاريخي بالمعنى المعروف عند المؤرخين المحدثين. ولقد كان حرياً بهم أن يتحاشوا ادعاءاتهم الكاذبة، ويظهروا لو كانوا منصفين للبحث العلمي حقاً - كيف أبان القرآن الكريم وجه الحق فيما دخل على بعض القصاص الديني والتاريخي من زيف أو تحريف في كتب العهدين القديم والجديد أو في كتب التاريخ القديمة، ويوضحوا فيما كتبوه من حوليات ودوائر معارف وغيرها ما تضمنه القرآن الكريم من إشارات لا تخلو من أصول علم التاريخ وبذور فلسفته، وغير ذلك مما جاء فيه على اكمل نظام و اتقـن ترتيب^(١)

ثانياً: الرد على الشبهة الثانية:

هذه الفصة يمكن أن يكون لها اصل في الأساطير إذ أنها ليست حقيقة من الخيال. "أن كل ما ورد في القرآن الكريم من قصص لا يحيد عن الحق، لأنه بني على الحقائق الثابتة الخالصة من زخرف القول وباطله، ولا تجافي الصدق لأنه لم يكن للخيال أو الأسطورة أو الوهم أو المبالغة مدخل إليه، سواء أكان هذا الصدق واقعياً في عرض وقائع التاريخ وتصوير الأشخاص بما هو مطابق للواقع، أو موضوعياً في عرض نماذج لأصناف من البشر على حقيقتهم، أو أحداث إن لم تكن وقعت بالفعل، فإنها في قوة الأحداث الواقعة لاحتمال أن تقع في كل حين وذلك للافتناع الحاصل بإمكان وجود تلك النماذج أو وقوع تلك الأحداث في كل عصر^(٢)."

من هنا يتضح أن لا مجال للأسطورة في القرآن لأنه كلمة إلهية، ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ

يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت آية ٤٢).

وأصل الأسطورة خرافة اخترعها خيال الإنسان لتفسير العلاقة التي تربطه بالوجود، وتعليل ما يجري فيه من بعض الظواهر التي عجز عقله عن معرفة أسبابها الحقيقية فانساق مع الأوهام، لذلك كان أكثر الأساطير مما يثير العجب والدهشة لأن الأحداث فيها لا تسير سيرها الطبيعي وفق سنن الكون ولكن تسيرها قوة جبارة خفية تصنع الخوارق، وتهيئ الظروف

(١) أباطيل الخصوم ص ٩٧ - ٩٨

(٢) سيكولوجية الفصة ص ١٥٦

الملائمة لتمضي بها لا في المسلك الطبيعي، بل في المسلك الذي رسمه القاص إلى النهاية. ويشبه الأساطير من بعض الوجوه ذلك القصص الديني الذي لم يقتصر فيه الرواة والمفسرون على ما أوردته الكتب المقدسة، بل جعلوا على مر العصور مرتعاً لتصوراتهم ومسرحةً لتخيلاتهم، والخرافيان هم آفة الأخبار وآفة الأديان في كل زمان، والناس يروفهم أن يجعلوا من الاستثناء قاعدة ومن الشذوذ قانوناً، وهنا الطامة التي تعصف بالدين والعلم معاً، فكم من قصص ديني لو صح لما تماسك للكون نظام، ولا بقيت لقانون السببية حرمة...!!^(١) ولقد وصدق المشركون من قبل القرآن بالأساطير ولكن القرآن الكريم رد على دعوة هؤلاء ليس إلا تكذيباً لما ادعوا وبحضاً لما زعموا، فقال تعالى:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾

وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (الفرقان آية ٤ - ٦).

ولا شك أن في ثبوت نسبة القرآن إلى ما ينفي عنه قطعاً أن يكون في قصصه أساطير أو خيال غير حقيقي، وتعالى به. ول: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (آل عمران ٦٢).

وإذا رحنا نبحت عن الأسطورة أو الخيال في قصة أصحاب الكهف لم نجد له أثراً، وإنما نجد هذه الآية القرآنية التي تنص نصاً صريحاً وحاسماً على أن القصة من واقع التاريخ الحق لا صلة للأساطير بها، فمن المدهش حقاً أن يصف القرآن الكريم هذه القصة بهذا الوصف الصريح الحاسم، ثم يظهر في البيئة العربية والإسلامية من يتجاهل ويتعالى عن هذه الحقيقة ويدعي ما يدعي هؤلاء المستشرقون، ويزعم أن القرآن لا يعيبه أن يشتمل على الأساطير، لأنه بذلك قد د الفوائد وسن السنن^(٢).

لقد اشتملت قصة أهل الكهف على أمور تدل دلالة قوية على عدم صحتها بالأسطورة،

(١) محمد الغزالي: ركائز الإيمان بين العقل والقلب ٣١٧، وسيكولوجية القصة ص ١٥٩ - ١٦٠
(٢) انظر البكتور خلف أ: الفن القصصي في القرآن ص ١٧٧، وانظر الرد عليه في سيكولوجية القصة ص ١٦١، وأباطيل الخصوم ص ١٤٦ - ١٥٨

كذلك التقديم القرآني الرائع الذي يسبقها في الآيات الفرآنية: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا

لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ

وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنَّا عَجَبًا ﴾ (الكهف ٧ - ٩).

"فيقول ا عز وجل لمن تعجب من هذه القصة، ويستبعد عقله وقوعها، ويرى فيها لونا من الاعتماد على الأسطورة أو الخيال في الوصول إلى قلوب الناس وعقولهم. يقول لهم: إن آية أصحاب الكهف والرقيم ليس بأغرب ولا اعجب من صنع ا في الأرض، وتزيينه لها ولأهلها بما أوجد فيها من أسباب الحياة، ومظاهر النعم، ثم يتحول ذلك كله ويتبدل إلى حال آخر فتصبح الأرض صعيدا جرزا، أرض بيضاء لا نبات فيها - بعد أن كانت خضراء معشبة - ^(١) ولا شجر ولا حيوان ولا ثمر "فلو أن عاقلاً تفكر في هذا الذي يطرأ على الأرض وتراه العيون فيها يوماً بعد يوم، لما وجد في قصة أصحاب الكهف عجبا، ولما وصل به التعجب إلى اعتقاد أنه أمام قصة مخترعة ونبأ مفترى" ^(٢) يتخذ من الأسطورة والخيال متكأ.

ولقد ذكر صاحب كتاب أباطيل الخصوم حول القصص القرآني ^(٣) وجوهاً تؤكد بعد هذه القصة التام عن الأسطورة والخيال، وهي:

١ - إن الحق سبحانه وتعالى لم يذكر أن أصحابها قد بعثوا من موت - وإن كان البعث من الموت ليس على ا بمستغرب - كما في قصة العزيز وحملته - ثلثاً، وإنما الذي أوضحته القصة أنهم بعثوا من نوم عميق طويل غشى عيونهم بعد أن سلبوا أسباب التنبيه والاستيقاظ، وضرب على آذانهم في الكهف سنين عدداً.

وفضلاً عن هذا فإن ا أخبر بأنه أحاطهم بسائر أسباب الحفظ والصون، بحيث لم

يتسرب إلى أجسادهم شيء من المتلفات أو المنبهات فكانت الشمس ﴿ إِذَا طَلَعَتِ تَرْوَرُ عَنْ

كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ﴾ (الكهف - آية

(١٧).

(١) الكشف: الزمخشري ج ٢ ص ٦٧٧

(٢) البيان القصصي، ص ١٠٩

(٣) عبد الجواد المحض، ص ١٤٦ / ١٥٨.

وكان الحق سبحانه يفلهم ذات اليمين وذات الشمال، وكلهم بأسط - ط ذراعيه - يحرسهم بالوصيد - بالباب أو العتبة - حتى ليحسبهم الناظر إليهم أيقاظاً وهم رقود، ولو اطلع عليهم لولى منهم فرارا ولملئ منه رعبا، إلى آخر ما ذكرته الآيات م - ن أح - داث ووقائع تؤكد - بما لا يدع مجالا للشك - أنها تقوم على الوقائع، وترد على المستشرقين ومن نحاً نحوهم مزاعمهم الكاذبة، من الواقع الفني الذي يعززه الإعلان والتنبيه.

٢- سياق الآيات بأسلوب الفني المعجز الذي يصور الفصة في كل جزئية م - ن جزئياتها - وكأنه مرئي بالحس لا مذكور بالخبر وحده، فهي وإن تناولت موضوعاً ماضياً إلا أنها - ذكرت بهذا الأسلوب المعجز الفريد الذي يجعل السامع أو القارئ لها - ية - رر دون أي التباس إن هذا واقع حقيقي وليس للخيال مدخل فيه، فهذا الاستهلال الرائع ف - ي قول - ه تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ يجمع في لفظ واحدة بين الإيغال في الماضي والحضور في الزمن، لأن الابتداء بضمير الغائب (إنهم) ي - شدنا م - ن أف - صى الحاضر إلى أقصى الماضي، ولكن اقتران هذا الضمير ب (أن) المؤكدة للجمل - م - ن أقصى الماضي للحاضر، فإذا بنا نرى هؤلاء المتحدث عنهم في حالتهم التي هم عليها - ا: ﴿فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ (الكهف: ١٣) وبعد الاستهلال يعرض الف - رآن الفصة في مشاهد تتوالى كأنها ترى عياناً.

فقد اتبع القرآن الكريم في عرضها طريقة التلخيص الإجمالي أولاً ثم العرض التفصيلي أخيراً، ففي الآيات الأولى يرسم خطوطها الرئيسية العريضة ويشير إلى أنها آية عجيبة من آيات ا ، لكنها مع غرابيتها ليست بأعجب آيات ا ، ففي صفحات كونه الممتد من العجائب والغرائب ما يفوق قصة أصحاب الكهف، وبعد هذا التلخيص المشوق للقصة يجيء التفصيل مبتدئاً آن م - ا سيقصه ا منها هو فصل الخطاب في الروايات المتضاربة في عددهم ومدة نومهم وغيره من الحق اليقين في أحداثهم^(١).

٣- أنها كانت مظهراً واقعياً لصوره من صور التحدي القرآني لأعداء سيدنا محمد (ﷺ) - حين طلب المشركون بتحرير من اليهود - أن يقص عليهم نبأ أهل الكهف وما انته - ي إليه أمرهم، ونبا ذي القرنين. فكان هذا الطلاب بمثابة امتحان للنبي (ﷺ) ، وكان برهنا - ا

(١) في طلال القرآن: سيد قطب المجلد الرابع ص ٢٢٦٣

صادقا على انه نبي صادق لا يقص عليهم إلا ما يوحى إليه من ا عز وجل فقد قـ ص عليهم ما طلبوا بأدق التفاصيل واصدق بيان، ودل على تمام صدقه انه كان قد وعـ دهم بأنه سيجيب غدا ثقة منه با الذي يعلمه بكل شيء، سيحقق وعده كمـ ا وعـ د، لكـ ن الوحي أبطأ عليه حتى شق ذلك على النبي (ﷺ) وكذبتة قريش، ثم نزل الـ وحي بقـ صة أهل الكهف وقصة ذي القرنين وفي ثنايا القصة نبهه عز وجل بان الأمر يكون بمـ شيئة ا بقولـ هـ: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾ ❀ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا

نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَّبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٣﴾ (الكهف ٢٣ - ٢٤). فهذا قـ ول ا الحق، فماذا بعد الحق إلا الضلال!

أما المسألة الأخيرة التي أثارها الكاتب في هذه القصة وهي معرفة معنى أصحاب الكهف والرقيم وشأن الكلب فيها، فلقد اتضح لنا مما سبق معنى أصحاب الكهف، واختلاف العلماء في معنى الرقيم، وقد رجح الطبري أن معنى الرقيم: لوح أو حجر أو شيء كتب فيه كتاب، حيث كتب فيه أسماء أصحاب الكهف وجعل على باب كهفهم.

وعلا ذلك بمعنى أصل الكلمة الرقم وهو الكتابة، فيقول: "وإنما الرقيم فعيل أصله: مرقوم، ثم صرف إلى فعيل، كما قيل للمجروح جريح، وللمقتول قتيل، يقال: رقمت كذا وكذا: إذا كتبت، ومنه قيل للرقم في الثوب رقم، لأنه الخط الذي يعرف به ثمنه، ومن ذلك قيل للحية أرقم، لما فيه من الآثار والعرب تقول: عليك الرقمة ودع الصفة بمعنى: عليك برحمة الوادي حيث الماء ودع الصفة الجانبية، والصفقتان جانبا الوادي واحسب أن الذي قال الرقيم: الوادي ذهب به إلى هــ ذا، اعني به إلى رقمه الوادي^(١)، أما عن شأن الكلب والجبل، فالجبل بنجلوس هو الذي كـ ان فيـ هـ الكهف ولم يسمه القرآن لنا، أما شأن الكلب فهو كما ذكر القرآن الكريم بأسط ذراعيـ هـ بفـ ذاء كهفهم عند الباب يحفظ عليهم بابهم^(٢).

ذو الكفل:

يقول (كولاد تسيهر) صاحب المقال " ذو الكفل "في الدائرة دائرة المعارف:

" - ذو الكفل - شخص ذكره القرآن في (سورة الأنبياء الآية ٨٥، ص الآية ٤٨) في كلامه

(١) تفسير الطبري، سورة الكهف، الآية ٩ مجلد ٩/ ٥٦٢٢ طبعة دار الفكر.

(٢) نفس المرجع.

عن طائفة من الأنبياء يحيط بحقيقة أشخاصهم غموض وشك، ولا يسـلـى دى مفـسـري المسلمين عن ذي الكفل إلا فكرة مبهمة أشد الإبهام، وهم في حيرة من أمرهم يجعلونه هذا الرجل أو ذاك، معظم الرجال الذين قالوا إنهم ذو الكفل نفسه ورد ذكرهم في التوراة مثل يوشع واليسع وزكريا أو حزقيال، وذو الكفل اسم النبي الذي يسمى باسمين مثله في ذلك مثل أربعة أنبياء آخرين..^(١) ثم أخذ الكتّاب يذكر ما ذكـر مـن روائـيات حـول شخصية ذو الكفل وسبب تسميته بذلك، ومكان قبره واختلاف الروايات في ذلك^(٢) لمعرفة حقيقة شخصيته ذو الكفل فنذكر الآيات التي ذكرته فان السياق هو الذي من خلاله ومن خلال ربطه بالآيات يمكن أن يتضح لنا شخصية ومن هو؟!...

يقول ا تعالى في سورة الأنبياء بعد قصة سيدنا أيـوب: ﴿وَأَسْمِعِمْ وَإِدْرِيسَ

وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾

(الأنبياء ٨٥ - ٨٦)، ويقول تعالى بعد قصة أيوب أيضاً في سورة ص: ﴿وَأَذْكُرْ عِدَّتَنَا

إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٨٧﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٨٨﴾ وَإِنَّهُمْ

عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٨٩﴾ وَأَذْكُرْ سَمْعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿٩٠﴾ (ص: ٤٤

- ٤٨) فالظاهر من ذكره في القرآن العظيم بالثناء عليه مفرونا مـع هــ ولاء الـسادة الأنبياء أنه نبي، وهذا هو المشهور^(٣).

قال الحسن والأكثر إنهم من الأنبياء وهذا أولى الوجوه وقد ذكر الرازي^(٤) عدة

وجوه وهي:

١- ذو الكفل يحتمل أن يكون لقبا وان يكون اسما، والأقرب أن يكون مفيدا، لأنه الاسم إذا أمكن حمله على ما يفيد فهو أولى من اللقب، إذا ثبت هذا فنقول: الكفل هــ و الذـصـيب، والظاهر أن ا تعالى إنما سماه بذلك على سبيل التعظيم، فوجب أن يكون ذلك الكفل هو

(١) الدائرة ج ٩ / ص ٤٠٥

(٢) المرجع نفسه، ص ٤٠٦ - ٤٠٧

(٣) ابن كثير: قصص الأنبياء ص ٢٧٥

(٤) التفسير الكبير: ج ٨ / ص ١٧٧

كفل الثواب فهو إنما سمي بذلك لان عمله وثواب عمله كـ ان ضـ عف ثـ واب غيـ ره، وضعف ثواب غيره ولقد كان في زمنه أنبياء على ما روي ومن ليس بنبي لا يكـ ون أفضل من الأنبياء.

٢- إنه تعالى قرن ذكره بذكر إسماعيل وإدريس والغرض ذكر الفضلاء من عباده ليتأسى بهم وذلك يدل على نبوته.

٣- السورة مسماة بسورة الأنبياء فكل من ذكره ا تعالى فهو نبي.

وما ورد من روايات في ذي الكفل ما هي إلا أقوال لا دليل عليها والنص القرآني يكفي في هذا الموضوع لتسجيل صفة الصبر لذي الكفل^(١)، فأى غموض وأي شك هـ ذا الذي يحيط بحقيقة هؤلاء الأنبياء الذين ذكرتهم الآيات الكريمة !!!، إنه الزعم والادعاء على كلام ا عن أشرف وأعظم خلق ا !

ذاك أن القرآن الكريم عندما يذكر قصص الأنبياء العظماء ويشير إليهم بـ صفاتهم يذكرهم للعبارة والتأسي بهم إذ لا فائدة من ذكر من هم ومن أين هم. الخ من التفصيلات التي لا يعبأ بها القرآن الكريم ..

ولقد أثرت أيضاً شبهة حول شخصية ذي القرنين، والخضر مع موسى عليه السلام وغيرها. ولقد تولى الرد عليها الرد الحاسم والمناقشة الواسعة والرد عليها بالمنهج العلمي السديد وقد وفق في ذلك فجراه ا عنا كل خير، صاحب كتاب أباطيل الخصوم حول القصص القرآني^(٢) حيث أفرد له فصلاً خاصاً به.

أصحاب الأخدود:

أورد الكلام عن أصحاب الأخدود في دائرة المعارف كما بين اثنان من المستشرقين همـ ا (فنسك وباريه) أما (فنسك) فقد كان كلامه حول أصحاب الأخـ دود كمـ ا أورده المفـ سرون، وأصحاب السير من المسلمين، وكان أكثر اعتماده في ذلك على تفسير الطبري، وسيرة الثعلبي، ويظهر أن الباحث كان دقيقاً وموضوعياً في نقل المعلومات من مصادرها.

أما الكاتب باريه: فقد كان كلامه قريباً مما ذكره صاحبه - فنسك - وزاد عليه عـ دة ملاحظات يمكن تلخيصها ومناقشتها في عدة نقاط كما يلي:

(١) سيد قطب ج ٤ / ص ٢٣٩٣

(٢) عبد الجواد محمد المحمص ص ٢٥١ - ٢٩٤

١- صعوبة تفسير كلمة الأخدود وإنه فيها أثر من الكلام العبري.

فيقول: "إن أصحاب الأخدود، مصطلح ورد في أوائل سورة البروج من القرآن يـصعب فهمه. "ثم يكرر ذلك في آخر فقرة من كلامه حول أصحاب الأخدود بقوله: "وتبقى بعد صـعوبة في تفسير كلمة الأخدود، ويذهب (موريك) إلى وجود أثر فيها للعبارة العبرية "كي هنوم" بمعنى النار، وإن كان يتحفظ في قوله هذا تحفظاً شديداً. ويقول بل: "قد يكون في مـصطلح أصـحاب الأخدود إشارة فرعية إلى قتلى قريش في بدر الذين ألقيت جثثهم في بئر" وكلا التفـسيرين فيـه نظر"^(١).

٢- ذكر تاريخ الفصة:

مع أن القرآن لم يتعرض لذكر شيء من هذا القبيل، فيقول: "ذلك الاضطهاد الذي جعل في سنة (٥٢٣ م) من حيث هو واقعة تاريخية مقررة. وترتبط هذه الآيات أحياناً بالقصة التي ترجع أخيراً إلى "أتون النار المتقدة" الواردة في سفر دانيال، الإصحاح الثالث، على أن هــذه الآيات يجب أن تفهم بمعنى يتصل بعلم الآخرة كما استبان كرامة وبين هور دفنر على التدقيق، فـنحن نعرض لمشهد من مشاهد الحساب المأثور في القرآن".^(٢)

- المناقشة والرد:

أما قوله صعوبة في الفهم - فهذه العبارة تكررت من القوم خاصة في الآيات الواضحة وضوح الشمس في ضحى النهار، فهم يحاولون إيهام السامع أو القارئ بأن في القرآن الكريم أموراً يصعب فهمها و أن آيات القرآن الكريم ليست واضحة، لأجل ذلك يقومون بتوضيحها وتفسيرها بربطها بالكلمات العبرية الواردة في كتبهم، وبذلك يثبتون أن ما في أيديهم من الكتب هي أوضح وأيسر وأسهل من القرآن الكريم وأن القرآن الكريم اعتمد في آياته عليه. وهذه مزاعم وادعاءات باطلة سبق مناقشتها والرد عليها، "و من ورائهم محيط، بـل هــو قـرآن مجيد، في لوح محفوظ.

فإذا رحنا نبحث في كتب التفاسير ومعاجم اللغة عن معنى هذا المصطلح لم نجد مفـسراً ولا لغوياً صعب عليه تفسيره وتوضيحه معناه، ولكن القوم - عميت بصائرهم قـل أن تعمى أبصارهم -.

(١) الدائرة ج ٣ / ص ٤٥٢ - ٤٥٣

(٢) الدائرة ج ٣ / ص ٤٥٢.

فالأخدود: جمع أخدود، من خد الأرض خدًا: أي حفرها، يقال: خد السيل الأرض وفـي الأرض، وخذ فلان أخدودًا، وخذ جسمه بنابه: أي شقه^(١)، والخذ في الأرض وهــو السق^(٢). العظيم المستطيل في الأرض كالخندق، ومنه الخد لمجاري الدموع، والمخدة لأن الخد يوضع عليها، ويقال: تخذد وجه الرجل إذا صارت فيه أخايد من جراح^(٣).

فهذه الكلمة كما هو ملاحظ لا يوجد فيها أثر من العبرية كما يدعي المستشرق، ولا يوجد فيها إشارة إلى قتلى بدر، والزمن بين تلك القصة وغزوة بدر يستحيل عقلا أن يكون فيها إشارة لذلك، ولو كان في هذين التفسيرين أدنى شيء من الصحة لما تحفظ صاحبهما هذا التحفظ - كما يقول المستشرق - في قولهما، وهذين التفسيرين ليس فيهما نظر - على حد تعبير الكاتب - فحسب إنما ليس لهما أساس من الصحة، ولما كان فيهما نظر لماذا توردهما في كتابتك في هذه الدائرة؟!

٢- أما ذكره لتاريخ القصة وربطه القصة بقصة (أتون النار المتقدة) الواردة في سـفر دانيال فهذا كلام لا يصح، فكيف لنا أن نربط ما هو حق و متواتر بما هو محـرف ولا سند له.

وليس (لكرمة وهوروفنز) وغيرهما من المستشرقين أن يوجب أو يقرر تفسيراً لآية مـن آيات كتاب ا ، من أنت حتى توجب ذلك التفسير أو غيره، أهل التفسير و أهل القرآن هم أولى الناس بذلك وهم الذين يبينون ويوضحون مراد ا من خلال ربط الآيات بعـضها بـ بعض أولاً وقبل كل شيء، ولم يقل أحد منهم - اعني أهل التفسير - بأن هذه الآيات يجب أن تفهم بمعنـى يتصل بعلم الآخرة، أو أننا نعرض لمشهد من مشاهد الحساب المأثور في القرآن الكـريم كمـا يزعم الكاتب. ثم إن سياق الآيات ينفي مثل هذا التفسير ومشاهد يوم القيامة قد عرضت في أكثر من موطن في آيات وسور القرآن الكريم^(٤)

(١) المعجم الوسيط ج ١ / ص ٢١٨.

(٢) انظر صحيح البخاري، كتاب التفسير باب تفسير سورة البروج والكشاف: الزمخشري ج ٤ / ص ٧١٧ .

(٣) انظر تفسير القرطبي، سورة البروج.

(٤) انظر مثلاً سورة هود، وسورة التكويد، وأواخر سورة الزمر

فصة أصحاب الرس:

يقول (فنسك) كاتب هذه المادة في دائرة المعارف:

" - أصحاب الرس - أي أصحاب الأخدود أو البئر، ورد ذكرهم مرتين في القرآن - في سورة الفرقان الآية ٤٠^(١)، وسورة ق الآية مع عاد وثمود وغيرهم من المشركين، ولا يعترف المفسرون عن أصحاب الرس شيئاً محققاً، ولهذا تراهم يختلفون اختلافاً عظيماً فيما يذكرونه عنهم، وأخبارهم قائمة على جميع الصنوف من تهاويل الخيال، ويرى البعض أن الرس اسم مكان كما ذهب ياقوت، ويزعم آخرون أن أصحاب الرس هم بقايا ثمود الذين أهلكهم الله لأنهم ألقوا بينهم حنظلة في رس أي في بئر، ويقال أيضاً أن الجبل الذي تسمى العنقاء يقع في أرضهم، أما الطبري فيذهب إلى أن أصحاب الرس هم أصحاب الأخدود، وهو لا يعرف شيئاً عن تاريخهم، ولسنا أكثر منه علماً بهذا الموضوع"^(٢)

- كل ما ورد من أخبار وآثار عن أصحاب الرس نتركها لأننا لا نملك على شيء منها، ثم إن القرآن الكريم لم يفصل في قصتهم ولا اسم نبيهم. فالأعلام بهم.

وقولهم "يزعم آخرون أن أصحاب الرس هم بقايا ثمود" هذا الزعم منك إذ أنك زعمت انهم يزعموا وإنما هم نقلوا هذا القول مثل بقية الأقوال التي ذكرت فلماذا الزعم كان في هذا القول؟! وهذا القول ذكره الطبري وغيره في تفسيره فهل يمكن لمثل الطبري أن يزعم؟! فهذا هو الزعم بعينه...

(١) رقم الآية في المصحف العثماني " ٣٨ " وليس " ٤٠".

(٢) الدائرة ج ٣ / ص ٤٥٤ - ٤٥٥.

منهج البحث في التفسير في دائرة المعارف الإسلامية

يأتي هذا المبحث لبيان كيفية دراسة المستشرقين لتفسير القرآن الكريم وعلى أي جهة أداروها وما مناهجهم فيها ؟ لعله من المفيد هنا أن نذكر هذه المسألة نقلاً عن لسان أهلها حتى لا يقال أننا نستنتج ذلك استنتاجاً فقط، وفيما يظهر من كتابات متعة ددة، فإن آرثر جفري - المستشرق الذي كان له نصيب لا بأس به في الكتابة في دائرة المعارف - قد لخص أعمال المستشرقين تلخيصاً أرى من المفيد ذكره حتى يعلم لكل قارئ - وخاصة المسلم - من أين يأتي هؤلاء بما يأتون به من تخاليط وادعاءات في تفسير آيات القرآن الكريم.

لقد وضع آرثر جفري مقدمة لكتاب المصاحف لابن أبي داود أفصح فيها - عن مناهج المستشرقين في البحث، فهو يضرب مثلاً في طرائق المستشرقين في بحث ما يتعلّق به التوراة والإنجيل ليدرج بهذه الطريقة إلى دراسة القرآن على ذلك المنهج الفاسد.

قال: "وأما أهل التنقيب (يقصد بهم المستشرقين) فطريفتهم في البحث أن يجمعوا والآراء والظنون والأوهام والتصورات بأجمعها، ليستنتجوا بالفحص والاكتشاف ما كان منه - مطابقاً - للمكان والزمان وظروف الأحوال، معتبرين المتن دون الإسناد يجتهدون في إقامة نص التوراة والإنجيل كما أقيم نص حوميروس أو نص رسائل أرسطو الفيلسوف. وبعد أن بين الأطوار التي مر بها القرآن حسبما يرى المستشرقون، قال: إن نتيجة هذه الأبحاث لا يتفق وما عليه المسلمون من تاريخ القرآن، ولا يهمننا في بحثنا هذا كونه حقا أو باطلا وإنما المهم هو بيان ما وصلنا إليه بعد التحري والتنقيب^(١)

وإذا كان هذا هو مناهجهم فلا عجب أن تجد بعد البحث والتفتيش أن لليهود دوراً لا خفاء فيه في ثنانيا هذا المنهج، بل إن اليهود ضالعون في إنكاء نار الحقد والبغضاء بين شعوب العالم والمسلمين بشتى الوسائل والأساليب التي من أهمها وأخطرها أعمال البحث العلمي !!! ولقد وجد اليهود بغيتهم في هذا الجانب بما لا خفاء فيه على ذي عينين^(٢) ولقد استخدم المستشرقون الأوائل على وجه العموم خطة علمية في تناولهم للإسلام تهدف إلى تشويه صورته والتشكيك في مصداقيته، فاستهدفوا أولاً القرآن الكريم باعتباره قاعدة الإسلام الكبرى الذي اجتمع عليه

(١) مقدمة تحقيق كتاب المصاحف لابن داود ص ١٠

(٢) عمر إبراهيم: آراء المستشرقين حول القرآن ج ١ ص ٦٩ وما بعدها

العرب وأحبوه ودانوا بحبه وعكفوا على تلاوته، وحفظه وتدبره ولأنه الكتـاب الـذي أحبـه العرب ممن دخلوا في الإسلام وتعلموا لغة القرآن ومهروا فيها وصاروا أئمة في علوم القرآن وأعلاماً في العلوم الإنسانية..

اتجه المستشرقون أولاً إلى ترجمة القرآن الكريم بهدف تحريف كلمة، وتصحيف معانيه بحيث تخدم أغراضهم في الحط من الإسلام، ولهذا استخدموا هذه الترجمات بطـرق مغرضـة للوصول إلى أهداف متعددة وملتوية بعيدة عن النص في لغته وفحواه، ومن هذه الطرق:

١- انتقادهم للأحاديث النبوية الصحيحة.

٢- اعتمادهم على الكثير من مادة السيرة النبوية والمغازي غير الصحيحة.

٣- اعتمادهم على الأحاديث الضعيفة والحكايات التاريخية الملفقة والروايات المتعارضة في ظاهرها دون بذل أي جهد للتوفيق بينها في إطار الروايات الـصحيحة والمـسلمات الإسلامية ونحو ذلك.

وقد قادتهم هذه الخطة المسبقة إلى تقرير نتائج غير صحيحة علمياً أحياناً كثيرة غير مقبولة عقلياً، وليس لها أدنى ارتباط بمقدماتها، وهذا ما كان واضحاً جلياً في هذه الدراسة حيث انصبت آرائهم وطعونهم ضد القرآن الكريم وتفسيره.

ولقد كان هذا الطعن في القرآن الكريم منذ صدور أول ترجمة له في الغرب، وظهر في الكتابات والدراسات المختلفة المعنية بالقرآن الكريم من قبل المستشرقين، وبخاصة ما ورد في دائرة المعارف الإسلامية - والتي كانت مدار بحثنا - باللغة الإنجليزية الصادرة عن دار ليدن للنشر ليدن في (١٩١٣ - ١٩٣٨) والطبعة الجديدة الصادرة عن الدار نفسها مع دار ليدن للنشر ليدن عام ١٩٦٠ مباشرة أو غير مباشرة من تأليفهم، وكذلك المصادر التي اعتمدت عليها بطريقة القرآن الكريم من المنظور الإستشراقي: (١)

وفي هذا الجانب يقول أحد الباحثين: والباحث يرى أن الجريمة - إذا تعـددت بـصورة واحدة في مواقف يترتب عليها منحنى تاريخي فان هذه الجرائم وراءها عـصابة منظمـة لها أهداف بعيدة وهي تتجه نحو هذه الأهداف بصبر عجيب، وتلك حقيقة ذكرها العلماء، فقالوا: إن في كل التغييرات الفكرية الكبرى عملاً يهودياً سواء أكان ظاهراً واضحاً أم كان خفياً سرياً (٢).

(١) محمد أبو ليلة ص ٤٠١

(٢) أحمد زكي: انزعوا قناع بولس عن وجه المسيح ص ٨٦ نقلاً عن مصادر أخرى

٤- لي أعناق النص من غير عودة إلى اللغة والبيان وغيرهما من هذا التفسير.

٥- اتباع المنهج العقلي البعيد عن مقومات التفسير فما وافق العقل هو الـصحيح وغيـره فاسد.

وهذا ما كان واضحاً - من خلال هذه الدراسة - في تفسير الآيات والفـصص القرآني ويمكن توضيح هذا المنهج - أعني به منهج البحث في التفسير في الدائرة - مـن خـلال هـذه الدراسة بنقاط كالتالي:

١- اعتمادهم التوراة والإنجيل المرجع الأساسي في البحث فالصحيح مـا وافق التـوراة والإنجيل وما خالفهما فهو خطأ يرمى به عرض الحائط حتى ولو كان قرآنيـاً أو حديثاً صحيحاً.

٢- اقتصارهم في تفسير الآيات القرآنية غالباً على تفسير الطبري وخالصة في الآيات التي يذكر فيها روايات إسرائيلية، حيث تذكر الروايات أو التفـسير دون تحقـيق أو تعلـيق الطبري نفسه على هذه الرواية أو ذاك التفسير أو ذكر أولى الأقوال عـند الطـبري أو الرأي الراجح عند غيره.

٣- استخدام أسلوب التعميم أثناء الكتابة، حيث لاحظت الباحثة إنهم يكتبون عن الموضـوع أو تفسير الآيات بشكل عام ولا يوضحون الهدف والغاية من الآية القرآنية، بل وينقلون بالقارئ من فكرة إلى فكرة دون الإلمام والإحاطة بجميع جوانبها وإشباعها بحثاً، وبذلك يحاولون تشتيت ذهن القارئ بين أفكار متشعبة المواضيع دون الإشارة إلى المعنى الذي أراده الآيات القرآنية وخلال هذه الأفكار يدسون السم في الدسم..

٤- استخدام أسلوب التضعيف والتشكيك في معظم نقولاتهم كقولهم، لعل واحتمال ويجوز. مما يدل على إعطائهم معلومات هم أنفسهم غير متأكدين من صحتها.

٥- قصور أيديهم عن أن يقدموا بحثاً دقيقاً للقراء فلعلهم اقتصروا في مواضيع مهمة عـلى فقرة أو فقرتين، فلم يعطوا بعض المواضيع حقها من الدراسة.

٦- التعصب لديانتهم أو لعدم ديانتهم، فمهما كانت ديانتهم على خطأ فهي صحيحة عـندهم وغيرها باطل، رغم أنهم يدعون الموضوعية والصدق في دراستهم.

٧. افتقارهم لمنهج النقد القائم على القواعد الصحيحة التي أجمع عليها علماء الحديث دراية ورواية.

٨. قصورهم عن فهم اللغة والإحاطة بألفاظها ونظمها وشواهدا أفقدهم القدرة على إدراك مرامي القرآن الكريم وأحكامه وحكمه.

٩ - انحطاط فكرة مصادرهم المنحرفة وإسقاطهم ذلك على القرآن الكريم وما جاء فيه م - ن قصص وهذا عين المغالطة بمقاييس النقد والموضوعية.

أحمد ا على أن أعانني على إكمال هذه الرسالة وأشكره على توفيقه لي في إخراجها. على هذه الصورة وقد حاولت بكل ما أوتيت من قوة أن أعطي هـ ذا الموضوعـ وع الهـام حقـه ومستحقه، ويعلم ا تعالى كم بذات فيه من جهد عظيم لإتمامه وجمع جوانبه بكاملها، فلم أعتبره مجرد رسالة لأنال من خلالها شهادة جامعية، وإنما كان قصدي على الدوام إرضاء ا تعـالى راجيه أن تكون هذه الرسالة مساهمة مني في خدمة العلم الشرعي الذي وضع أسسه الأولى سيد الأولين والآخرين محمد بن عبد ا (ﷺ).

وحقيق بي أن أقول أن هذا الذي كتبت ودرسته ونقدته يعبر عن وجهة نظري التي أرجو أن أكون قد سجلتها بأمانة وموضوعية وتطلعت نفسي إلى الوفاء بجوانب هذا الموضوع دفاعاً عن عقيدتي ورسالتني الذي أطمع أن يكون عملي هذا حجة لي لا حجة علي راجياً منـه تعـالى المثوبة على ما وفقت إليه وغفران ما قصرت عنه.

وأما أهم النتائج التي يمكن استخلاصها من الرسالة فقد جاءت على النحو التالي:

أولاً: إن الاستشراق بدأ في وقت مبكر وترعرع في القرن التاسع عشر وإن بواعثه العـداء والصراع بين الفرنجة والمسلمين وبذوره قديمة.

ثانياً: دراسة المستشرقين تنبعث من الأهداف والدوافع التبشيرية والإستعمارية والتجارية والعلمية والسياسية.

ثالثاً: ضرورة دراسة مصنفات المستشرقين ومؤلفاتهم دراسة علمية موضوعية مـع بيـان أهدافهم وغاياتهم.

رابعاً: ما يفلق افتقار دائرة المعارف لكثير من العلوم والمعارف المتعلقة بالتفسير وعلومـه ومصادره.

خامساً: نقد كثير من مغالطات الدائرة حول تعريف كـثير مـن المـصطلحات القرآنية وتصويبها في ضوء الأصول المعتمدة في التفسير.

سادساً: رد المطاعن التي وجهتها الدائرة في الموضوعات المتعلقة بـ: سـورة الفاتحة، الإسراء، والمسد، والإخلاص، والتوبة، وتصحيح الأخطاء الواردة فيها.

سابعاً: رد مطاعن الدائرة وإيراد ما فيها من أخطاء حول الآيات التي تخص العفـية دة في

كلامها على ألفاظ: ا ، جبريل، الجنة، الجن، التوراة.

ثامناً: نفذ ما قالته الدائرة حول آيات وأحكام ما يخص الصوم والصلاة والجزية..

تاسعاً: رد مطاعن الدائرة ومحاولة إيغالها في إدخال السموم في القصص القرآني وتصويب المفاهيم المغلوطة حول القصة القرآنية تحقيقاً وغايةً.

عاشراً: بيان منهج المستشرقين وطرفهم في التفسير والحكم عليها في ضوء المنهجية القائمة على الأصول المعتمدة في التفسير.

الحادي عشر: يحوي كلام المستشرقين إيجابيات وإن كان في معظمه طعناً وسلبات، أما الإيجابيات، فتتمثل فيما يقدمونه من معلومات منصفة، وأما السلبات فتتمثل فيما يقدمونه من مغالطات وأخطاء مظلمة بالنوايا والمقاصد السيئة التي تنال من الإسلام وكتابته ورسوله.

الحمد الذي تتم به الصالحات...

وآخر دعوانهم أن الحمد رب العالمين...

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم:

- آيسيسكو - القرآن الكريم: دراسة لتصحيح الأخطاء الواردة في الموسوعة الإسلامية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- ابراهيم زكي خورشيد و احمد الشنتاوي ود. عبد الحميد يونس، موجز دائرة المعارف الإسلامية: تحرير: م. ت هوتسما، و. أرنولد ر. باست، ر. هارتمان، الاجزاء الاولى م- ن (أ) الى (ح) الاجزاء من (خ) الى (ي) ترجمة نخبة م- ن الساتذة الجامعات المصرية والعربية، طبعة بريل، مركز الشارقة للابداع الفكري.
- ابراهيم زكي خورشيد، أحمد الشناوي، د. عبد الحميد يونس، دائرة المعارف الإسلامية. أصدرها بالإنجليزية والفرنسية والألمانية أئمة المستشرقين في العالم ويشرف على تحريرها تحت رعاية الاتحاد الدولي للمجامع العلمية (هوتسما، وفنسك وتحسب، وهفك-ك، وبغ-ي بروفنسال، وشادة وباسيه وهارتمان وأرنولد ولويس ويلوشاخز، النسمة العربية، ط١، ط٢، مطبعة الشعب بالقاهرة، ١٩٦٩ م - ١٩٩٣ م.
- ابراهيم محمد عوض النجار، تفسير تنوير المفباس المنسوب الى ابن عباس (توثيق ودراسة)، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة.
- ابراهيم مصطفى ورفاقه، المعجم الوسيط، دار إحياء التراث العربي، المكتبة العلمية، طهران.
- ابن الاثير، محمد بن عبد الكريم الشيباني، الكامل في التاريخ، ط١، (تحقيق: خليل م-أمون شيما) دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
- ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير: دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.
- ابن فارس، ابي الحسن أحمد (ت٣٩٥ هـ-)، معجم مفاييس اللغة، ط١، دار الاسلامية للطباعة والنشر، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
- ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، ط١، المطبعة الميمنية، القاهرة، ١٩٠٦ م.
- ابن كثير، ابي الفداء اسماعيل، تفسير ابن كثير: ط٢، دار طيبة، السعودية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

- ابن كثير، ابي الفداء، محمد بن اسماعيل، **البداية والنهاية**، دار الكتب العلمية، ط٤، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ابن كثير، **تاريخ الاسلام**، ط١، (تحقيق عبد السلام تدمري)، دار الكتاب العربي، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- ابن كثير، **فصل الانبياء**، ط٨، (تحقيق ومراجعة لجنة من العلماء)، دار القلم، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم، **لسان العرب**: مؤسسة التاريخ العربي، ط٢، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٣ - ١٩٩٣م.
- ابن هشام، محمد عبد الملك، **السيرة النبوية سيرة ابن هشام** ط١، (تحقيق وتعليق الشيخ عادل احمد عبد الموجود و الشيخ علي محمد معوض)، مكتبة العبيكات، الرياض، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- أحمد رضا، **متن اللغة موسوعة لغوية حديثة**، مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٥٨م.
- أحمد غراب، **رؤية إسلامية للاستشراق: ط٢**، المنتدى الإسلامي للنشر والطباعة، ١٤١١هـ.
- آرثر جفري، **مقدمتان في علوم القرآن وهما مقدمة كتاب المباني ومقدمة ابن عطية**: مكتبة الخانجي القاهرة، ١٩٥٤.
- اسماعيل أحمد عمارة، **بحوث في الاستشراق واللغة : ط٢**، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٣.
- الأصفهاني، الراغب (ت ٤٢٥هـ)، **مفردات ألفاظ القرآن**، ط١، (تحقيق: صفوان عدنان داوودي)، دار القلم دمشق والدار الشامية، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- الألويسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ط١، (تحقيق محمد احمد الآمد وعمر عبد السلام السلامي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- البخاري، محمد بن إسماعيل **صحيح البخاري**: دار التب العلمية، بيروت.
- البغوي، الحسين بن مسعود ، **تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل**، ط٤، دار طيبة للنشر

- البقاعي، برهان الدين ابراهيم بن عمر، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ط١، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- البهي، محمد، **الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاسـتعمار الغربي**، ط٨، مكتبة وهبه- القاهرة، ١٩٥٧.
- البهي، محمد، **الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي**، ط٦، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٣.
- البوطي، محمد سعيد، **فقه السيرة**، ط٨، دار الفكر بيروت، ١٩٨٠م.
- الترمذي، ابو عيسى محمد بن عيسى، **سنن الترمذي**، ط٢، الحلبي مصر، ١٣٩٥م.
- التهامي نقرة، **سيكلوجية القصة في القرآن الكريم**، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧١م.
- الثعالبي، احمد بن محمد، **قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس**، ط١، (تحقيق محمد- د سيد)، دار الفجر للتراث، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- الثعالبي، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، ط١، (تحقيق ابي محمد الغماري الادريسي الحسيني)، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- الجصاص، احمد بن علي الرازي، **أحكام القرآن: المطبعة البهية المصرية، القاهرة**، ١٩٣٨م.
- الحافظ ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ط٢، دار البيان للتراث، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
- حمدي بن محمد نور الدين آل نوفل، **قصص القرآن**، ط١، مكتبة الـصفا، ١٤٢٣هـ - - ٢٠٠٢م.
- خالد سيد علي، **الإسراء والمعراج معجزة وحقائق أسرار وفوائد**، ط١، اليمامة للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- الذهبي، محمد حسين، **التفسير والمفسرون**، دار الأرقم للنشر والتوزيع، بيروت.
- الرافعي، مصطفى صادق، **وحي القلم**، ط١، مكتبة الاداب، القاهرة، دار ابن حزم، بيروت ٢٠٠٥.

- رحمة ا بن خليل الهندي، **مختصر كتاب إظهار الحق**، ط ١، (تحقيق د. محمد ملك-اوي)، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م
- الزرقاني، محمد عبد العظيم، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، ط ٢، (تحقيق ب- ديع ال-سيد اللحام)، دار فتيبة للنشر، دمشق.
- الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ط ١، دار الكتب العلمية، بي-روت، ١٤٢٢ هـ - - ٢٠٠١م.
- الزمخشري، محمود بن عمر، **تفسير الكشاف**، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٢ م.
- سعيد حوى، **الاساس في التفسير**: ط ١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.
- السيد عبد المقصود عسكر، **الفصص القرآني إقناع وإبداع**، ط ١، دار البشر للثقافة والعلوم، طنطا، ٢٠٠٠.
- سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ط ٣٤ دار الشروق، القاهرة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- السيوطي، جلال الدين السيوطي، **الافتان في علوم القرآن**: ط ١ (تحقيق وتعليق: ع-صام فارس خرج أحاديثه محمد أبو صعيلىك)، دار الجيل، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- السيوطي، جلال الدين، **لباب النقول في اسباب النزول**، ط ١، المكتبة العصرية للطباعة، بيروت، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، **أضواء البيان**: عالم الكتب، بيروت.
- صبحي الصالح، **مباحث في علوم القرآن**، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠م.
- صلاح الخاادي، **الفصص القرآني عرض وفائع وتحليل أحداث**، ط ٩، دار القلم-دمشق، الدار الشاميه، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- صلاح الخاادي، **تعريف الدارسين بمناهج المفسرين**.
- الطبري، محمد ابن جرير، **تاريخ الطبري المسمى تاريخ الامم والملوك**: ط ٣، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ط ١، دار المعرفة، بي-روت،

- عباس محمود العقاد، **اللغة الشاعرة**، مطبعة الاستقلال الكبرى، القاهرة.
- عبد الجواد محمد المحص، **أباطيل الخصوم حول الفصص القرآني** (عرض ومناقشة).
- عبد الحق بن عطية الاندلسي، **المحرر الوجيز في تفسير الكتـاب العزيزـز**، ط ١، (تحقيق - ق وتعليق: عبد ا ابراهيم الانصاري والسيد عبد العال السيد ابراهيم)، الدوحة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- عبد العزيز تمام، **الغزو الفكري أبعاده ومواجهته**، رقم ايداع بدار الكتب المصرية ٩٥٧٧ / ١٩٩٠م.
- عبد العظيم المصطفي، **الاسلام في مواجهة الاستشراق العـالمي**، ط ١، ١٤٠٧هـ - ، دار الوفاء للطباعة والنشر ١٩٨٧م.
- عبد ا العمراني، **النيام السبعة وأهل الكهف: مقال في مجلة العالم العربي**، الكويت، العدد ٢١٦.
- عفيف عبد الفتاح طيارة، **مع الانبياء في القران الكريم، فصوص ودروس وعبر من حياتهم** : ط ١٢، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠١ .
- العقاد، عباس محمود، **الانسان في القرآن**، بيروت، ١٩٦٩م.
- علي العيسلي العاملي، **الاسراء والمعراج نظرة عامة دراسة وتحليل**، ط ٢، ١٤١٨هـ - - ١٩٨٨م.
- عمر إبراهيم رضوان، **آراء المستشرقين حول القران وتفسيره**، دار طيبة، ١٩٩٢م.
- عمر عودة الخطيب، **لمحات في الثقافة الاسلامية**، ط ٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١.
- الفراء، معاني القرآن، (تحقيق: احمد يوسف نجاتي، محمد النجار)، دار الكتب المـصرية، القاهرة، ١٩٥٥م.
- فضل حسن عباس، **التفسير أساسياته واتجاهاته**، ط ١ مكتبة دذـ ديس، عمـان، ١٤٢٦ - ٢٠٠٥م.
- فضل حسن عباس، **فضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية**، نقد مطاعن ورد شبهات، ط ١، دار الفتح عمان، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م.

- فضل عباس، **الإسراء والمعراج دروس ونفحات**، ط ١، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- فضل عباس، **الفصص القرآني إبحاره ونفحاته**، دار الفرقان للنشر.
- فضل، حسن عباس، **إتقان البرهان في علوم القرآن**، ط ١، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م.
- القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، **أحكام القرآن**، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٧م.
- القرطبي، محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن**، ط ١، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- الماتريدي، أبي منصور، **تأويلات أهل السنة**، ط ١، (تحقيق فاطمة يونس - ف الخيم - ي)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- المباركفوري، صفي الرحمن، **الرحيق المختوم**، دار الارقم، بيروت.
- محمد أمين حسين بني عامر، **المستشفون والفقران الكريم**، ط ١، دار الأمل للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م.
- محمد بن أحمد كنعان، **فصص الانبياء وأخبار الماضين، خلاصة تاريخ ابن كثير**، ط ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، مؤسسة المعارف، بيروت.
- محمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي، **البحر المحيط في التفسير**، ط ١، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- محمد عزة دروزة، **التفسير الحديث ترتيب السور حسب النزول**، ط ٢، دار الفجر الاسلامي، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- محمد فؤاد عبد الباقي، **المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم**، المكتبة الإسلامية، ٨٢. استانبول، ١٩٨٢.
- محمد محمد أبو ليلة، **القرآن الكريم من المنظور الإستشراقي، دراسة نقدية تحليلية**، ط ١، دار النشر للجامعات بمصر، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- المراغي، أحمد مصطفى، **تفسير المراغي**، ط ٢، دار احياء التراث العربي، بيروت،

- المسعودي، علي بن الحسين بن علي (ت ٣١٦هـ-)، **مروج الذهب ومعادن الجـوهر**، ط ١، دار الاندلس للطباعة والنشر، ١٣٨٥ - ١٩٦٥م.
- المسعودي، علي بن الحسين، **التنبية والاشراف**، ط ١، (تحقيق عبد الله اسماعيل الصاوي)، دار الصاوي للطباعة والنشر القاهرة، ١٩٣٨م.
- مسلم، بن الحجاج النيسابوري، **صحيح مسلم**، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م دار الكتب والفكرية للطباعة والنشر.
- مصطفى السباعي، **الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم**، ط ١، ١٤٢٠هـ - - ١٩٩٩م، المكتب الاسلامي، دار الوراق للنشر والتوزيع.
- المقرئ، احمد بن علي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٨١هـ - ١٩٩٧م.
- مناع القطان، **مباحث في علوم القرآن**، دار غريب، القاهرة، ١٩٨١م.
- المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، **مناهج المستشرقين في الدراسات الاسلامية**: مكتب التربية العربي لدول الخليج.
- ناصر القفازي، ناصر العقل، **الموجز في الايمان والمذاهب المعاصرة**، دار المصمعي للنشر والتوزيع.
- الندوي، أبو الحسن علي الحسيني، **الإسلام والمستشرقون**، المجمع العلمي للدراسات والتوزيع، الهند.
- الندوي، ابو الحسن علي الحسيني، **الاسلام والمستشرقون**، من مطبوعات المجمع الاسلامي العلمي رقم ١٥٦، مطبعة ندوة العلماء (الهند).
- النسائي، القاضي احمد بن شعيب بن علي، **سنن النسائي**، ط ١، الحلبي مصر، ١٣٨٣.
- نور الدين عتر، **محاضرات في علوم القرآن**، دمشق، جامعة دمشق، ١٩٨٣م.
- النووي، **تهذيب الأسماء واللغات**، ط ١، دار الكتب العلمية بيروت.
- الواحدي، علي بن أحمد، **اسباب النزول**، (ت ٤٦٨) ط ١، (تحقيق أيمن صالح شعبان)، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

**EXEGESIS AND ITS SUBJECTS IN THE
ENCYCLOPAEDIA OF ISLAM
(A STUDY AND CRITISIZM)**

By

Yosra Al- Yabroudi

Supervisor

Dr. Mustafa Al- Mashnie, Prof.

ABSTRACT

Thanks to the almighty Allah whom by this grace all good deeds are done, and whom His welfare is distributed to all creatures, either human beings or angels, on earth or in the sky.

By grace of God I have accomplished my work, with which I don't claim to be perfect or complete, but it is a complete description of shortage, nevertheless in this paper I would like to mention what I have summarize in the thesis.

I have given some hints about the meaning of explanation and interpretation in the circle, the difference between them, and also stated the mistakes there in, then diverted to the detailed subjects of the subjective interpretation, and Holly Quran stories, and then discussed the circle by clarifying it in some soras.

I have reached to an important information stated in its chapter of this theisi, and pen pointed them to the reader that this circle has mistakes in collecting information and searching of the text, also it shows the extent of their chauvinism to their religion, so that they criticize the reality of their books against what correction has been made by honourable Messenger.

It is essential for every body whom he wants to read in such circle to be aware of the clear mistakes, susbicion and chauvinism mentioned there in, and to be clever enough to distringuish between the good and the bad.

This is what I wanted convey to the reader of the theisi and hope that almighty Allah has enabled me to have offered something to this religion which can be kept and not forgotten. Thanks to Allah the all mighty